



تيسير الكريم المنان شرح مختصر شعب الإيمان

أُم عام الحديّة
غفر الله لها ولوالديها ولجميع
المسلمين

[نبذة مختصرة عن حياة المؤلف]

اسمه:

أبو بكر أحمد ابن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي ،
الفقيه الشافعي ، الحافظ الكبير المشهور ، واحد زمانه ، وفرد أقرانه في الفنون من كبار أصحاب
الحاكم أبي عبد الله في الحديث .

مولده :

ولد في شعبان سنة أربع وثمانين وثلاث مئة .

جهوده وأعماله :

هو أول من جمع نصوص الشافعي في عشر مجلدات . ومن مشهور مصنفاته : السنن الكبير
والصغير ، ودلائل النبوة ، والسنن والآثار ، وشعب الإيمان ، ومناقب الشافعي المطلبي ،
ومناقب أحمد بن حنبل ، وكتاب الأسماء والصفات وغير ذلك . وكان قانعاً من الدنيا بالقليل
وقال إمام الحرمين في حقه : ما من شافعي المذهب إلا وللشافعي عليه منة إلا البيهقي ، فإنه له
على الشافعي منة . وكان من أكثر الناس نصراً للمذهب الشافعي .

وطُلب إلى نيسابور لنشر العلم فأجاب وانتقل إليها ، وكان على سيرة السلف ، وأخذ عنه الحديث جماعة من الأعيان . ، وتوفي في العاشر من جمادي الأولى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة بنيسابور

كتب الحديث وحفظه من صباه إلى أن نشأ وتفقه وبرع فيه وشرع في الأصول ورحل إلى العراق والحجاز.

اشتغل بالتصنيف فألف من الكتب ما لعله يبلغ قريبا من ألف جزء مما لم يسبقه إليه أحد مثل كتاب السنن الكبرى وكتاب المعرفة والمبسوط والجامع لشعب الإيمان ومناقب الشافعي والدعوات والإعتقاد وغير ذلك من التصانيف المتفرقة المفيدة جمع فيها بين علم الحديث وعلمه وبيان الصحيح والسقيم وذكر وجوه الجمع بين الأحاديث ثم بيان الفقه والأصول وشرح ما يتعلق بالعربية على وجه وقع من الأئمة كلهم موقع الرضا ونفع الله تعالى به المسترشدين والطلابين.

راجع (المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور - (١ / ١٠٨)

الأول من شعب الإيمان

الإيمان بالله عز وجل

لقوله تعالى : { وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ } البقرة: ٢٨٥ .

ولقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ } النساء: ١٣٦ .

ثم ساق فيه حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتفق عليه " في الصحيحين " ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني نفسه وماله إلا بحقه وحسابه على الله تعالى))

وحديث عثمان بن عفان رضي الله عنه " في صحيح مسلم " : (من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة)

◀ قوله : (الإيمان بالله عز وجل) .

قال ابن حجر في الفتح رحمه الله : (الإيمان بالله هو التصديق بوجوده ، وأنه متصف بصفات الكمال منزّه عن صفات النقص) . اهـ

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : الإيمان بالله يتضمن أربعة أمور :

الأول : الإيمان بوجود الله تعالى :

وقد دل على وجوده تعالى : الفطرة والعقل والشرع والحس .

الثاني : الإيمان بربوبيته :

أي بأنه وحده الرب لا شريك له ولا معين .

والرب : من له الخلق ، والملك والأمر ، فلا خالق إلا الله ، ولا مالك إلا هو ولا أمر إلا له ،

قال تعالى : ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ الأعراف: ٥٤ .

وقال : ﴿ ذَالِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ﴾ فاطر: ١٣ .

ولم يعلم أن أحداً من الخلق أنكر ربوبية الله سبحانه ، إلا أن يكون مكابراً غير معتمد لما يقول ، كما قال فرعون لقومه : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ النازعات ٢٤ ، لكن ذلك ليس عن عقيدة ، قال الله تعالى : ﴿ وَجَحِّدُوا بِهَا وَاسْتَيْقِزْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُظُومًا ﴾ النمل: ١٤ .

ولهذا كان المشركون يقرون بربوبية الله تعالى ، مع إشراكهم به في الألوهية قال الله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ الزخرف: ٨٧ .

الثالث : الإيمان بألوهيته :

أي (بأنه وحده الإله الحق لا شريك له) و ((الإله))

بمعنى ((المألوه)) أي ((المعبود)) حباً وتعظيماً ، قال تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ آل عمران: ١٨ .

و كل ما اتخذ إله مع الله يعبد من دونه فألوهيته باطلة ، قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ﴾ الحج: ٦٢ .

قلت : وهذا هو التوحيد الذي أنزلت من أجله الكتب ، وأرسلت من أجله الرسل و ضل فيه كثير من الأمم .

الرابع : الإيمان بأسمائه وصفاته :

(أي إثبات ما أثبتته الله لنفسه في كتابه أو سنة رسوله صلى الله عليه و سلم من الأسماء و الصفات على الوجه اللائق به من غير تحريف و لا تعطيل و لا تكييف و لا تمثيل ، قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ الأعراف: ١٨٠ .

◀ قوله : (لقوله تعالى : { وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ } البقرة: ٢٨٥)

وأول الآية : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ الآية .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (يعني : المؤمنون كذلك آمنوا بها أنزل على النبي صلى الله عليه و سلم من الله ، فيؤمنون بثلاثة أشياء :

" بالمرسل " - وهو الله عز و جل ، و " المرسل - وهو الرسول صلى الله عليه وسلم الله عليه و سلم " والمرسل به - وهو الوحي : الكتاب و السنة .

❦ قوله : (و لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ ﴾ النساء : ١٣٦)

يأمر الله عباده بالإيمان به وبشرائعه ، و السعي على زيادة هذا الإيمان و ثباته و الاستمرار عليه و تحصيل مكملاته .

قال العلامة الألوسي رحمه الله: قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (خطاب للمسلمين كافة ، فمعنى قوله : { آمِنُوا بِاللَّهِ } الآية ، أي اثبتوا على الإيمان بذلك ، و داوموا عليه (١) . ١ هـ

قوله : ثم ساق فيه حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتفق عليه في الصحيحين : (أمرت) : قال المناوي : أي أمرني الله إذ لا أمر سواه ، و حذف الفاعل تعظيماً و تفخيماً .

❦ قوله : (أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله)

أي يقولوها بألستهم ، مع اعتقادها في قلوبهم ، مع العمل بها بجوارحهم .

قال ابن رجب رحمه الله: (توهم طائفة من الصحابة أن مراده صلى الله عليه وسلم أن مجرد هذه الكلمة يعصم الدم حتى توقفوا في قتال من منع الزكاة حتى بين لهم أبو بكر و رجع الصحابة إلى قوله : أن المراد : الكلمتان بحقوقها و لوازمها و هو الإتيان ببقية مباني الإسلام) (٢) . ١ هـ

(و لا إله إلا الله) : متضمنة لركنين هما : النفي و الإثبات .

لا إله : النفي ، نفي العبودية عما سوى الله .

(١) راجع تفسير الألوسي (روح المعاني) عند الآية .

(٢) راجع شرح ابن رجب على صحيح البخاري عند حديث رقم (٥٢٧) .

إلا الله : هذه إثبات للعبودية لله وحده لا شريك له .

لله ومعناها : أي لا معبود بحق إلا الله .

لله وشروطها ثمانية : قال الشيخ الفوزان : (لا تنفع إلا بهذه الشروط ، نظمها بعضهم بقوله :

علم يقين وإخلاص وصدق
مع محبة وانقياد والقبول لها

وزيد شرط ثامن :

وزيد ثامنها الكفران منك بما
مع الإله من الأشياء قد أُلها (٢)

◀ قوله : (فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني نفسه وماله)

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله :

(قد أجمع العلماء على أن من قال لا إله إلا الله و لم يعتقد معناها و لم يعمل بمقتضاها أنه يقاتل

حتى يعمل بها دلت عليه من النفي والإثبات) . (١) اهـ

❧ والناس في (لا إله إلا الله) أقسام :

١/ لم يقرّوا بها لا ظاهراً ولا باطناً وهؤلاء الكفرة المجاهرون بكفرهم .

٢/ من أقرّ بها ظاهراً و لم يقرّ بها باطناً فهؤلاء المنافقون النفاق الأكبر ، الذين هم في الدرك الأسفل من النار .

٣/ من أقرّ بها ظاهراً و باطناً ، لكن ارتكب ناقضاً من نواقض لا إله إلا الله كاعتقاد الضر والنفع في غير الله ، فهذا كافر بلا إله إلا الله ، لا تغني عنه عند الله شيئاً أن مات من غير توبة .

٤/ من أقرّ بها ظاهراً و باطناً لكن ارتكب المعاصي و الذنوب فأثرت على إيمانه بالله و إقراره بلا إله إلا الله فهذا مؤمن ناقص الإيمان و هو تحت المشيئة يوم القيامة إن شاء غفر الله له و إن شاء عذبه على ذنوبه ثم أدخل الجنة لأن معه أصل الإيمان و لم يرتكب ما ينقضه .

٥/ من أقرّبها ظاهراً و باطناً و سعى في تحصيل لوازمها و مكملاتها من فعل المأمورات و ترك المحظورات و المنافسة إلى نوافل الطاعات ، فهذا من أسعد الناس بلا إله إلا الله و هذا ممن قال الله فيه : ﴿يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ النساء: ٦٩ .

◀ قوله : و حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه في (صحيح مسلم) : (من مات و هو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة) أي مات و هو عالم بمعناها عامل بمقتضاها ، مؤدي لشروطها و أركانها ، فليس مجرد معرفة لا إله إلا الله يكفي في إيمان العبد إلا عند المرجئة ، و قد أجمع السلف على أن الإيمان : قول و عمل و اعتقاد .
و معنى قوله : (دخل الجنة) : على حالين :

✍ الأول : أن يستحق مغفرة الله و عفوه بإيمانه و توحيده يدخل الجنة من غير أن يمسه عذاب .
✍ الثاني : أن يدخل النار فيعذب فيها لكنه يخرج منها بالشفاعة لإيمانه و توحيده .

مسألة: أبواب معرفة الله عز و جل :

قال ابن القيم : و لهذه المعرفة بابان واسعان :

الباب الأول : التفكير و التأمل في آيات القرآن ،

الباب الثاني : التفكير في آياته المشهودة و تأمل حكمته فيها و قدرته و لطفه .

وجماع ذلك : الفقه في معاني أسمائه الحسنی و جلالها و كمالها و { ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } الحديد ٢١ (١) . ١٠هـ

مسألة : ثمرات الإيمان بالله :

قال ابن عثيمين رحمه الله : و الإيمان بالله تعالى يثمر للمؤمنين ثمرات جلييلة منها :

الأولى : تحقيق توحيد الله تعالى ، بحيث لا يتعلق بغيره رجاء و لا خوفاً .

الثانية : كمال محبة الله تعالى ، و تعظيمه بمقتضى أسمائه الحسنى و صفاته العليا .

الثالثة : تحقيق عبادته بفعل ما أمر به و اجتناب ما نهى عنه . (١) . هـ

❦ الثاني من شعب الإيمان ❦

الإيمان برسلى الله عز و جل صلى الله عليهم أجمعين و سلم

لقوله تعالى : { وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلَأَتْكَتِهِ وَكُتِبَهِ وَرُسُلِهِ } البقرة : ٢٨٥ .

و لحديث عمر بن الخطاب في (الصحيحين) في سؤال جبريل عليه السلام : (.... الإيمان أن تؤمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله ...) الحديث .

❦ قوله : (الإيمان برسلى الله عز و جل صلى الله عليهم أجمعين و سلم)

دلت هذه الأدلة من كلام الله و رسوله على أن من خصال الإيمان و أركانه الإيمان برسلى الله جل و علا من علمنا منهم و من لم نعلم .

❦ و الكلام على الإيمان بالرسل في مسائل :

الأولى : أن الإيمان بالرسل ينقسم إلى قسمين مجمل و مفصل :

أ (المجمل : أن تؤمن أن الله أرسل إلى عباده رسلاً ، منهم من علمناهم و منهم من لم نعلمهم ، قال تعالى : ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ النساء : ١٦ .

ب (إيمان مفصل : و هو أن تؤمن بمن سباه الله في كتابه ، أو سباه رسوله صلى الله عليه و سلم في سنته على التعيين ، و تؤمن بالكتاب الذي نزل عليه ، إن كان ممن أنزل عليه الكتب .

الطانية : عدد الأنبياء والرسل :

ونؤمن بأن الله تعالى أرسل رسلا وأنبياء لا يعلم أسماءهم إلا الله
روى الحاكم وغيره عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (كان آدم نبياً مكلفاً ،
كان بينه وبين نوح عشرة قرون ، وكانت الرسل ثلاثمائة وخمسة عشر) قال الحاكم صحيح على
شرط مسلم ووافقه الذهبي . (١) صححه الألباني .

فقد جاء من حديث أبي أمامة عند أحمد ، و حديث أبي ذر عند أحمد أيضاً أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال : (عدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ، الرسل من ذلك ثلاثمائة و
خمسة عشر ، جماً غفيراً) وطرق الحديث لا تخلو من ضعف (٢)

لكن قال الألباني : (عدد الرسل في حديث أبي أمامة صحيح لذاته ، و عدد الأنبياء المذكورين في
حديث أبي أمامة و أبي ذر صحيح لغيره) (٢)

الطالفة : عدد الأنبياء الذين سموا في كتاب الله :

فنؤمن بمن سمي الله في كتابه من رسله وهم خمس وعشرون ذكروا في آية النساء : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ وفي آية الأنعام : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى
قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (٨٣) وَقَالَ : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
كُلًّا هَدَيْنَا ﴾ إلى آخر الآيات .

قال ابن كثير : هذه تسمية الأنبياء الذين نص الله على أسمائهم في القرآن وهم : (آدم وإدريس و
نوح و هود و صالح و إبراهيم و لوط و إسماعيل و إسحاق و يعقوب و يوسف و أيوب و

شعيب و موسى و هارون و يونس و داود و سليمان و إلياس و اليسع و زكريا و يحيى و عيسى و كذا ذو الكفل عند كثير من المفسرين ، و سيدهم محمد عليه الصلاة و السلام . (١) اهـ .

و ممن سموا من الأنبياء في القرآن عزيز على الصحيح .

قال ابن كثير رحمه الله : (المشهور أن عزيزاً نبى من أنبياء بني إسرائيل) اهـ .

و من الأنبياء الذين لم يسموا في القرآن : الخضر عليه السلام ، على الصحيح .

و من الأنبياء الذين سموا في السنة : "يوشع بن نون" غلام موسى في رحلته إلى الخضر ، و حامل النبوة من بعد موسى و هارون .

قال ابن كثير : (و هو متفق على نبوته عند أهل الكتب) (٢)

و قد جاء في الصحيحين ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : (غزاني من الأنبياء ...) ثم ذكر قصة إلى أن قال : (فقال للشمس : أنت مأمورة و أنا مأمور ، اللهم احبسها عليّ شيئاً فحبست عليه ، حتى فتح الله عليه) .

و قد صرح باسم هذا النبي خارج الصحيح ، فقد روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : (إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس) . قال العلامة الوادعي : هذا حديث صحيح رجاله رجال الصحيح .

الرابعة : أن أولهم نوح عليه السلام ، و خاتمهم محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة و السلام قال ابن عثيمين رحمه الله : الدليل من السنة أن نوحاً أول الرسل ما ثبت في حديث الشفاعة : (أن أهل الموقف يقولون لنوح : (أنت أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض) متفق عليه . و آخرهم محمد عيه الصلاة و السلام قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ (١)

(١) راجع تفسير ابن كثير سورة النساء : ١٦٤

(٢) راجع (البداية و النهاية) قصة يوشع بن نون

الخامسة : حكم من ادع النبوة بعد بعثة محمد عليه الصلاة والسلام :

قال شيخ الإسلام رحمه الله: من أتى بعده بدعوى النبوة ، فقد كذب على الله و هو كاذب ضال مضل خارج عن الملة. (٢) اهـ

السادسة : أن أفضلهم محمد بن عبدالله ، ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم نوح عليهم السلام أجمعين و هم أولو العزم من الرسل كما اشتهر عند أهل التفسير

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (هو سيد المرسلين أخرج مسلم من حديث واثلة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : (إن الله تعالى اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم)

ويصدق هذا قوله تعالى : { وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ } الإسراء ٥٥

وقد قال صلى الله عليه و سلم: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر) فيكفي فخراً و علماً بأنه سيد المرسلين إذ اجتباه الله و خصه بهذا الدين و هذا القرآن الذي لا يقبل من أحد أبداً ديناً يخالف دين الإسلام فمثل هذا الدين و هذا القرآن لا يحمله إلا خير الناس على الإطلاق و هو سيد ولد آدم ولا فخر) (٣)

قال ابن كثير رحمه الله:

(لا خلاف أن الرسل أفضل من بقية الأنبياء ، و أن ألي العزم منهم أفضلهم ، و هم الخمسة المذكورون نصاً في آيتين من القرآن في سورة الأحزاب : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ الأحزاب ٧ .

(١) راجع (شرح الواسطية) له .

(٢) راجع (شرح الطحاوية) من كلام ابن تيمية جمع يوسف اللبان .

(٣) راجع (شرح الطحاوية) من كلام ابن تيمية جمع يوسف اللبان .

السابعة : من كذب الرسل أو صدق بعضاً و كفر ببعض

فقد كفر بالإجماع نقله ابن حزم كتابه (مراتب الإجماع)

الثامنة : الإيمان وأنه لا طريق يوصل إلى الله إلا بما جاءت به الأنبياء ،

وأن الطريق الوحيد لنيل محبة الله هو بإتباع الأنبياء ، وهي السبب للسعادة و الفلاح في الدنيا و الآخرة .

قال تعالى : ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ النساء ٨٠ ،

وقال : ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ آل عمران: ٣٢

قال ابن كثير رحمه الله :

(فدل على أن مخالفته في الطريق كفر) (١) اهـ

وقال تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

﴾ آل عمران ٣١

قال ابن كثير رحمه الله :

(هذه الآية حاكمة في كل من ادعى محبة الله ، و ليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي في جميع أقواله و أفعاله و أحواله كما ثبت في الصحيح (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) (١) اهـ

التاسعة : أنهم رجال فليس من الرسل و الأنبياء امرأة .

قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾

جاءت في ثلاث سور من القرآن الكريم : يوسف ١٠٩ ، النحل ٤٣ ، الأنبياء ٧ .

فالنبي يشترط أن يكون : إنسان ، ذكر ، حر ، يوحى إليه .

والفرق بين النبي و الرسول :

الرسول: هو من أرسله الله إلى أهل الكفر ليبلغهم رسالة الله إليهم ،
و النبي : هو من وجد في قوم مؤمنين فأوحى الله إليه أن يعلمهم مما علمه الله فهو كالعالم بين
قومه . (١)

الثلث من شعب الإيمان

الإيمان بالملائكة

للآية والحديث المذكورين .

قال ابن أبي العز رحمة الله:

(الإيمان بالملائكة أحد الأصول الخمسة التي هي أركان الإيمان) (٢)

و الإيمان بالملائكة نلخصه في مسائل :

الأولى : معنى الملائكة :

الملائكة لغة : جمع ملائكة ، وأصله مألوك ، لأنه من الألوكة ، والألوكة في اللغة الرسالة ، فالملك
في اللغة معناه الرسول .

الملائكة اصطلاحاً : (هي أجسام لطيفة أعطيت قدرة التشكل بأشكال مختلفة ، و مسكنها
السموات) (١) اهـ

(١) راجع (شرح السفارينية) للعثيمين - راجع (النبوات) لابن تيمية (٢ / ٧١٨) .

(٢) راجع (صحيح البخاري) عند حديث رقم (٥٠) - راجع (شرح الطحاوية) لابن أبي العز

﴿ الثانية : مما خلقت الملائكة :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم) . رواه مسلم

﴿ الثالثة : عظم خلقتهم مما يدل على عظم خالقهم :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ التحريم: ٦

وقال تعالى : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَّةٌ ﴾ الحاقة: ١٧

وعن جابر رضي الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبع مائة عام) (٢) رواه أبو داود .

﴿ الرابعة : الإيمان بأن الملائكة أجساد وأشخاص محسوسة ، تنزل وتذهب .

خلافًا للفلاسفة الذين يخالفون أهل الإسلام في ذلك فيقولون :

الملائكة هي النجوم ، أو هي العقول ، أو هي إرادة الخير في الإنسان ، أو هم أرواح . (٣)

للهم قال ابن عثيمين رحمه الله : (هم أجساد بدليل قوله تعالى : ﴿ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ ﴾ فاطر ١ ، و رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل على صورته التي خلق عليها له ستمائة جناح قد سد الأفق ، خلافًا لمن قال أنهم أرواح) اهـ

(١) راجع (الرد على المنطقيين) لشيخ الإسلام ص : ٥٠٠ راجع (فتح الباري) عند حديث رقم (٣٢٠٧) و

ما بعده

(٢) صححه شيخنا الوادعي في (الصحيح المسند) رقم (٢٥٤)

(٣) راجع (الفتح) عند حديث رقم (٣٢٠٧) و (شرح الطحاوية) للراجحي

الخامسة: أن الإيمان بالملائكة يكون مجملًا ومفصلاً :

«الإيمان المجمل : هو التصديق الجازم والإقرار بوجود الملائكة وأنهم عالم غيبي خلقهم الله من نور ، وأنهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . و من أنكر وجودهم فإنه مكذب لله ورسوله كافر بالإجماع (١)

«الإيمان المفصل ، كالآتي :

١/ أن تؤمن بأسماء من علمنا منهم ، و صح بذلك الدليل ، مثل :

جبريل و ميكائيل و إسرافيل و مالك و منكر و نكير . و أما رضوان خازن الجنة و عزرائيل ملك الموت فلم يصح في تسميتهما حديث .

٢/ أن تؤمن بوظيفة من علمنا منهم ، فمن ذلك أن تؤمن :

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (لكل منهم وظائف خصّه الله بها ، و نعلم من وظائفهم أولاً : جبريل : موكل بالوحي ينزل له من الله تعالى إلى الرسل .

ثانياً : إسرافيل : موكل بنفخ الصور ، و هو أيضاً أحد حملة العرش

ثالثاً : ميكائيل : موكل بالقطر و النبات . (٢)

رابعاً : مالك : خازن النار) (١) اهـ

و كذلك : منكر و نكير : الموكلان بفتنة و عذاب القبور ، و كذلك ملك الموت : الموكل بقبض

الأرواح ، و كذلك : حملة العرش و الرقيب و العتيد اللذان يكتبان أعمال بني آدم و غيرهم مما لا يحصيهم إلا الله

(١) راجع (شرح الواسطية) للعثيمين و السلطان - راجع (مراتب الإجماع) لابن حزم ص : ٢٧

(٢) راجع (شرح الواسطية) لابن عثيمين ، و معجم المناهي اللفظية لبكر أبو زيد ، و (البداية و النهاية) لابن

٣/ نؤمن بصفة من علمنا منهم :

للهم فجبريل : رآه النبي صلى اله عليه و سلم على صورته التي خُلق عيها له ستائة جناح قد سد الأفق .

للهم و خزنة النار : غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون .

للهم منكر و نكير : و أنها أسودان أزرقان (١) .

٤/ أن نؤمن بعدد من علمنا منهم ، و من ذلك :

﴿ حملة العرش : قال تعالى: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ الحاقة: ١٧

﴿ الذين يصلون في البيت المعمور كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه ﴾ الذين يكتبون

الأعمال اثنان : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ق: ١٨

﴿ أن كبار خزنة النار و زبانياتها تسعة عشر : قال تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ

﴿ لَوَاحٍ لِّلْبَشَرِ ﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ المذثر ٢٧-٣٠ إلى غير ذلك مما جاء في الكتاب والسنة من

ذكر عدد بعض الملائكة (٢)

السادسة : أن نحبههم و نتقرب بحبههم إلى الله ،

لأنهم عباد لله طائعون لا يعصونه و لأمره يفعلون ، كما دل عليه كتاب الله و سنة رسوله صلى الله

عليه و سلم و أجمع عليه المسلمون . (٣)

أما الأدلة على حبههم فلأنهم عباد لله و يجب علينا محبة كل مؤمن خاضع عابد لله ،

(١) راجع (الصحيحة) رقم (١٣٩١)

(٢) راجع للاستزادة في الإيمان المفصل بالملائكة كتاب الأخ (عبدالرحمن بن هيثم الياضي : الجامع الصحيح من

أخبار الملائكة) بتقديم العلامة الوادعي عليه رحمة الله .

(٣) راجع (الإقناع في مسائل الإجماع) للحافظ أبي الحسن ابن القطان ص : ٤٥

﴿فَكَيْفَ لَا نَجِبُهُمْ وَهُمْ أَوْلِيَاءُ وَمَنَاصِرِينَ لَنَا : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ التحريم: ٤ ،

قال تعالى عن الملائكة : ﴿نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ فصلت: ٣١ ،
والولي : الناصر والمعين .

﴿كَيْفَ لَا نَجِبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ لَنَا ، قال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾

﴿كَيْفَ لَا نَجِبُهُمْ وَأَنْ مِنْهُمْ مَلَائِكَةٌ مَوْكِلُونَ بِحِفْظِ أَعْدَانِنَا أَنْ يَصِيبَهَا سُوءٌ وَمَكْرُوهٌ .

قال تعالى : ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ الأنعام: ٦١
قال ابن كثير رحمه الله: (أي من الملائكة يحفظون بدن الإنسان ، كقوله: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ الرعد: ١١

﴿كَيْفَ لَا نَجِبُهُمْ وَهُمْ يَشْفَعُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعْدَ إِذْنِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا ،

قال تعالى : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ الأنبياء: ٢٨ .

﴿تنبيه :

و قال تعالى : ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ

﴿البقرة: ٩٨

﴿يستفاد من هذه الآية أمور ، منها :

أن من عادى الملائكة كفر ، وأن من عادى الملائكة عاداه الله ،

قال تعالى : ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ البقرة: ٩٨. (١)

﴿وسبب نزول الآية ، روى البخاري عن أنس : (أن اليهود لما علموا أن جبريل هو الذي ينزل

بالوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا: ذاك عدو اليهود من الملائكة .)

السابعة : تفاضل الملائكة :

قال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ النساء

فهذا دليل على أن من الملائكة من هم مقربون ، مما يدل على أفضليتهم على غيرهم
وقد صح الحديث في أن أفضل الملائكة هم من شهد بدرًا : فقد روى البخاري بسنده عن رفاعه
قال : جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ ، قال : من
أفضل المسلمين أو كلمة نحوها ، قال جبريل : وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة .

❖ وقد نص جمع من أهل العلم أن أفضل الملائكة هم :

(جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل) .

وقد نقل ابن حزم في (مراتب الإجماع) الاتفاق أن جبريل و ميكائيل ملكان رسولان لله عز و
جل مقربان عظيمان عند الله تعالى .

أنه قد صح أن هؤلاء الثلاثة من الملائكة قد شهدوا بدرًا ، فقد روى البخاري بسنده عن ابن
عباس رضي الله عنهما قال يوم بدر : (هذا جبريل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب) رواه
البخاري .

❖ وروى أحمد و الحاكم و غيرهما عن علي رضي الله عنه قال : (قيل لعلي و لأبي بكر يوم بدر مع
أحدكما جبريل و مع الآخر ميكائيل و إسرافيل ملك عظيم يشهد القتال ، أو قال يشهد الصف)
وسنده صحيح .

❖ فائدة :

لماذا قدمت الملائكة على الرسل في قوله تعالى : ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ
آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ البقرة : ٢٨

و في قول النبي صلى الله عليه وسلم : (الإيمان أن تؤمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله) :

قال ابن حجر رحمه الله: (لا يلزم من ذلك أن يكونوا أفضل من الأنبياء ، إنما قدموا لتقدمهم في الخلق ، و لأنهم وسائط بين الله و بين الرسل في تبليغ الوحي و الشرائع ، فناسب أن يقدم الكلام فيهم على الأنبياء) (١) اهـ مختصر

الرابع من شعب الإيمان

الإيمان بالقرآن و جميع الكتب المنزلة قبله

لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ﴾ النساء: ١٣٦
وللآية و الحديث المذكورين أيضاً .

و الإيمان بالكتب نلخصه في مسائل :

❦ الأولى : أن الإيمان بالكتب ركن من أركان الإيمان.

أذ لا يصح إيمان العبد إلا بذلك للأدلة السابقة و إجماع الأمة .

❦ الثانية : أن الإيمان بالكتب ينقسم إلى قسمين :

أ) مجمل : الإيمان بكل كتاب نزل من عند الله عز و جل سواء علمناه أم لم نعلمه ، سماه الله في كتابه أو لم يسمه .

ب) مفصّل : و هو كالتالي : الإيمان بكل كتاب نزل من عند الله مما سماه الله في كتابه مع الرسول الذي أنزل عليه .

❧ فالتوراة : نزلت على موسى عيه السلام .

﴿و الإنجيل : نزلت على عيسى عليه السلام .

﴿و الزبور : أنزل على داود عليه السلام

﴿و القرآن : أنزل على محمد عليه الصلاة و السلام .

﴿و صحف إبراهيم عليه السلام . الإيمان بأن الله أنزل على رسله كتباً لا نعلمها .

﴿الكتب السماوية أنزلت في رمضان :

قال ابن كثير : (قد ورد الحديث بأنه الشهر الذي كانت الكتب الإلهية تنزل فيه على الأنبياء)

قال الإمام أحمد - ثم ذكر السند - عن واثلة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال: (أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان

والإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان وأنزل الله القرآن لأربع وعشرين خلت من

رمضان) (١) حسنه الألباني وشيخنا مقبل رحمهما الله

أما (القرآن) فقطعاً أنه نزل في رمضان ،

لقوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ البقرة : ١٨

و قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ { القدر : ١

﴿الرابعة: الإيمان بأن القرآن ناسخ لما قبله من الكتب فليس لأحد أن يتبع بعد بعثة محمد صلى

الله عليه وسلم غير القرآن .

قال ابن عثيمين رحمه الله : (و جميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم ، قال تعالى :

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ المائدة : ٤٨ ، و على

هذا فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح منها و أقره القرآن) (٢)

(١) راجع تفسيره عند سورة البقرة ، آية : ١٨٥

(٢) راجع (شرح الأصول الثلاثة)

الخامسة : أن الكتب السماوية كلام الله و صفة من صفاته ليست مخلوقة ، و هذا بإجماع أهل السنة ، و من خالف في ذلك فقد كفر .

و قد قال تعالى عن موسى : ﴿ وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ الأعراف : ١٤٣

و قال تعالى في القرآن: ﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ التوبة : ٦

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: (من قال القرآن مخلوق فهو عندنا كافر) (١)

السادسة : أول ما أنزل من القرآن :

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :

(أول ما نزل من القرآن على وجه الإطلاق قطعاً الآيات الخمس الأول من سورة العلق) .

و أما سورة المدثر: فقد قال جابر أنها أول ما نزل من القرآن كما ثبت في الصحيحين، قال ابن عثيمين هذه أولية مقيدة ، أي بعد فترة الوحي و انقطاعه ، فأول ما نزل على الإطلاق أوائل سورة العلق ، و أول ما نزل بعد فترة الوحي أوائل المدثر وقيل الخمس الأول من سورة العلق أول ما أنزل من الايات ، و أما سورة المدثر أول ما أنزل من السور كاملة (٢) .

السابعة: آخر ما نزل من القرآن :

❁ و أما آخر ما نزل من سور القرآن : وقد روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس : (إن آخر سورة نزلت من القرآن سورة النصر)

❁ و أما آخر الآيات نزولاً فقد اختلف في ذلك : جاء من حديث البراء أن آخر آية نزلت من القرآن قوله تعالى : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ﴾ النساء : ١٧٦

(١) راجع (السنة) لعبدالله بن أحمد بن حنبل رقم (١)

(٢) راجع (شرح أصول التفسير) لابن عثيمين ، ص : ١٤٨ و ما بعدها ، و راجع (البرهان في علوم القرآن) للزركشي (١)

لـ وروى و البخاري أيضاً من حديث ابن عباس : (أن آخر آية نزلت على النبي آية الربا) .

✎ قال الحافظ : وجه الجمع أن آية الربا المقصود أنها آخر ما أنزل في الربا : و الجمع بين حديث البراء و حديث ابن عباس أن الآيتين نزلتا جميعاً فيصدق أن كلاً منهما آخر يحتمل أن تكون الأخيرة في آية النساء مقيدة بما يتعلق بالمواريث مثلاً ، بخلاف آية البقرة . (١)

✎ الثامنة : أن القرآن منه ما هو مكّي و منه ما هو مدني .

فالمكي : ما نزل قبل هجرته إلى المدينة .

و المدني : ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة .

✎ و السور المدنية تسعة و عشرون سورة على الصحيح من أقوال أهل العلم .

و قد رجح العلامة الزركشي رحمه الله (٢) :

﴿ أن السور المكية المتفق عليها أو المختلف فيها و الراجح أنها مكية تبلغ خمساً و ثمانون سورة .

﴿ و أن السور المدنية المتفق عليها أو المختلف فيها و الراجح أنها مدنية تبلغ تسعاً و عشرون

سورة .

و قد نظمها الأخ فتح القدسي حفظه الله فقال (٣) :

المدني سورة مشتهره	✎✎	عشرون مع تسع ، و هنّ البقره
و اعدّد ثلاثاً بعد و المجادله	✎✎	و جزؤها فتح حديد زلزله
أحزاب رعد التوبة الإنسان	✎✎	محمد الأنفال و الرحمن
مطففين الحج نور بينه	✎✎	و الحجرات نصر خذها بينه

(١) راجع (صحيح البخاري) مع الفتح رقم (٤٥٤٤)

(٢) راجع (البرهان) (١ / ١٩٣ - ١٩٤)

(٣) و هو أحد طلبة شيخنا أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي عيه رحمة الله

❦ الخامس من شعب الإيمان ❦

الإيمان بأن القدر خيره و شره من الله عز و جل

لقوله تعالى : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ النساء : ٧٨ .

و لحديث أبي هريرة ؓ في الصحيحين : " احتج آدم وموسى ، فقال موسى : يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة ، فقال له آدم : أنت موسى ، اضطفاك الله بكلامه ، وخط لك بيده ، أتلومني على أمر قدره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟ " فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « فحج آدم موسى ، فحج آدم موسى »

❦ قوله : (من شعب الإيمان : الإيمان بأن القدر خيره و شره من الله عز و جل) .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ ، وقوله : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾

أي الجميع بقضاء الله وقدره ، وهو نافذ في البرّ والفاجر ، والمؤمن والكافر .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ أي : الحسنة والسيئة . وكذا قال

الحسن البصري . (١)

❦ قوله : (و لحديث أبي هريرة ؓ في الصحيحين " احتج آدم وموسى الخ

❦ و موضع الشاهد :

قوله : فقال له آدم : (أتلومني على أمر قدره الله قبل أن يخلقني بأربعين سنة)

قال النووي رحمه الله: (و معنى كلام آدم : أنك يا موسى تعلم أن هذا كتب علي قبل أن أخلق ، و قدر علي فلا بد من وقوعه ، و لو حرصت أنا و الخلائق أجمعون علي رد مثقال ذرة منه لم نقدر ، فلم تلومني علي ذلك) (١) أ. هـ .

قال النبي ﷺ : (فحاج آدم موسى) أي غلبه بالحجة .

قال ابن حجر : (إنها وقعت الغلبة لآدم من وجهين : أحدهما : أنه ليس لمخلوق أن يلوم مخلوقاً في وقوع ما قدر عليه إلا بإذن من الله تعالى ، فيكون الشارع هو اللائم ، فلما أخذ موسى في لومه من غير أن يؤذن له في ذلك عارضه بالقدر فأسكته ،

و الثاني : إن الذي فعله آدم اجتمع فيه القدر و الكسب ، و التوبة تمحو أثر الكسب ، و قد كان الله تاب عليه فلم يبق إلا القدر ، و القدر لا يتوجه عليه لوم لأنه فعل الله و لا يسأل عما يفعل) (١) أ. هـ .

قال ابن عبد البر : (هذه الحديث أصل جسيم لأهل الحق في إثبات القدر و أن الله قضى أعمال العباد فكل يصير لما قدر له بها سبق في علم الله) (١) أ. هـ .

و نلخص الكلام في القدر في مسائل :

الأولى : تعريف القدر لغة و شرعاً :

القدر لغةً : مصدر قدرت الشيء إذا أحطت بمقداره .

و القدر شرعاً : إن القدر هو علم الله السابق بالأشياء قبل وقوعها ، و كتابته لذلك في اللوح المحفوظ قبل خلقها و إيجادها و مشيئته النافذة الشاملة و خلقه عز و جل لكل ما قدر .

الثانية : الإبان بالقدر ينقسم إلى مجمل و مفصل :

الإبان المجمل : هو التصديق بأن الله سبحانه علم مقادير الأشياء و أزمانها قبل وجودها ثم كتبها في اللوح المحفوظ ثم أوجدها بقدرته و مشيئته في مواعيدها المقدرة .

الإيمان المفصل ، نلخص بعضه في مسائل :

١/ أن الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان الستة التي لا يصح إيمان العبد إلا إذا أقر به ، كما دل على ذلك الكتاب و السنة و إجماع الأمة و من خالف ذلك كفر . (١)

٢/ أن للإيمان بالقدر أربعة مراتب :

الأولى : علم الله الأزلي بكل شيء ، و من ذلك علمه بأعمال العباد قبل أن يعملوها ، و أدلة ذلك كثيرة من الكتاب و السنة ،

قال تعالى : ﴿ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ البقرة ٢٨٢ ، و قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾

الثانية : مرتبة الكتابة ، و هي أن الله كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلق فما يحدث شيء في الكون إلا و قد علمه الله ، و كتبه قبل حدوثه .

و من أدلة هذه المرتبة ما جاء من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنه مرفوعاً :

(كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات و الأرض بخمسين ألف سنة ، قال : و عرشه على الماء) رواه مسلم .

الثالثة : مرتبة المشيئة : و هو أن مشيئة الله شاملة لكل موجود في هذا الكون ، فلا يقع شيء في الكون إلا بمشيئة الله و إرادته سواء كان من أفعاله سبحانه و تعالى أو من أفعال خلقه فلا يقع

شيء من ذلك إلا بمشيئة الله . قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ آل عمران ٤٠

و قد ذكر ابن القيم أكثر من ستون آية من كتاب الله على إثباتها (١)

(١) راجع شرح عبدالعزيز الرشيد للواسطية راجع (شرح الطحاوية) للفوزان راجع (الإبانة) لابن بطة شرح الراجحي (٢ / ٥١٤)

الرابعة : مرتبة الخلق : وهو أن الله خالق لكل موجود ، وأنه الخالق و ما سواه مخلوق . قال تعالى : ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ الزمر ٦٢

﴿ الثالثة : أقسام الناس في القدر

الطرف الأول : القدرية : للذين يقولون أن الله لا يعلم الشيء إلا بعد وقوعه أو القائلون أن الله لم يقدر الشر .

الطرف الثاني : الجبرية : أخذوا به على أن العبد مجبور على أعماله من خير وشر فلا يصح أن يلام العبد على ما قدر عليه .

الطرف الثالث الوسط : أهل السنة و الجماعة : أخذوا بما دلت عيه النصوص أن الله خلق كل شيء و علم و كتب كل شيء قبل خلق السموات و الأرض بخمسين ألف سنة ، فلا يكون في ملكه إلا ما يشاء . (٢)

﴿ الرابعة : أقسام القضاء والقدر :

ينقسم القضاء والقدر الى قسمين كوني و شرعي :

الأول : القضاء والقدر الكوني : وهو الذي لا بد من وقوعه ، ويكون فيما يحبه الله وفيما لا يحبه وضابطه : أن كل ما وجد على الكون فهو من القضاء والقدر الكوني .

فمن ذلك : خلق إبليس فهو خلق بقدر الله وقضاه الكوني وإن كان غير محبوب لله ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ ﴾ سبأ ١٤

الثاني : قضاء و قدر شرعي : وهو لا يكون إلا مما يحبه الله و قد يقع و قد لا يقع ، و من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ . (١)

(١) راجع (شفاء العليل) لابن القيم (١ / ١٢٥) و ما بعدها

(٢) راجع كلام الشيخ ابن عثيمين و الشيخ الفوزان في شرح الواسطية

السَّادِس من شعب الإيمان

الإيمان بِالْيَوْمِ الْآخِرِ

لَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ} التَّوْبَةُ ٢٩
 قَالَ الْحَلِيمِيُّ: وَمَعْنَاهُ التَّصَدِيقُ بِأَنْ لَا يَأْمِ الدُّنْيَا آخِرًا وَأَنَّهَا مَنْقُضَةٌ وَهَذَا الْعَالَمُ مَنْقُضٌ يَوْمًا مَا فِيهِ
 الْإِعْتِرَافُ بِاتِّفَاقِهِ اعْتِرَافًا بِابْتِدَائِهِ إِذِ الْقَدِيمُ لَا يَعْني وَلَا يَتَغَيَّرُ
 "وَفِي الصَّحِيحَيْنِ" مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ
 وَثَوْبُهُمَا بَيْنَهُمَا لَا يَتَبَايَعَانَهُ وَلَا يَطْوِيَانَهُ"
 وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقَحْتِهِ فَلَا يَطْعُمُهُ،.....))

◀ قوله (الإيمان باليوم الآخر)

قال العلامة بن عثيمين: اليوم الآخر: يوم القيامة الذي يبعث الناس فيه للحساب والجزاء .
 وسمي بذلك لأنه لا يوم بعده (٢)

أن من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر به النبي مما يكون بعد الموت أمرين:
 (١) من فتنة القبر . (٢) عذاب القبر ونعيمه .

قال الشيخ الفوزان حفظه الله :

(الإيمان باليوم الآخر يعني الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت، ومن ذلك
 الإيمان بفتنة القبر وبعباد القبر ونعيمه). (٣)

(١) راجع (شفاء العليل) لابن القيم (٢/ ٢٨٧)

(٢) تيسير الوصول إلى معرفة الثلاثة الأصول في سؤال وجواب - (١ / ١٧٠)

(٣) راجع أصول الإيمان (ص ٤٤ / ٤)

هل عذاب القبر ونعيمه دائم أو منقطع ؟

قال ابن القيم : الجواب أنه نوعان:

نوع الأول دائم:

ويدل على دوامه لقوله تعالى: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا} (غافر: ٤٦).

"وفي الصحيح" في قصة الذي لبس بردين وجعل يمشي يتبختر فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة.

النوع الثاني : مدة ثم ينقطع:

وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم فيعذب بحسب جرمه ثم يخفف عنه كما يعذب في النار مدة ثم يزول عنه العذاب. وقد ينقطع عنه العذاب بدعاء أو صدقة أو استغفار أو ثواب حج. (١)

هل عذاب القبر ونعيمه على الروح فقط أم على الروح والبدن ؟

قال شيخ الإسلام :

فقد صرح الحديث بإعادة الروح إلى الجسد وباختلاف أضلاعه وهذا بين في أن العذاب على الروح والبدن مجتمعين. (٢)

ماهي فتنة القبر / وهل هي عامة لكل الناس ؟

« سئل شيخ الإسلام عن الفتنة ؟

أجاب: وأما الفتنة في القبور فهي الامتحان والاختبار للميت، حين يسأله الملك.

« لحديث أنس بن مالك، قال: قال نبي الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْعَبْدَ، إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نَعَالِهِمْ» قَالَ: " يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ

(١) راجع الروح لابن القيم (ص / ١١٩).

(٢) كما في مجموع الفتاوى - (٥ / ٥٢٥).

تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ " قَالَ: " فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ " قَالَ: " فَيَقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ " قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا» متفق عليه. قَالَ قَتَادَةُ: وَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَيُمْلَأُ عَلَيْهِ خَضِرًا، إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. "

وفي رواية: فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم محمد ؟ فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، فيقول المؤمن : الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد نبي.

٦) من الذي ينجو من فتنة القبر؟

ذكر أهل العلم أصناف يستثنون من فتنة القبر منهم:

١/ الأنبياء: لأنهم يسأل عنهم فلا يسألون، ولأنه قد دل الدليل على أن من هو أدنى منهم لا يفتن فهم من باب أولى.

٢/ الصديق : قال بعض أهل العلم أنهم لا يفتنون لأنه قد دل الدليل على أن من هو أدنى منهم لا يفتن فهو من باب أولى. ومن أهل العلم من رد ذلك.

قال ابن القيم رحمه الله: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْقُرْطُبِيُّ إِذَا كَانَ الشَّهِيدُ لَا يَفْتَنُ فَالْصَّدِيقُ أَجَلَ خَطَرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا أَنْ لَا يَفْتَنَ لِأَنَّهُ مُقَدَّمُ ذِكْرِهِ فِي التَّنْزِيلِ عَلَى الشُّهَدَاءِ. (١).

٣/ الشهيد: فقد صحح الشيخ الألباني عن راشد بن سعد عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن رجلاً قال يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد قال: « كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة » .

٤/ المرباط : لما رواه مسلم في صحيحه عن سلمان قال سمعت رسول الله يقول: « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات أجري عليه عمله الذي كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان» .

ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بعلامات الساعة الصغرى والكبرى :

ومن علامات الساعة الصغرى :

ما جاء " في الصحيحين " عن أبي هريرة أن رسول الله قال: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتَلَ فِتْنَانِ عَظِيمَتَانِ تَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعْوَتُهُمَا وَاحِدَةٌ، وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَحَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَفَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتْنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ وَهُوَ الْقَتْلُ، وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ، فَيَفِضَ حَتَّى يَهْمَ رَبَّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لَا أَرَبَ لِي بِهِ، وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي الْبُيَّانِ، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولَ يَا لَيْتَنِي مَكَانُهُ، ... وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ وَلَا يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لَفْحَتِهِ فَلَا يَطْعُمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يُلِيطُ حَوْضَهُ فَلَا يَسْقَى فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أَكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعُمُهَا.))

شرح الحديث:

قوله: (نشر الرجلان ثوبهما) ليتبايعاه. (لحقته) هي الناقة الحلوب. (يليط) يصلح ويطين.

(أكلته) لقمته. (فلا يطعمها) فلا يأكلها ويحول بينه وبين أكلها قيام الساعة فجأة وبأسرع من دفع اللقمة إلى الفم.

وما جاء في صحيح البخاري " عن عوف بن مالك، قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمَ، فَقَالَ: "اعْدُدْ سِتًّا يَنْ يَدِي السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مَوْتَانِ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظُلُّ سَاحِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ، فَيَعْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا "

شرح الحديث:

(قبة) كل بناء مدور. (أدم) جلد مدبوغ. (اعدد ستا) من العلامات. (بين يدي الساعة) قدام قيامها ومن أشرطها القريبة منها. (موتان) موت كثير الوقوع بسبب طاعون أو نحوه وكا في عهد عمر بن الخطاب. (كقصاص الغنم) داء يصيب الغنم فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجأة. (استفاضة المال) كثرته وزيادته عن الحد المعتاد.

● علامات الساعة الكبرى :

وأما العلامات الكبرى فقد جاء في الأحاديث الصحيحة أنها عشر علامات :

كما روى مسلم عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَطْلَعَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ فَقَالَ «مَا تَذَكَّرُونَ». قَالُوا نَذْكُرُ السَّاعَةَ. قَالَ «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ». فَذَكَرَ الدُّخَانَ وَالدَّجَالَ وَالدَّابَّةَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ خَسَفٌ بِالْمَشْرِقِ وَخَسَفٌ بِالْمَغْرِبِ وَخَسَفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مُحَشَرِهِمْ)).

وهذه العلامات منها :

(١) خروج المهدي : واسمه : "محمد بن عبدالله" ، لحديث عبد الله بن عمر ، رضي الله عنهما أنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي ، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً ، كما ملئت ظلماً وجوراً " . صححه الألباني .

(٢) خروج الدجال : لحديث النواس بن سمعان " في صحيح مسلم " «أنه يخرج من طريق بين

الشام والعراق فيدعو الناس إلى عبادته ، فأكثر من يتبعه اليهود والنساء والأعراب ويتبعه سبعون ألفاً من يهود أصبهان ، فيسير في الأرض كلها كالغيث استدبرته الريح إلا مكة والمدينة فيُمنع منهما ، ومدته أربعون يوماً ، يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وباقي أيامه كالعادة ، وهو

أعور العين مكتوب بين عينيه (ك ف ر) يقرؤه المؤمن فقط، وله فتنة عظيمة منها أنه يأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت، معه جنة ونار فجنته نار وناره جنة»

(٣) نزول عيسى ابن مريم عليه السلام: لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، لا يقبلها من كافر، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها» متفق عليه .

وفي رواية: "فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلب الدجال باباً لد فيقتله.."

(٤) خروج قوم يأجوج ومأجوج: لحديث النواس بن سمعان رضي الله عنه وفيه: "في صحيح مسلم" «إذ أوحى الله إلى عيسى أي قد أخرجت عبادي لا يدان لأحد بقتلهم فحرز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حذب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب إلى الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبث نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملاءهم ونبتهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله. ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة، ثم يقال للأرض أنبتي ثمرتك، وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها» . رواه مسلم . ثم يمكث ما شاء الله أن يمكث ثم يموت ويصلى عليه ويدفن.

لله قوله: (النَّعْفُ) بُنُونٌ وَعَيْنٌ مُعْجَمَةٌ مَفْتُوحَتَيْنِ ثُمَّ فَأَاءٌ وَهُوَ دُودٌ يَكُونُ فِي أَنْوْفِ الْإِبِلِ وَالْغَنَمِ الْوَاحِدَةُ نَغْفَةٌ.

٥) الخسوفات الثلاثة : لحديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، وذكر منها ثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب» متفق عليه. فهذه الخسوفات الثلاثة من الأشراف الكبرى التي لا تظهر إلا في آخر الزمان.

٦) الدخان: والأدلة عليه قال تعالى: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ - يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ}.

٧) خروج الدابة : من أشراف الساعة الكبرى تخرج دابة من الأرض في آخر الزمان تكلم الناس وتسميهم مؤمنا وكافرا، وذلك عند فساد الناس وتركهم أوامر الله تعالى. والأدلة على خروجها من الكتاب والسنة قال تعالى: {وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ}.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن معنى تكلمهم: "تجرهم"، بمعنى تكتب على جبين الكافر كافرا، وعلى جبين المؤمن مؤمنا".

قال الألباني رحمه الله: جميع الأدلة التي جاءت في وصف الدابة ضعيفة ولم يذكر الله ورسوله كيفية هذه الدابة.

٨) طلوع الشمس من مغربها:

من علامات الساعة الكبرى كما هو ثابت بالكتاب والسنة وإجماع العلماء. لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حيث لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا» متفق عليه.

٩) النار التي تحشر الناس وهي "نار تخرج من اليمن".

وفي رواية: "تخرج نار من قعر عدن تسوق الناس إلى أرض المحشر" أرض الشام وسياتي الكلام عنها في الشعبة الثامنة .

١٠) النفع في الصور للبعث . وهي آخر الآيات الكبرى والعلامات العظمى لأشراط الساعة وأول الآيات المؤذنة بقيام القيامة . وسياتي الكلام عنها في الشعبة القادمة.



السَّابِع من شعب الإيمان

الإيمان بِالْبَعْثِ بعد الموت

لَقَوْلِهِ تَعَالَى : {زَعِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ} (التغابن / ٧)
وَلَقَوْلِهِ تَعَالَى : {قُلْ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ} (الجنات / ٢٦)
وَلِحَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحِ فِي حَدِيثِ الْإِيمَانِ " الْإِيمَانُ أَنْ تَوَاضَعَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَبِالْبَعْثِ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ وَبِالْقَدَرِ كُلِّهِ "

◀ قوله : (البعث بعد الموت)

البعث : بفتح الباء وسكون العين ، قال في اللسان البعث الإحياء من الله للموتى ومنه قوله تعالى
ثم بعثناكم من بعد موتكم أي "أحييناكم" وبعث الموتى نشرهم ليوم البعث . انتهى
والبعث بمعنى الإخراج أي :

إخراج الناس من قبورهم بعد موتهم ، وهذا من معتقد أهل السنة والجماعة وثابت بالكتاب
والسنة والإجماع إجماع المسلمين ، بل إجماع اليهود والنصارى . (١)

﴿اعلم أَنَّ البَعْثَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ عَلَى أَوْجِهِ :

أَحَدُهُمَا : الإِرْسَالُ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : { ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى } (سورة الأعراف ، الآية : ١٠٣) معناه أَرْسَلْنَا .

الثاني : الإِثَارَةُ والتَّحْرِيكُ بَارِكُ ، أَوْ قَاعِدٌ يَقُولُ بَعَثْتُ الْبَعِيرَ فَانْبَعَثَ أَيِ أَثَرْتُهُ .

الثالث : وَالبَعْثُ أَيضاً الإِخْيَاءُ مِنْ اللَّهِ لِلْمَوْتَى ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : { ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ } (سورة البقرة ، الآية : ٥٦) أَيِ أَحْيَيْنَاكُمْ .

الرابع : وَالبَعْثُ النَّشْرُ ، بَعَثَ الْمَوْتَى : نَشَرَهُمْ لِيَوْمِ البَعْثِ .

وَمِنْ أَسْمَائِهِ عَزَّ وَجَلَّ الْبَاعِثُ : هُوَ الَّذِي يَبْعَثُ الْخَلْقَ ، أَيِ يُحْيِيهِمْ بَعْدَ الْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . " .

﴿قوله : لقوله تعالى ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى ﴾﴾

قال ابن كثير :

يقول تعالى مخبراً عن المشركين والكفار والملحدين أنهم يزعمون أنهم لا يبعثون : { قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ } أَيِ : لَتُخْبَرُنَّ بِجَمِيعِ أَعْمَالِكُمْ ، جَلِيلُهَا وَحَقِيرُهَا ، صَغِيرُهَا وَكَبِيرُهَا ، وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ { أَيِ : بَعَثَكُمْ وَمَجَازَاتِكُمْ .

وهذه هي الآية الثالثة التي أمر الله رسوله ﷺ أن يقسم بربه ، عز وجل ، على وقوع المعاد ووجوده :

فالأولى في سورة [يونس : ٥٣] : { وَيَسْتَنْبِئُوكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ } .

والثانية في سورة [سبا : ٣] : { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَكُمُ } الآية

والثالثة هي هذه { زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ


عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } (١)

◀ وقوله: {مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى}

قال الإمام القرطبي: ومذهب أهل السنة والجماعة أن أجساد بني آدم الدنيوية تعاد بأعيانها وأعراضها بلا خلاف بينهم حتى أن بعضهم قال: "بأوصافها فيعاد الوصف أيضاً: كما يعاد الجسم واللون" اهـ (٢)

◀ وقوله: ولحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الصحيح في حديث

الإيمان: ((الإيمان أن تؤمن.....وبالبعث بعد الموت...))

ذكر البعث في جملة اعتقاد أهل السنة والجماعة: ليرد على من أنكر بعث الأجساد، وهم الفلاسفة الذين قالوا: إن ما أخبرت به الملائكة إنما هو تخيل، يعني وهم وخيال ليس له حقيقة، قالوا: والبعث لا يكون للأبدان إنما يكون للأرواح، وعلى هذا ابن سينا ومن سار في طريقه من المتفلسفة المنتسبين للإسلام، فإنهم ينكرون ما أخبرت به الرسل من بعث الأرواح والأبدان.  قال ابن حجر رحمه الله: وقيل أن البعث وقع مرتين:

الأولى: الإخراج من العدم إلى الوجود أو من بطون الأمهات بعد النطفة والعلقة إلى الحياة الدنيا والثانية: البعث من بطون القبور إلى محل الاستقرار. (٣)

فائدة:

كان منهج القرآن الكريم في استدلاله على البعث كما يلي:

أولاً: الاستدلال على البعث بمن أماتهم الله ثم أحياهم. كما أخبر تعالى عن ذلك ومنها خمس قصص في سورة البقرة:

(١) تفسير ابن كثير - (٨ / ١٣٦)

(٢) التذكرة ص ١٨

(٣) شرح الطحاوية - فتح الباري - ابن حجر - (١ / ١١٨)

١ - قوم موسى .

قال تعالى: {وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ
تَنْظُرُونَ} * ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ { (البقرة / ٥٥ / ٥٦)

وقيل: إن الذين أخذتهم الصاعقة هم السبعون الذين اختارهم موسى ذلك أنهم لما أسمعهم
كلام الله - تعالى - قالوا له بعد ذلك {لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ} والإيمان بالأنبياء واجب بعد ظهور
معجزاتهم. فأرسل الله إليهم ناراً من السماء فأحرقتهم ثم دعا موسى ربه فأحياهم .

٢ - المضروب بعضو من أعضاء البقرة :

كما قال تعالى: {وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا
كَذَلِكَ يُخَيِّبُ اللَّهُ الْمُؤْتَى وَيُريكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}

(البقرة / ٧٣). قيل: أن المقتول ضرب بعضو من أعضاء تلك البقرة التي أمرهم الله أن يذبحوها
كما قال موسى لهم {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً} ١ فلما ضرب به حيي وأخبر بقاتله ثم عاد
ميتاً كما كان.

٣ - وهؤلاء قوم من بني إسرائيل وقع فيهم الوباء ففروا هارين . -

الذين أخبر الله عنهم بقوله - تعالى - : {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ
فَقَالَ لَهُمْ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ} (البقرة / ٢٤٣)

قال ابن عباس: "كانوا أربعة آلاف خرجوا فراراً من الطاعون وقالوا نأتي أرضاً ليس بها موت
فأماتهم الله - تعالى - فمهر بهم نبي فدعا الله فأحياهم".

٤ - إحياء عزيز عليه السلام وهو الذي مر على القرية :

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: "وهذا هو القول المشهور والقرية المشهورة هي بيت المقدس
مر عليها عزيز بعد تخريب بختنصر لها وقتل أهلها".

قوله تعالى: {الَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (البقرة / ٢٥٩)

٥ - سؤال إبراهيم عليه السلام عن كيفية إحياء الموتى

قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْأً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}.

وقد ذكر المفسرون: لسؤال إبراهيم عليه السلام هذا أسباباً منها: أنه لما قال لنمرود {رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ} أحب أن يترقى من علم اليقين بذلك إلى عين اليقين، ذلك مشاهدة" ولم يكن إبراهيم عليه السلام بسؤاله ذلك شاكاً في قدرة الله - تعالى - قطعاً.

٦ - ما أخبر الله به عن عيسى عليه السلام من أنه كان يحيي الموتى بإذن الله

كما قال تعالى: {وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ}.

٧ - ما أخبر الله به من قصة أهل الكهف من أنهم لبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً ثم بعثهم الله بعد هذه المدة الطويلة.

وهذه الأدلة التي قدمناها أدلة مادية حسية وقعت كلها لتدل على إحياء الموتى بعد مماتهم، وهذا برهان قطعي على القدرة الإلهية، وقد أخبر الله ورسوله عن وقوع البعث والحشر فوجب القطع بذلك لأنه أخبر به من ثبت صدقه عمن ثبت قدرته فالآيات المتقدمة فيها دلالات واضحة على قدرة الله تعالى. (١)

(١) مباحث العقيدة في سورة الزمر (ص: ٥٧٧)

❧ مسألة: كيفية البعث ؟

اختلف اهل العلم في عدد النفخ في الصور إلى قولين :

❧ القول الأول أنه ينفخ إسرافيل في الصور نفختين :

الأولى : يحصل بها الفرع ثم الصعق .

والثانية : يحصل بها البعث، والخروج من القبور .

ورجح هذا القول: جماعة من أهل العلم ومن أدلتهم على هذا القول :

١/ من القرآن

قال تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) [الزمر: ٦٨] .

وقد سمي القرآن النفخة الأولى بالراجفة، والنفخة الثانية بالرادفة، قال تعالى:

(يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ) (٦) تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ) [النازعات: ٦-٧] .

وفي موضع آخر سمي الأولى بالصيحة، وصرح بالنفخ بالصور في الثانية،

قال تعالى: (مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ* فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ* وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ) [يس: ٤٩-٥١] .

٢/ ومن السنة:

وقد جاءت الأحاديث النبوية مصرحة بالنفختين، ففي صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة

رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ما بين النفختين أربعون " . قالوا: يا أبا

هريرة، أربعون يوماً؟ قال: أبليت . قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبليت، قالوا: أربعون سنة؟ قال:

أبيت " .

قال ابن حجر رحمه الله :

وقول أبي هريرة - رضي الله عنه - : "أبيت" : فيه ثلاث تأويلات :

أولها : امتنعت من بيان ذلك لكم . وقيل : أبيت أسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وقيل : نسيت . وقيل : إن سر ذلك لا يعلمه إلا الله ؛ لأنه من أسرار الربوبية .

✽ القول الثاني : ومن أهل العلم من قال أنها ثلاث نفحات :

قال السفاريني : "واعلم أن النفخ في الصور ثلاث نفحات :

النفخة الأولى : "نفخة الفزع" :

وهي التي بها هذا العالم ، ويفسد نظامه ، وهي المشار إليها في قوله تعالى : {وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ} ٢ ؛ أي : من رجوع ومرد ، وقوله : {وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ} وإنما يحصل الفزع بشدة ما يقع من هول تلك النفخة

النفخة الثانية : "نفخة الصعق" :

وفيها هلاك كل شيء ، قال تعالى : {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ} وقد فسر الصعق بالموت ... "

النفخة الثالثة : "نفخة البعث والنشور" :

وقد جاء في الكتاب العزيز آيات تدل عليها ، وأخبار تشير إليها ؛ كقوله تعالى : {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ} ١ ، وقوله : {ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} ، لله وأكثر أهل العلم على القول الأول وأنها نفختين . (١)

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد (ص : ٢٥٠)

❦ مسألة من ينفخ في الصور ؟

هو إسرأفيل عليه السلام ينفخ في الصور فتخرج أرواح الخلائق :
وهو قرن من نور، تجمع فيه فيه أرواح الخلائق ثم ينفخ في الصور فتخرج كل روح لصاحبها ،
وقال مجاهد: كالبوبق.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الصُّورُ؟ " قَالَ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ . أخرجه أحمد . وصححه العلامة الألباني في ((الصحيحة))

❦ مسألة : من أول من يبعث وتنشق عنه الأرض ؟

وأول من يبعث وتنشق عنه الأرض هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما جاء في صحيح مسلم
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أنا سيد ولد آدم يوم
القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع .. وأول مشفع "

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ: رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَرَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ
الْمُسْلِمُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى الْعَالَمِينَ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْعَالَمِينَ،
قَالَ: فَغَضِبَ الْمُسْلِمُ عِنْدَ ذَلِكَ فَلَطَمَ وَجْهَ الْيَهُودِيِّ، فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ الْمُسْلِمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُخَيِّرُونِي
عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ فِي أَوَّلِ مَنْ يُفَيَّقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ
الْعَرْشِ، فَلَا أَذْرِي أَكَانَ مُوسَى فِيْمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَسْنَى اللَّهُ» متفق عليه.

❦ مسألة : كيفية البعث ؟

وقد جاءت الأحاديث مخبرة بأنه يسبق النفخة الثانية في الصور نزول ماء من السماء، فتنبت منه
أجساد العباد.

كما جاء في صحيح مسلم :

"ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لَيْتًا وَرَفَعَ لَيْتًا، قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ، قَالَ: فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ - أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللَّهُ - مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوْ الظِّلُّ - نُعْمَانُ الشَّائِئُ - فَتَنْبَتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ. (١)

قال النووي: قوله: (وأصغى) أمال قوله: (أصغى ليتًا ورفع ليتًا): الليت بكسر اللام وآخره مثناة

فوق وهي صفحة العنق وهي جانبه .

قَوْلُهُ: (وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ) أَيِ يُطِينُهُ وَيُصْلِحُهُ
قَوْلُهُ: (كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوِ الظِّلُّ) قَالَ الْعُلَمَاءُ الْأَصَحُّ الطَّلُّ بِالْمُهْمَلَةِ وَهُوَ الْمَوَافِقُ لِلْحَدِيثِ الْآخِرِ أَنَّهُ
كَمَنِي الرَّجَالِ. (٢)

وتنبت الأجساد من التراب بعد إنزال الله ذلك الماء الذي ينبتها يياثل إنبات النبات من الأرض
إذا نزل عليها الماء من السماء في الدنيا، ولذا فإن الله قد أكثر في كتابه من ضرب المثل للبعث
والنشور بإحياء الأرض بالنبات بعد نزول الغيث، قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ
يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ
كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) [الأعراف: ٥٧] . وقال في موضع آخر: (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ
الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقِنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَخْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ) [فاطر: ٩] .
وكما جاء في صحيح مسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ
يَأْكُلُهُ التُّرَابُ، إِلَّا عَجَبَ الذَّنْبِ مِنْهُ، خُلِقَ وَفِيهِ يَرْكَبُ»

(١) راجع تفسير سورة الزمر، فتح الباري: (١١ / ٥٥١) مسند أحمد ط الرسالة (١١ / ٥٣) القيامة الكبرى (ص:

(٢) شرح النووي على مسلم (١٨ / ٧٦)

وفي رواية: «ثُمَّ يُنَزَّلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ، كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ» قَالَ: «وَكَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَلِي، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنْبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»
 (عَجْبُ الذَّنْبِ): هُوَ بَفَتْحِ الْعَيْنِ وَإِسْكَانِ الْحِيمِ أَيْ الْعَظْمُ اللَّطِيفُ الَّذِي فِي أَسْفَلِ الصُّلْبِ وَهُوَ رَأْسُ الْعُضْعُصِ.

والإنسان يتكون في اليوم الآخر من عظم صغير، عندما يصيبه الماء ينمو نمو البقل، هذا العظم. وهذا مخصوص فيخص منه الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فإن الله حرم على الأرض أجسادهم كما دلت النصوص الصحيحة أن أجساد الأنبياء لا يصيبها البلى والفناء الذي يصيب أجساد العباد، ففي الحديث الذي يرويه أبو داود، وصححه ابن خزيمة وغيره: "إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء" (١)



الثامن من شعب الإيمان

الإيمان بحشر الناس بعدما يبعثون من قبورهم الى الموقف

لَقَوْلِهِ تَعَالَى {أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} المطففين ٤
 وَلِحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ:
 "يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ فِي رِشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ".

تعريف: الحشر لغة: هو الجمع،

وشرعاً: هو جمع الخلائق يوم القيامة في صعيد واحد إلى ربهم: إي لخالقهم ومعبودهم.

(١) شرح النووي على مسلم (١٨ / ٩٢) القيامة الكبرى (ص: ٥٩)

❧ مسألة : أنواع الحشر ؟

حشر في الدنيا وهو الحشر الذي يكون آخر علامات الساعة :

وهو المذكور في أشراف الساعة، وهي : "نارتخرج من قعر عدن تحشر الناس من المشرق إلى المغرب"؛ كما جاء عن عَن حذيفة بن أسيد الغفاري قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ. فَقَالَ: «مَا تَذْكُرُونَ؟». قَالُوا: نَذْكُرُ

// / السَّاعَةِ. قَالَ: "إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْا قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ فَذَكَرَ الدُّخَانَ وَالْجَالَ وَالِدَابَّةَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَنُزُولَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسَفٌ بِالشَّمْسِ وَخَسَفٌ بِالْمَغْرِبِ وَخَسَفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مُحْشَرِهِمْ". وَفِي رِوَايَةٍ: «نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنَ تَسُوقُ النَّاسَ إِلَى الْمُحْشَرِ». وَفِي رِوَايَةٍ فِي الْعَاشِرَةِ «وَرِيحٌ تُلْقِي النَّاسَ فِي الْبَحْرِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ

وجاء عن أَنَسٍ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ نَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ» صحيح البخاري

❧ مسألة :

كيف الجمع بين الروايات :فقد جاء في بعض الروايات بأن خروجها يكون "من اليمن، " وفي بعضها الآخر " أنها تحشر الناس من المشرق إلى المغرب " وفي بعضها الآخر " أنها نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنَ ؟"

فيجاب عن ذلك بأجوبة منها قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:

١ - أنه يمكن الجمع بين هذه الروايات بأن كون النار تخرج "من اليمن" ويكون خروجها من قعر عدن لا ينافي حشرها الناس من المشرق إلى المغرب، وذلك أن ابتداء خروجها من قعر عدن فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها، والمراد بقوله صلى الله عليه وسلم: «تحشر الناس من المشرق إلى المغرب» إرادة تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب.

٢ - أن النار عندما تنتشر يكون حشرها لأهل المشرق أولاً، ويؤيد ذلك أن ابتداء الفتن دائماً من المشرق.. (١)

مسألة: المكان الذي فيه تحشر النار فيه الناس آخر الزمان؟

مكان الحشر الذي يكون الحشر إليه في آخر الزمان في الدنيا هو الشام كما صحت بذلك الأحاديث الكثيرة منها:

١/ عن بهز بن حكيم بن معاوية القشيري، عن أبيه، عن جده قَالَ: "قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أين تأمرني؟ فقال: ها هنا، وأوماً بيده نحو الشام، قال: إنكم محشورون رجالاً وركبائاً، ومُجْرُونَ على وجوهكم". (أخرجه أحمد صححه العلامة الالباني)

٢ - حديث أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الشام أرض المحشر والمنشر» (صححه العلامة الالباني) إلى غير ذلك من الأحاديث.

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: "وفي تفسير ابن عيينة عن ابن عباس رضي الله عنهما: «من شك أن المحشر ههنا، يعني الشام، فليقرأ أول سورة الحشر، قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يومئذ اخرجوا"، قالوا: إلى أين؟ قال: "إلى أرض المحشر".

مسألة: زمان الحشر وكيفيته؟ ويحشرون على ثلاثة أفواج:

الفوج الأول: فوج راغبون طاعمون كاسون راكبون.

الفوج الثاني: وفوج يمشون تارة ويركبون أخرى يعتقبون على البعير الواحد

اثنان على بعير وثلاثة على بعير إلى أن قال: وعشرة على بعير يعتقبونه

والفوج الثالث: تحشرهم النار فتحيط بهم من ورائهم، وتسوقهم من كل جانب إلى أرض المحشر، ومن تخلف منهم أكلته النار.

ومما جاء من الأحاديث في بيان كيفية حشر هذه النار للناس:

- ١ - روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((يحشر الناس على ثلاث طرائق: راغبين راهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير. وتحشر بقيتهم النار، تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا). متفق عليه.
- ٢ - وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((تبعث نار على أهل المشرق فتحشروهم إلى المغرب تبيت معهم حيث باتوا، وتقبل معهم حيث قالوا، يكون لها ما سقط منهم وتخلف، وتسوقهم سوق الجمل الكبير)).

ﷻ وذهب جماهير العلماء إلى أن هذا الحشر يكون في الدنيا قبل قيام الساعة حيث يحشر الناس أحياء إلى الشام، وأما الحشر من القبور إلى الموقف فهو على خلاف الصورة الواردة في حشر الناس إلى الشام. وبهذا يتبين أن الحشر الوارد في الأحاديث السابقة إنما يكون في الدنيا قبل يوم القيامة.

و حشر في الآخرة: وهو يكون بعد النفخة الثانية وهو خروج الناس من قبورهم والكلام عليه في مسائل:

المسألة الأولى: صفة حشر العباد:

وعن عائشة قالت سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً" قالت: يا رسول الله، الرجال والنساء جميعاً، ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: "يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض" غرلاً: أي غير محتونين. متفق عليه.

ﷻ وأول من يكسى من عباد الله نبي إبراهيم خليل الرحمن:

ففي صحيح البخاري عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل"

المسألة الثانية : صِفَةُ أَرْضِ الْمُحْشَرِ .

الأرض التي يحشر العباد عليها في يوم القيامة أرض أخرى غير هذه الأرض، قال تعالى: (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) [إبراهيم: ٤٨] . وقد حدثنا الرسول صلى الله عليه وسلم عن صفة هذه الأرض الجديدة التي يكون عليها الحشر، ففي صحيح البخاري ومسلم عن سهل بن سعد قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي " قال سهل أو غيره: " ليس فيها معلم لأحد " .

قال الخطابي: العفر: بياض ليس بناصع. وقال عياض: العفر بياض يضرب إلى حمرة قليلاً. وقال ابن فارس: معنى عفراء خالصة البياض .

والنَّقِيّ: فتح النون وكسر القاف، أي: الدقيق النقي من الغش والنخال.

والمعلم: العلامة التي يُهْتَدَى بها إلى الطريق، كالجبل والصخرة.

ثم يقومون الناس من قبورهم فتحدث التغيرات الكونية من هَوْلٍ وَفَزَعٍ وَزَلْزَالٍ وَبَلْبَالٍ كَائِنُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي الْعُرْصَاتِ بَعْدَ الْقِيَامِ مِنَ الْقُبُورِ، وَاخْتَارَ ذَلِكَ ابْنُ جَرِيرٍ، وَاحْتَجَّ بِأَحَادِيثَ: عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَهُوَ فِي بَعْضِ أَصْفَارِهِ: وَقَدْ تَفَاوَتْ بَيْنَ أَصْحَابِهِ السَّيْرُ رَفَعَ بَهَاتَيْنِ الْأَيْتَيْنِ صَوْتَهُ {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ، يَوْمَ تَرَوْهَا تَذْهَلُ} [الحج: ٢] حَتَّى بَلَغَ آخِرَ الْأَيْتَيْنِ قَالَ: فَلَمَّا سَمِعَ أَصْحَابُهُ بِذَلِكَ حَثُّوا الْمُطَيَّ، وَعَرَفُوا أَنَّهُ عِنْدَ قَوْلٍ يَقُولُهُ، فَلَمَّا تَأَشَّبُوا حَوْلَهُ قَالَ: " أَتَدْرُونَ أَيَّ يَوْمٍ ذَاكَ؟ " قَالَ: " ذَاكَ يَوْمٌ يَنَادِي آدَمُ فِينَادِيهِ رَبُّهُ فَيَقُولُ: يَا آدَمُ ابْعَثْ بَعْثًا إِلَى النَّارِ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمَائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ إِلَى النَّارِ، وَوَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ " . صححه الألباني.

بَابُ يُسَمَّى الرِّيَّانَ، لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ متفق عليه .

﴿ثالثا: ذكر أول من يفتح له باب الجنة وأول من يقرعه.

ما جاء في صحيح مسلم: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنِّي بَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْحَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ"

﴿رابعا: ذكر مفتاح الجنة .

"وَقِيلَ لَوَهَبِ بْنِ مُبَشَّةٍ: أَلَيْسَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «بَلَى، وَلَكِنْ لَيْسَ مِفْتَاحٌ إِلَّا لَهُ أَسْنَانٌ، فَإِنْ جِئْتَ بِمِفْتَاحٍ لَهُ أَسْنَانٌ فَتُحَلَّكَ، وَإِلَّا لَمْ يُفْتَحْ لَكَ» إِلَّا اللَّهُ. "صحيح البخاري

﴿خامسا : ذكر سعة أبواب الجنة .

جاء في صحيح مسلم : عَنْ خَالِدِ بْنِ عُمَيْرٍ الْعَدَوِيِّ، قَالَ: خَطَبَنَا عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، «فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنْتَ بِصَرْمٍ وَوَلَّتْ حَذَاءً، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ،.... وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيحِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَطِيطٍ مِنَ الزَّحَامِ»

﴿سادسا : ذكر أول زمرة تدخل الجنة .

جاء في صحيح مسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ يَلُوتُهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوَكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لَا يُولُونَ وَلَا يَتَغَوِّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَتَفَلُّونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَبِحَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ، وَأَزْوَاجُهُمُ الْخُورُ الْعَيْنُ، أَخْلَافُهُمْ عَلَى خُلُقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ» متفق عليه

﴿سابعا: ذكر درجات الجنة وأعلى منزلة في الجنة واسمها.

ما جاء في صحيح البخاري : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ

السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ - أَرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ، عَنْ أَبِيهِ: وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ (الفردوس) هو البستان الذي يجمع ما في البساتين كلها من شجر وزهر ونبات. (أوسط الجنة) أفضّلها وخيرها.

وجاء في صحيح البخاري: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: أُصِيبَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَدْرٍ وَهُوَ غُلَامٌ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَرَفْتَ مَنْزِلَةَ حَارِثَةَ مِنِّي، فَإِنْ يَكُنْ فِي الْجَنَّةِ أَصْبِرْ وَأَحْتَسِبْ، وَإِنْ تَكُ الْأُخْرَى تَرَى مَا أَصْنَعُ، فَقَالَ: «وَيْحَكَ، أَوْهَبِلْتَ، أَوْجَنَّتْ وَاحِدَةٌ هِيَ، إِنَّهَا جَنَّاتٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ»

ثم ثامنا: ذكر أفضل ما يعطى أهل الجنة:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ؟ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ نَعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَآيُ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا" متفق عليه

ثم تاسعا: ذكر وصف الجنة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللَّهُ «أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِن شِئْتُمْ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ»

مُصَدِّقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}

[السجدة: ١٧] "متفق عليه.

ذكر الخيام في الجنة:

عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ خَيْمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ، عَرْضُهَا سِتُونَ مِيلًا، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ مَا يَرَوْنَ الْآخِرِينَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ، وَجَنَّاتٍ مِنْ فِضَّةٍ، أَيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّاتٍ مِنْ كَذَا، أَيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِداءُ الْكَبِيرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةٍ عَذْنٍ» متفق عليه

ذكر غرف الجنة :

ما في صحيح مسلم: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ الْغُرَفَةَ فِي الْجَنَّةِ كَمَا تَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ فِي السَّمَاءِ»
عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفَةً يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَلَانَ الْكَلَامَ، وَتَابَعَ الصَّيَّامَ وَصَلَّى وَالنَّاسُ نِيَامٌ " صححه الالباني

ذكر شجر الجنة

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً، يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا» متفق عليه
عن ابي سعيد، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً، يَسِيرُ الرَّاكِبُ الْجَوَادُ الْمُضْمَرَّ السَّرِيعَ مِائَةَ عَامٍ مَا يَقْطَعُهَا» أخرجه البخاري .

ذكر أنهار الجنة :

ما في صحيح البخاري: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا عُرِجَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: " أَتَيْتُ عَلَى نَهْرٍ، حَافَتَاهُ قَبَابُ اللَّوْلُؤِ مُجَوَّفَا، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ "

ذكر ثمر الجنة :

ما جاء في صحيح البخاري : عن عبد الله بن عباس قال خسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . . قالوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ ثُمَّ رَأَيْنَاكَ كَعَكَعْتَ ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ ، فَتَنَاوَلْتُ عُقُودًا ، وَلَوْ أَصَبْتُهِ لَأَكَلْتُ مِنْهُ مَا بَقِيََتِ الدُّنْيَا ، وَأَرَيْتُ النَّارَ ، فَلَمْ أَرِ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ » قالوا : بِمِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « بِكُفْرِهِنَّ » قِيلَ : يَكْفُرْنَ بِاللَّهِ ؟ قَالَ : « يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا ، قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ »

ذكر أول طعام يأكله أهل الجنة

ما في صحيح البخاري : أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ ، بَلَغَهُ مَقْدَمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فَأَتَاهُ يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءَ ، فَقَالَ : .. وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ ؟ ، فقال " وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فزِيَادَةُ كَبِدِ الْحَوْتِ ، ... "

(فزيادة كبد الحوت) هي القطعة المنفردة المتعلقة بالكبد وهي أطيبها وألذها .

ذكر سوق الجنة :

ما في صحيح مسلم : عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا ، يَأْتُونَهَا كُلُّ جُمُعَةٍ ، فَتَهْبُ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ ، فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدْ اِزْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا ، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ : وَاللَّهِ لَقَدْ اِزْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا ، فَيَقُولُونَ : وَأَنْتُمْ ، وَاللَّهِ لَقَدْ اِزْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا "

ذكر لباس أهل الجنة واعمارهم :

ما في صحيح مسلم : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبْئَسُ ، لَا تَبْلُ ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى سَبَابُهُ »

ذكر أعمار أهل الجنة وصورهم:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرَدًا، مُرَدًّا، بِيضًا، جَعَادًا، مُكْحَلِينَ، أَبْنَاءَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ، عَلَى خَلْقِ آدَمَ، سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي عَرْضِ سَبْعِ أَذْرُعٍ".

صحيح الاسناد راجع مسند أحمد ط الرسالة

ذكر نساء أهل الجنة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلْبِجُ الْجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ..... وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، يُرَى مَخْ سَوْقِيهَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا» متفق عليه

رواية مسلم: "وَمَا فِي الْجَنَّةِ أَغْزَبُ".

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَرَوْحَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ غَدَوَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا،....، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَطْلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْهُ رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» متفق عليه .

ذكر أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم يدخلون الجنة قبل الأمم.

ما جاء صحيح البخاري: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ فِي قُبَّةٍ، فَقَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُجْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنِّي لَا رَجُوعَ أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَحْمَرِ» متفق عليه .

مما ذكر أدنى أهل الجنة منزلة وآخرهم دخولا.

ما جاء في صحيح مسلم: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، رَجُلٌ يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا، فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلَأَى، فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ"، قَالَ: "فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلَأَى، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهَا - أَوْ إِنَّ لَكَ عَشْرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا -"، قَالَ: "فَيَقُولُ: أَتَسْخَرُ بِي - أَوْ أَتَضْحَكُ بِي - وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟"، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، قَالَ: "فَكَانَ يُقَالُ: ذَاكَ أَذْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً"

✻ ذكر النار وأهلها.

ما في صحيح البخاري: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ»، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً قَالَ: «فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا»

وجاء في صحيح مسلم: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يُجْرُونَهَا»

﴿سعتها﴾:

عن خالد بن عمير قال خطب عتبة بن غزوان رضي الله عنه فقال إنه ذكر لنا أن الحجر يلقي من سفير جهنم فيهوي فيها سبعين عاما ما يدرك لها قعرا والله لتملأن أفعجتهم؟ رواه مسلم.

﴿عظم أجساد أهل النار﴾.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا بَيْنَ مَنْكِبَيِ الْكَافِرِ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ» متفق عليه

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ضُرْسُ الْكَافِرِ، أَوْ نَابُ الْكَافِرِ، مِثْلُ أَحَدٍ وَغُلْظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ» صحيح مسلم

وفي رواية للترمذي قال "إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعا وإن ضرسه مثل أحد وإن مجلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة" (حسنه الألباني)

﴿تفاوتهم في العذاب وذكر أهونهم عذابا.﴾

سَمِعْتُ الثُّعْمَانَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَرَجُلٌ، تَوَضَّعَ فِي أَحْصَى قَدَمَيْهِ جَمْرَةً، يَغْلِي مِنْهَا دِمَاعُهُ». متفق عليه

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ مُتَتَعِّلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ» رواه مسلم

عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى حُجْرَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى تَرَفَتَيْهِ» رواه مسلم

﴿ذكر طعام أهل النار وشرابهم.﴾

{أَذْلِكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ * فَإِنَّهُمْ لَا كَيْلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ {

قال الإمام السعدي: فهذا طعام أهل النار، فبئس الطعام طعامهم، ثم ذكر شرابهم فقال: {ثُمَّ إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ} أي: على أثر هذا الطعام {لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ} أي: ماء حارا، قد انتهى، كما قال تعالى: {وَأَن يَسْتَعِثُّوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَأَلْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا} وكما قال تعالى: {وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ}.

حكمة :

قال ابن أبي العز : اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن ولم يزل أهل السنة على ذلك حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية فأنكرت ذلك وقالت : بل ينشئها الله يوم القيامة ، وهذا رد منهم لأدلة الكتاب والسنة وإجماع السلف.

ومن الأدلة :

﴿قوله تعالى {بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}﴾

ومن السنة : ما جاء صحيح مسلم

﴿عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " إِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، يُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ، حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "﴾

روى البخاري في صحيحه من حديث عمران بن حصين قال : بلغني أن رسول الله ﷺ قال : « اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء واطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء »

عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « أريتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة وسمعت خشفة أمامي قلت من هذا يا جبريل قال هذا بلال قال ورأيت قصرا أبيض بفناءه جارية فقلت لمن هذا القصر قالت هذا لعمر بن الخطاب فأردت أن أدخله فأنظر إليه فذكرت غيرتك فقال عمر بأبي أنت وأمي يا رسول الله أو عليك أغار . » (إسناده صحيح على شرط البخاري).

العَاشِر من شعب الإيمان

الإيمان بِوُجُوبِ محبة الله عز وجل

لَقَوْلِهِ تَعَالَى {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} الْبَقَرَةُ ١٦٥

وَلِحَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ: "ثَلَاثٌ مَنْ كُنَ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَ حِلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تَوْقِدَ لَهُ نَارٌ فَيَقْذِفَ فِيهَا".

◀ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ}

قال ابن القيم رحمه الله :

أن من أحب من دون الله شيئاً كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله أنداداً فهذا ند في المحبة لا في الخلق والربوبية فإن أحداً من أهل الأرض لم يثبت هذا الند في الربوبية بخلاف ند المحبة فإن أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أنداداً في الحب والتعظيم ثم قال والذين آمنوا أشد حبا لله وفي تقدير الآية قولان:

أحدهما : والذين آمنوا أشد حبا لله من أصحاب الأنداد لأناداهم وآلهتهم التي يحبونها ويعظمونها من دون الله

والثاني : والذين آمنوا أشد حبا لله من محبة المشركين في الأنداد فإن محبة المؤمنين خالصة ومحبة أصحاب الأنداد قد ذهبت أندادهم بقسط منها والمحبة الخالصة أشد من المشتركة (١)

(١) التفسير القيم لابن القيم - (١ / ٢٤٨)

« وقوله : عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، " وجاء في رواية : " وجد طعم الإيمان وحلاوته " .

« وقال ابن رجب رحمه الله :

فهذه الثلاث خصال من أعلى خصال الإيمان، فمن كملها فقد وجد حلاوة الإيمان وطعم طعمه، فالإيمان له حلاوة وطعم يذاق بالقلوب كما يذاق حلاوة الطعام والشراب بالفم، فإن الإيمان هو غذاء القلوب وقوتها كما أن الطعام والشراب غذاء الأبدان وقوتها، كما أن الجسد لا يجد حلاوة الطعام والشراب إلا عند صحته فإذا سقم لم يجد حلاوة ما ينفعه من ذلك، بل قد يستحلي ما يضره وما ليس فيه حلاوة لغلبة السقم عليه، فكذلك القلب إنما يجد حلاوة الإيمان من أسقامه وآفاته، فإذا سلم من مرض الأهواء المضلة والشهوات المحرمة وجد حلاوة الإيمان حينئذ، ومتى مرض وسقم لم يجد حلاوة الإيمان، بل يستحلي ما فيه هلاكه من الأهواء والمعاصي، لو كمل إيمانه لوجد حلاوة الإيمان فاستغنى بها عن استحلاء المعاصي. سئل وهيب بن الورد: هل يجد طعم الإيمان من يعصي الله؟ قال: لا، ولا من هم بالمعصية. وقال ذو النون: كما لا يجد الجسد لذة الطعام عند سقمه كذلك لا يجد القلب حلاوة العبادة مع الذنوب. فمن جمع هذه الخصال الثلاثة المذكورة في هذا الحديث فقد وجد حلاوة الإيمان وطعم طعمه (١)

✻ مسائل عن المحبة منها :

« تعريف المحبة : قال ابن القيم : لا تُحَدُّ المحبةُ بحدٍّ أوضح منها؛ فالحدود لا تزيدها إلا خفاءً، وجفاءً، فحدُّها وجُودُها، ولا توصف المحبة بوصفٍ أظهر من المحبة.

(١) فتح الباري لابن رجب (١/ ٥٢)

أقسام المحبة:

١/ محبة عبادة: وهي محبة التذلل، والتعظيم، وأن يقوم بقلب المحب من إجلال المحبوب، وتعظيمه ما يقتضي امتثال أمره، واجتناب نهيه.

وهذه المحبة أصل الإيمان والتوحيد، وهي التي يترتب عليها من الفضائل ما لا يمكن حصره وعده.

ومن صرف تلك المحبة لله فهو المؤمن الموحد، ومن صرفها لغير الله فقد وقع في المحبة الشركية؛ حيث أشرك بالله عز وجل.

وذلك كمحبة المشركين الذين يحبون آلهتهم، وأناداهم كمحبة الله، من شجر، أو حجر، أو بشر، أو ملك أو غيرها كمحبة الله أو أكثر؛ فهذه المحبة أصل الشرك، وأساسه.

٢_ محبة لله عز وجل: كمحبة ما يحبه الله من الأمكنة، والأزمنة، والأشخاص، والأعمال، والأقوال، ونحو ذلك؛ فهذه المحبة تابعة لمحبة الله.

٣_ المحبة الطبيعية: ويدخل تحت هذه المحبة ما يلي:

أ_ محبة إشفاق ورحمة: كمحبة الوالد لولده، وكمحبة المرضى، والضعفاء.

ب_ محبة إجلال وتعظيم دون عبادة: كمحبة الولد لوالده، وكمحبة التلميذ لمعلمه وشيخه، ونحو ذلك.

ج_ محبة الإنسان ما يلائمه: كمحبة الطعام، والشراب، والنكاح، واللباس، والأصدقاء، والخطاء، ونحو ذلك.

فهذه المحاب داخلة في المحبة الطبيعية المباحة، فإن أعانت على محبة الله وطاعته دخلت في باب الطاعة، وإن صدت عن محبة الله، وتوسّل بها إلى ما لا يحبه الله دخلت في المنهيات.

وفضائل محبة الله:

محبة الله عز وجل أشرف المكاسب، وأعظم المواهب، وفضائلها لا تُعد ولا تحصى، ومن تلك الفضائل ما يلي:

١_ أنها أصل التوحيد وروحه:

٢/ أن الحاجة إليها أعظم من الحاجة إلى الطعام، والشراب، والنكاح.

٣/ حاجتهم إلى التأله أعظم من حاجتهم إلى الغذاء؛ فإن الغذاء إذا فُقد يفسد الجسم، وبِفقْدِ التأله تفسد النفس.

وقال ابن القيم رحمه الله: فكيف بالمحبة التي هي حياة القلوب، وغذاء الأرواح، وليس للقلب لذة، ولا نعيم، ولا فلاح، ولا حياة إلا بها.

وإذا فقدتها القلب كان ألمه أعظم من ألم العين إذا فقدت نورها، والأذن إذا فقدت سمعها، والأنف إذا فقد شمّه، واللسان إذا فقد نُطقه ؟ !

بل فساد القلب إذا خلا من محبة فاطره، وبارئه، وإلهه الحق أعظم من فساد البدن إذا خلا من الروح.

٤/ تسلي المحب عند المصائب:

قال ابن القيم رحمه الله: فإن المحب يجد من لذة المحبة ما ينسيه المصائب، ولا يجد من مسّها ما يجد غيره، حتى كأنه قد اكتسب طبيعةً ثانيةً ليست طبيعة الخلق.

٥/ أنها من أعظم ما يحمل على ترك المعاصي.

٦/ أنها تقطع الوسوس.

٧/ تمام النعيم، وغاية السرور: فذلك لا يحصل إلا بمحبة الله عز وجل فلا يغني القلب، ولا يسد خلّته ولا يشبع جوعته .. إلا بمحبة الله _ عز وجل.

﴿ صفات المحبوبين لله:

الله عز وجل يُحِبُّ وَيُحَبُّ، قال الله تعالى: [فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ] (المائدة: ٥٤).

للهم قال الألباني رحمه الله: وقد روي أنه لما نزلت هذه الآية؛ سئل عن هؤلاء؛ فذكر أنهم قوم أبي موسى الأشعري. (وهم أهل اليمن)

وأخرج البخاري في "تاريخه" عن القاسم بن مخيمرة قال: أتيت ابن عمر، فرحب بي ثم تلا: (من يتردد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم)، ثم ضرب على منكبي؛ وقال: أحلف بالله؛ إنهم منكم أهل اليمن (ثلاثاً). (١)

﴿ فائدة:

وإليك فيما يلي إجمالاً لبعض صفات الذين خصهم الله بالمحبة في القرآن والسنة:

- ١_ التوابون. _ المتطهرون. _ المتقون. _ المحسنون. _ الصابرون. _ المتوكلون.
- _ المقسطون. _ الذين يقاتلون في سبيله صفّاً كأنهم بينان مرصوص.
- _ اذلة على المؤمنين. اعزة على الكافرين. _ المجاهدون في سبيل الله. _ الذين لا يخافون لومة
- لائم. _ المتقربون بالنوافل بعد الفرائض.

﴿ الأسباب الجالبة لمحبة الله: قال ابن القيم في مدارج السالكين:

- ١_ قراءة القرآن بالتدبر، والتفهم لمعانيه، وما أريد به.
- ٢_ التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض.
- ٣_ دوام ذكر الله على كل حال باللسان، والقلب، والعمل، والحال.
- ٤_ إثارة محاب الله على محاب النفس عند غلبات الهوى.
- ٥_ مطالعة القلب لأسماء الله وصفاته، ومشاهدتها، ومعرفتها.

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٧ / ١١٠٢):

٦_ مشاهدة برّه، وإحسانه، وآلائه، ونعمه الظاهرة، والباطنة.

٧_ إنكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى .

٨_ الخلوة بالله وقت النزول الإلهي؛ لمناجاته، وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب، والتأدب بآداب العبودية.

٩_ مجالسة المحيين الصادقين، والتقاط أطياب ثمرات كلامهم كما ينتقى أطيب الثمر، وألا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام، وعلمت أن فيه مزيداً لحالك، ومنفعة لغيرك.

١٠_ مبادعة كل سبب يحول بين القلب، وبين الله عز وجل. (١)

ومحبة الله على درجتين:

إحدهما: فرض، وهي المحبة المقتضية لفعل أوامره الواجبة والانتها عن زواجره المحرمة والصبر على مقدوراته المؤلمة، فهذا القدر لا بد منه في محبة الله، ومن لم تكن محبته على هذا الوجه فهو كاذب في دعوى محبة الله، كما قال بعض العارفين: من ادعى محبة الله ولم يحفظ حدوده فهو كاذب، فمن وقع في ارتكاب شيء من المحرمات أو أخل بشيء من فعل الواجبات فلتقصره في محبة الله حيث قدم محبة نفسه وهواه على محبة الله، فإن محبة الله لو كملت لمنعت من الوقوع فيما يكرهه. وإنما يحصل الوقوع فيما يكرهه لنقص محبته الواجبة في القلوب وتقديم هوى النفس على محبته وبذلك ينقص الإيمان كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ".

والدرجة الثانية من المحبة - وهي فضل مستحب -:

أن ترتقي المحبة من ذلك إلى التقرب بنوافل الطاعات والانكفاف عن دقائق الشبهات والمكروهات، والرضى بالأقضية المؤلمات. (٢)

(١) مدارج السالكين (٣/ ١٨) قاعدة في المحبة - (١ / ٩١)

(١) فتح الباري لابن رجب (١ / ٥٢)

الْحَادِي عَشَرَ مِنْ شُعْبِ الْإِيمَانِ

الْإِيمَانِ

بُجُوبُ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

لَقَوْلُهُ تَعَالَى {فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} آل عمران ١٧٥

وَقَوْلُهُ تَعَالَى {فَلَا تَخْشَوِ النَّاسَ وَخَشَوِ اللَّهَ} الْمَائِدَةُ ٤٤

وَقَوْلُهُ تَعَالَى {وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ} الْإِنْبِيَاءُ ٢٨

وَقَوْلُهُ تَعَالَى {وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} الْإِنْبِيَاءُ ٩٠

وَقَوْلُهُ تَعَالَى {وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ} الرَّحْمَنُ ٤٦

وَلِحَدِيثِ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ : "اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقْ تَمْرَةٍ"

وَلِحَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ" : "فِيهِمَا لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ لَضَحَكْتُمْ

قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا"

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَا يَجِفُّ فَوْهُ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ :

وَلَا خَيْرَ فِي عَيْشِ امْرِئٍ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ اللَّهِ فِي دَارِ الْقَرَارِ نَصِيبٌ

وَسَمِعَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُغْدَادِيُّ هَاتِفًا يَهْتَفُ بِالشُّونِيزِيَّةِ

وَكَيْفَ تَنَامُ الْعَيْنُ وَهِيَ قَرِيرَةٌ وَلَمْ تَدْرِ فِي أَيِّ الْمَحَلِّينَ تَنْزُلُ

فَذَهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ.

تعريف الخوف لغة: الفزع. قال في القاموس: "خاف يخاف خوفاً ومخافة وخيفة بالكسر ... فزع.

وأما تعريف الخوف شرعاً:

وعرفه العلامة ابن القيم بقوله: "الخوف اضطراب القلب وحركته من تذكر الخوف" اهـ

٧ أقسام الخوف:

الأول : خوف عبادة / وهو الخوف من الله وحده لا شريك له ، وهذا النوع عبادة قلبية تعبدنا الله بها . قال تعالى ﴿ ولن خاف مقام ربه جنتان ﴾

قال ابن عثيمين رحمه الله : (والخوف من الله يكون محموداً ويكون غير محمود :

- فالمحمود : ما كانت غايته ان يحول بينك وبين معصية الله ، بحيث يحملك على فعل الواجبات وترك المحرمات أما الخوف الذي يرد عن المكروهات هذا لا يرد؛ لأن فعل المكروهات ليس فيه خوف .

- غير المحمود : ما يحمل العبد على اليأس من روح الله والقنوط وحينئذ يتحسر العبد وينكمش وربما يتمادى في المعصية لقوة يأسه)

الثاني : خوف شرك / وله صورتان :

أ- أن يخاف من حي حاضر كخوفه من الله أو أشد .

ب- خوف السر : كأن يخاف صاحب القبر ، أو ولياً بعيداً عنه لا يؤثر فيه لكنه يخافه مخافة سر فهذا أيضاً من الشرك .

الثالث : خوف معصية / وهو أن يخاف العبد من إنسان فيترك واجباً ، أو يرتكب محرماً خوفاً منهم ، ولم يصل إلى حد الإكراه ، فهذا خوف معصية .

الرابع : خوف وهمي / كالخوف الذي ليس له سبب أصلاً ، أو له سبب ضعيف فهذا مذموم يدخل صاحبه في وصف الجبناء ، وقد تعود ﷺ من الجبن ، فهو من الأخلاق الرذيلة .

الخامس : خوف طبيعي / وهو كخوف الإنسان من السبع والنار والغرق ، وهذا جائز لا يلام عليه العبد ، وهو غير مذموم ما دامت اسبابه حقيقية قال تعالى ﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ ﴾ لكن يشترط فيه أن لا يتعدى الخوف الطبيعي ، فإن أدى هذا الخوف إلى فعل محرم أو ترك

واجب فهو من خوف المعصية ، وإن وصل إلى خوفه من الله أو أشد فهو خوف شركي . (١)

◀ قوله: قال الله تعالى: {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنتُمْ

مُؤْمِنِينَ}

قال ابن القيم رحمه الله: ومن كيد عدو الله أنه يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه لئلا يجاهدوهم ولا يأمرهم بمعروف، ولا ينهوهم عن منكر. فأخبر تعالى أن هذا من كيده وتخويفه، ونهانا أن نخافهم، قال: والمعنى عند جميع المفسرين: يخوفكم بأوليائه قال قتادة: يعظمهم في صدوركم، ولهذا قال: {فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ} فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكلما ضعف إيمان العبد قوي خوفه منهم. قلت: فأمر تعالى بإخلاص هذا الخوف له، وأخبر أن ذلك شرط في الإيمان، فمن لم يأت به لم يأت بالإيمان الواجب، ففيه أن إخلاص الخوف لله من الفرائض. (١)

✍ من معاني كلمة الخوف في القرآن الكريم: قال الفيروز آبادي: وقد ورد الخوف في القرآن الكريم على وجوه منها:

الأول: بمعنى القتل والهزيمة: "وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ" (البقرة / ١٥٥)، أي القتل.

الثاني: بمعنى الحرب والقتال: "فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ" (الأحزاب / ١٩)، أي الحرب.

الثالث: بمعنى العلم والدراية: (فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا) (البقرة / ١٨٢)، أي علم، إلا أن يخاف ألا يقيما حدود الله (البقرة / ٢٢٩)، أي يعلم.

الرابع: بمعنى النقص: (أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ) (النحل / ٤٧)، أي تنقص.

الخامس: بمعنى الرعب والخشية من العذاب والعقوبة: "يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا" (السجدة

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد (ص: ٤١٩)

﴿ وَقَوْلَهُ تَعَالَى {فَلَا تَخْشَوِ النَّاسَ وَاحْشَوْنَ} الْمَائِدَةُ ٤٤ ﴾

﴿ وَقَوْلَهُ تَعَالَى {وَأَيَّ فَارْهَبُونَ} الْبَقَرَةُ ٤٠ ﴾

﴿ وَقَوْلَهُ تَعَالَى {وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ} الْانبياء ٢٨ ﴾

﴿ وَقَوْلَهُ تَعَالَى {وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} الْانبياء ٩٠ ﴾

* ما الفرق بين الخوف والخشية ، والرهبه ؟

قال ابن عثيمين رحمه الله :

الخشية / هي الخوف المبني على العلم بعظمة من يخشاه وكمال سلطانه لقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ فإذا خفت من شخص لا تدري هل هو قادر عليك أم لا فهذا خوف ، وإذا خفت من شيء تعلم أنه قادر عليك فهذه خشية .

فالخشية / تكون بالعلم بعظمة المخشي وحاله لذلك وصف بها العلماء ، والخوف قد يكون من الجاهل بحال من يخشاه أو لضعف الخائف لا لقوة المخوف منه وعظمته .

والرهبه / هي الخوف المثمر للهرب من المتخوف ، فهي خوف مقرون بعمل (أ.هـ- (٢)

﴿ عُرِضَتْ عَلَى الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَصَحِحْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا ﴾ فَمَا أَتَى عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمٌ أَشَدُّ مِنْهُ، غَطُّوا رُؤُوسَهُمْ وَهُمْ خَنِينٌ " .

«الْخَنِينُ» بالخاء المعجمة: هُوَ الْبُكَاءُ مَعَ غَنَّةٍ وَانْتِشَاقِ الصَّوْتِ مِنَ الْإِنْفِ. فِي هَذَا الْحَدِيثِ: الْحَثُّ عَلَى الْبُكَاءِ، وَالتَّحْذِيرُ مِنْ إِكْثَارِ الضَّحْكَ، وَاسْتِحْبَابِ تَغْطِيَةِ الْوَجْهِ عِنْدَ الْبُكَاءِ. وَفِيهِ: بَيَانُ أَنَّ مَنْ كَانَ بِاللَّهِ أَعْرِفَ كَانَ مِنْهُ أَخَوْفَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } . (١)

الثاني عشر من شعب الإيمان الإيمان

بُجُوب الرَّجَاءِ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

لَقَوْلِهِ تَعَالَى: { وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا } .
 وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: { وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ } .
 وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ
 الذُّنُوبَ جَمِيعًا } الزمر ٥٣

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } .
 وَلِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ : ((لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا
 طَمَعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ))

تعريف الرجاء :

❦ قال الراغب الأصفهاني / : الرَّجَاءُ تَوَقُّعٌ مَحْبُوبٌ عَنْ أَمَارَةٍ مَظْنُونَةٍ، أَوْ مَعْلُومَةٍ. اهـ
 قال ابن القيم / : الرَّجَاءُ هُوَ النَّظَرُ إِلَى سَعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ. اهـ فالطائع يطمع في ثواب الله، والعاصي
 يطمع في رحمة الله.

❦ لَقَوْلِهِ تَعَالَى: { وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا } .
 قوله: { يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ } وهذا هو الرجاء ... { وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ } وهذا هو الخوف، والواو هنا
 لمطلق الجمع. وذكر الوسيلة وهي التقرب إليه جل وعلا حيثنذكر أركان التعبد الثلاثة، وهي:
 المحبة، والخوف، والرجاء. فابتغاء الوسيلة إليه هو التقرب بحبه وطاعته، ثم ذكر الرجاء

والخوف وهذه أركان الإيمان، أركان التعبد لله تعالى، وكلما قَوِيَ إيمان العبد وبقينه قَوِيَ خوفه

ورجاؤه مطلقاً، فهذه أعمال القلوب متلازمة وبعضها ينبني على بعض. (١)

❖ وَقَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: {وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} .

قال ابن كثير رحمه الله:

أرشد تبارك وتعالى عِبَادَهُ إِلَى دُعَائِهِ الَّذِي هُوَ صَلَاحُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَأَخْرَاهُمْ فَقَالَ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً قِيلَ مَعْنَاهُ تَذَلُّلاً وَاسْتِكَانَةً، وَخُفْيَةً كَقَوْلِهِ: "وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ" الْآيَةُ وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ رَفَعَ النَّاسُ أَصْوَاتَهُمْ بِالِدُّعَاءِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَيُّهَا النَّاسُ ارْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا إِنْ الَّذِي تَدْعُونَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ»

وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ يُكْرَهُ رَفْعُ الصَّوْتِ وَالنِّدَاءُ وَالصِّيَاحُ فِي الدُّعَاءِ وَيُؤْمَرُ بِالتَّضَرُّعِ وَالِاسْتِكَانَةِ .

❖ وَقَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا}

هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ دَعْوَةٌ لِجَمِيعِ الْعُصَاةِ مِنَ الْكُفَرَةِ وَغَيْرِهِمْ إِلَى التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ وَإِخْبَارُ بَأَنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا لِمَنْ تَابَ مِنْهَا وَرَجَعَ عَنْهَا وَإِنْ كَانَتْ مَعَهَا كَانَتْ وَإِنْ كَثُرَتْ وَكَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ، وَلَا يَصِحُّ حُمْلُ هَذِهِ عَلَى غَيْرِ تَوْبَةٍ لِأَنَّ الشَّرْكَ لَا يُغْفَرُ لِمَنْ لَمْ يَتُبْ مِنْهُ. وَقَالَ الْبُخَارِيُّ : عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الشَّرْكِ كَانُوا قَدْ قَتَلُوا فَأَكْثَرُوا، وَزَنَوْا فَأَكْثَرُوا، فَاتَّوَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو إِلَيْهِ لِحَسَنٍ لَوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمَلْنَا كَفَّارَةً فَتَرَلَّ ((قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ)). (٢)

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي (٧٦ / ٤)

(٢) تفسير ابن كثير ط العلمية (٧ / ٩٥)

❖ ضابط الرجاء الخاص بالله عز وجل :

قال ابن عثيمين رحمه الله : الرجاء المتضمن للذل والخضوع ، لا يكون إلا لله عز وجل ، وصرفه لغير الله تعالى شرك إما أصغر ، وإما أكبر بحسب ما يقوم بقلب الراعي (١). اهـ

❖ قوله : {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} .

قال الإمام السعدي رحمه الله :

يخبر تعالى : "أنه لا يغفر لمن أشرك به أحدا من المخلوقين، ويغفر ما دون الشرك من الذنوب صغائرها وكبائرها، وذلك عند مشيئته مغفرة ذلك، إذا اقتضت حكمته مغفرته. فالذنوب التي دون الشرك قد جعل الله لمغفرتها أسبابا كثيرة، كالحسنات الماحية والمصائب المكفرة في الدنيا، والبرزخ ويوم القيامة، وكدعاء المؤمنين بعضهم لبعض، وبشفاعة الشافعين. ومن فوق ذلك كله رحمته التي أحق بها أهل الإيمان والتوحيد. (٢)

❖ أقسام الرجاء :

قال ابن القيم: والرجاء ثلاثة أنواع : نوعان محمودان ونوع غرور مذموم

نوعان محمودان :

- ١/ رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله فهو راج لثوابه ،
 - ٢/ ورجل أذنب ذنوب ثم تاب منها فهو راج لمغفرة الله تعالى وعفوه وإحسانه وجوده وحلمه .
- نوع مذموم :

- ٣/ رجل متباد في التفريط والخطايا يرجو رحمة الله بلا عمل فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب. اهـ

(١) راجع فتاوى ابن عثيمين (٦/ ٥٣) .

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٨١)

﴿قَوْلُهُ: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾﴾

قال ابن القيم رحمه الله : هذا الرجاء أفضل أنواع الرجاء وأعلاها وهذا الرجاء هو محض الإيمان وزبدته وإليه شخّصت أبصار المشتاقين ولذلك سلاهم الله تعالى بإتيان أجل لقائه وضرب لهم أجلا يسكن نفوسهم ويطمئنّها. اهـ (١)

مسألة :

مسألة : هل الأفضل للإنسان أن يغلب جانب الخوف أو يغلب جانب الرجاء ؟
أختلف في ذلك :

١/ فقيل : ينبغي أن يغلب جانب الخوف ،

ليحمله ذلك على اجتناب المعصية ثم فعل الطاعة .

٢/ وقيل : يغلب جانب الرجاء ،

ليكون متفائلا ، والرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يعجبه الفأل .

٣/ وقيل : في فعل الطاعة : يغلب جانب الرجاء ،

فالذي من عليه بفعل هذه الطاعة سيمن عليه بالقبول ، ولهذا قال بعض السلف : إذا وفقك الله للدعاء ، فانظر الإجابة ، لأن الله يقول : { وقال ربكم ادعوني أستجب لكم } [غافر : ٦٠] ،

٤/ وفي فعل المعصية يغلب جانب الخوف ،

لأجل أن يمنعه منها ثم إذا خاف من العقوبة تاب ، وهذا أقرب شيء ، ولكن ليس بذاك القرب

الكامل ؛ لأن الله يقول : { والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجله أنهم إلى ربهم راجعون } [

المؤمنون : ٦٠] ، أي : يخافون أن لا يقبل منهم ، لكن قد يقال هذه الآية يعارضها أحاديث

أخرى ، كقوله صلى الله عليه وسلم - في الحديث القدسي عن ربه : " أن عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني " .

٤/ وقيل : في حال المرض يغلب جانب الرجاء ، وفي حال الصحة يغلب جانب الخوف ، فهذه أربعة أقوال .

وقال الإمام أحمد رحمه الله : ينبغي أن يكون خوفه ورجاؤه واحداً ؛ فأيهما غلب هلك صاحبه ، أي : يجعلهما كجناحي الطائر ، والجناحان للطائر إذا لم يكونا متساوين سقط . (١)
قال ابن القيم رحمه الله :

لا بدّ للعبد من سيره إلى الله من الجمع بين الأركان الثلاثة ؛ فالحب بمنزلة الرأس للطائر ، والخوف والرجاء جناحاه ؛ فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران ، ومتى قُطع الرأس مات الطائر ، ومتى قُطد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر . اهـ
* الفرق بين الرجاء والتمني :

الفرق بينهما أن التمني يكون مع الكسل ، ولا يسلك صاحبه طريق الجهد ، والاجتهاد . والرجاء يكون مع بذل الجهد ، وحسن التوكل .

فالأول : كحال من يتمنى أن يكون له أرض يبذر بها ، ويأخذ زرعها .
والثاني : كحال من يشق أرضه ، ويفلّحها ، ويبذر بها ، ويرجو طلوع الزرع .
* الرجاء لا يصح إلا مع عمل :

فقد أجمع العلماء على أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل .
أما ترك العمل ، والتماادي في الذنوب ؛ اعتماداً على رحمة الله ، وحسن الظن به عز وجل فليس من الرجاء في شيء . بل هو جهل ، وسفه ، وغرور ؛ فرحمة الله قريب من المحسنين لا من المفرطين ، المعاندين .

(١) مدارج السالكين (٢ / ٥٤) " القول المفيد على كتاب التوحيد (٢ / ٣٩)

◀ قوله : «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمَعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ». رواه مسلم.

للهم قال الطيبي: وَحَاصِلُ الْحَدِيثِ أَنَّ الْعَبْدَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ بِمُطَالَعَةِ صِفَاتِ الْجَمَالِ تَارَةً، وَبِمُطَالَعَةِ نُعُوتِ الْجَلَالِ أُخْرَى، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ: "لَوْ نُودِيَ فِي الْقِيَامَةِ أَنْ يَدْخُلَ أَحَدُ الْجَنَّةِ أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا، وَكَذَا فِي النَّارِ". (١)

الثالث عشر من شعب الإيمان

الإيمان يُوجب التَّوَكُّلَ على الله عز وجل

لَقَوْلُهُ تَعَالَى {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} التغابن ١٣

وَقَوْلُهُ تَعَالَى {حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} آل عمران ١٧٣

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} الطلاق ٣

وَلِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا "فِي الصَّحِيحَيْنِ" فِي سُؤَالِ أَصْحَابِهِ لَهُ عَنِ السَّبْعِينَ أَلْفًا الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يَرْزُقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "هُمْ الَّذِينَ لَا يَكْتُمُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ فَقَامَ عَكَاشَةُ بْنُ مُحْصَنِ الْأَسَدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ أَنَا مِنْهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ أَنْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرٌ فَقَالَ أَنَا مِنْهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ سَبَقَكَ بِهَا عَكَاشَةُ".

وَجُمْلَةُ التَّوَكُّلِ تَقْوِيضُ الْأَمْرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالثِّقَةُ بِهِ مَعَ مَا قَدَّرَ لَهُ مِنَ التَّسَبُّبِ

"فَفِي صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ "عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

«لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِيَ بِحُرْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ»

(١) شرح رياض الصالحين (٣/ ٣٤٠) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٦٤٠)

وفي صحيح البخاري "عَنِ الْمُقْدَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ» قَالَ وَكَانَ دَاوُدَ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ.

وَبِهِ أَنْبَأَنَا الْبَيْهَقِيُّ قَالَ أَنْبَأَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ قَالَ أَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ نَصِيرٍ قَالَ حَدَّثَنِي الْجُنَيْدُ قَالَ سَمِعْتُ السَّرِيَّ يَذُمُ الْجُلُوسَ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ وَيَقُولُ جَعَلُوا الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ حَوَانِيتَ لَيْسَ لَهَا أَبْوَابٌ. وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} التَّغَابُنُ ١٣

﴿وَقَوْلُهُ تَعَالَى {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} الْمَائِدَةُ ٢٣

التوكل لغة: من وكل أي اعتمد .

قال ابن عثيمين رحمه الله: التوكل على الله هو : الاعتماد على الله تعالى كفاية وحسبا في جلب

المنافع ، ودفع المضار ، وهو من تمام الإيمان وعلاماته . اهـ (١)

* أنواع التوكل على الله:

قال ابن القيم رحمه الله: التوكل على الله نوعان :

أ - توكل عليه في جلب حوائج العبد وحظوظه الدنيوية ، أو دفع مكروهاته ومصائبه الدنيوية .

ب - التوكل عليه في حصول ما يحبه ويرضاه من الإيمان ، واليقين والجهاد والدعوة إليه .

وبين النوعين من الفضل ما لا يحصيه إلا الله ، فمتى توكل العبد في النوع الثاني حق توكله ،

كفاه النوع الأول تمام الكفاية . اهـ

قال شيخ الإسلام رحمه الله: من ظن أن التوكل لا يطلب به إلا حظوظ الدنيا غلط، بل التوكل في

الأمر الدنيوية أعظم . اهـ (١) .

(١) راجع فتاوى ابن عثيمين (٦/ ٥٤) وشرح الأصول الثلاثة .

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}﴾

* في الآية ثمرة التوكل على الله :

قال تعالى ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ أي كافيهِ .

قال ابن القيم رحمه الله : فانظر إلى هذا الجزاء الذي حصل للمتوكل ، ولم يجعله لغيره ، وهذا يدل على أن التوكل أقوى السبل عنده وأحبها إليه . اهـ

قال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله : ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ معنى الآية ومن يتوكل على الله أي يعتمد عليه في أموره فهو كافيهِ ، ومن كان الله كافيهِ فلا مطمع لأحد عليه ، ولم يذكر تعالى للتوكل جزاء غير تولي كفاية العبد ، فقال : ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ ولم يأت في غيره من العبادات ، فدل على عظم شأن التوكل وفضيلته ، وأنه أجل أنواع العبادة فصرفه لغير الله شرك أكبر . اهـ (٢)

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى {حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} آل عمران ١٧٣﴾

أَيِ الَّذِينَ تَوَعَّدَهُمُ النَّاسُ بِالْجُمُوعِ وَخَوْفُهُمْ بِكَثَرَةِ الْأَعْدَاءِ، فَمَا اكْتَرْتُوا لِذَلِكَ بَلْ تَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ وَاسْتَعَانُوا بِهِ، "وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ". وقال البخاري: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ، فَزَادَهُمْ إِيمَانًا، وَقَالُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. (٣)

* وفي الآية فضيلة التوكل على الله .

(١) راجع الفوائد (ص: ٨٩). مجموع الفتاوى - (١٠ / ٢٠)

(٢) راجع مدارج السالكين (٢ / ١٠٧)، وحاشية الأصول الثلاثة (ص: ٣٤).

(٣) تفسير ابن كثير ط العلمية (٢ / ١٤٩)

قال ابن القيم رحمه الله: الدين بمجموعه ، في هذين الأمرين :

أ- أن يكون العبد على الحق في قوله وعمله ، واعتقاده ونيته ،

ب- وان يكون متوكلاً على الله واثقاً به ، فالدين كله في هذين المقامين ، وقال رسل الله

وانبيأؤه: (وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا) فالعبد آفته إما من عدم الهداية ، وإما من

عدم التوكل ، فإذا جمع التوكل إلى الهداية فقد جمع الإيمان كله . اهـ (١)

◀ قوله : .. "هم الَّذِينَ لَا يَكْتُوبُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ..... فَقَالَ سَبَقَتْ بِهَا عَكَاشَةٌ"

➤ (لا يكتوبون) الاكتواء استعمال الكي في البدن وهو إحراق الجلد بحديدة محماة (ولا

يسترقون) الاسترقاء طلب الرقية.

((ولا يتطيرون)) يعني: لا يتشاءمون لا بمرئي، ولا بمسموع، ولا بمشموم، ولا بمذوق،

يعني: لا يتطيرون أبداً.

❦ قال النووي رحمه الله:

اِخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ قَدْ ذَهَبَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِمَّنْ تَكَلَّمَ عَلَى

الْحَدِيثِ وَإِنَّمَا أَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ هَؤُلَاءِ هُمْ مَزِيَّةٌ وَفَضِيلَةٌ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ

وَبَأَن وَجُوهُهُمْ تَضِيءُ إِضَاءَةَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، لَمَّا اخْتُصَّ هَؤُلَاءِ بِهَذِهِ الْفَضِيلَةِ لِأَنَّ تِلْكَ هِيَ عَقِيدَةُ

جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ اعْتَقَدَ خِلَافَ ذَلِكَ كَفَرَ .

وَقَدْ تَكَلَّمَ الْعُلَمَاءُ وَأَصْحَابُ الْمَعَانِي عَلَى هَذَا فَذَهَبَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ وَغَيْرُهُ إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ مَنْ

تَرَكَّهَا تَوَكُّلاً عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَرِضَاءً بِقَضَائِهِ وَبِلَايَةِ قَالَ الْخَطَّابِيُّ وَهَذِهِ مِنْ أَرْفَعِ دَرَجَاتِ الْمُحَقِّقِينَ

بِالْإِيمَانِ قَالَ وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ جَمَاعَةٌ سَمَّاهُمْ .

(١) راجع مدارج السالكين (١٠٦/٢) .

قوله "سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ"

فَقَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ قِيلَ إِنَّ الرَّجُلَ الثَّانِي لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ تِلْكَ الْمُنْزِلَةَ وَلَا كَانَ بِصِفَةِ أَهْلِهَا بِخِلَافِ عُكَّاشَةَ وَقِيلَ بَلْ كَانَ مُنَافِقًا فَأَجَابَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَلَامٍ مُحْتَمَلٍ وَلَمْ يَرِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّضَرُّيحَ لَهُ بِأَنَّكَ لَسْتَ مِنْهُمْ لِمَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ مِنْ حُسْنِ الْعِشْرَةِ وَقِيلَ قَدْ يَكُونُ سَبَقُ عُكَّاشَةَ بِوَحْيٍ أَنَّهُ يُجَابُ فِيهِ وَلَمْ يَخْصُلْ ذَلِكَ لِلْآخِرِ قُلْتُ وَقَدْ ذَكَرَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ فِي كِتَابِهِ فِي الْأَسْمَاءِ الْمُبْهَمَةِ أَنَّهُ يُقَالُ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ هُوَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَإِنْ صَحَّ هَذَا بَطَلَ قَوْلُ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ مُنَافِقٌ وَالْأَظْهَرُ الْمُخْتَارُ هُوَ الْقَوْلُ الْأَخِيرُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. (١)

◀ قوله: وَجُمْلَةُ التَّوَكُّلِ تَفْوِيضُ الْأَمْرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالثِّقَةُ بِهِ مَعَ مَا قَدَّرَ لَهُ مِنَ التَّسَبُّبِ.

* حكم الأخذ بالأسباب المشروعة ليس قدحاً في التوكل :

قال شيخ الإسلام رحمه الله: الإلتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل ، والإعراض عن الأسباب المأمور بها قدح في الشرع ، فعلى العبد أن يكون قلبه معتمداً على الله لا على سبب من الأسباب ، والله ييسر له من الأسباب ما يصلحه في الدنيا والآخرة ، فإن كانت الأسباب مقدورة له وهو مأمور بها فعلها مع التوكل على الله ، كما يؤدي الفرائض ، وكما يجاهد العدو ، ويحمل السلاح ، ويلبس جنة الحرب ، ولا يكتفي في دفع العدو على مجرد توكله بدون أن يفعل ما أمر به من الجهاد ، ومن ترك الأسباب المأمور بها ، فهو عاجز مفرط مذموم . (٢) اهـ

◀ قوله ﷺ: «لَا يَأْخُذُ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَسِيعُهَا، فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ»

(١) شرح النووي على مسلم (٣/ ٨٩)

(٢) راجع مجموع الفتاوى (٨/ ٥٢٨-٥٢٩) .

◀ وقوله ﷺ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»

قال الشيخ العثيمين رحمه الله: أن داود عليه السلام كان يأكل من كسب يديه، وكان داود يصنع الدروع كما قال الله تعالى: (وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ) ، فكان حداداً. أما زكريا فكان نجاراً يعمل وينشر ويأخذ الأجرة على ذلك.

وهذا يدل على أن العمل والمهنة ليست نقصاً؛ لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يمارسونها، ولا شك أن هذا خيرٌ من سؤال الناس، حتى أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: ((لأن يأخذ أحدكم حزمة من حطب على ظهره فيبيعها)) يعني ويأخذ ما كسب منها: ((خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه)).

ولا شك أن هذا هو الخلق النبيل؛ الأيخضع الإنسان لأحد، ولا يذل له، بل يأكل من كسب يده، من تجارته أو صناعته أو حرثه. قال تعالى: (وَأَخْرُوجُوا فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) ولا يسأل الناس شيئاً، والله الموفق. (١)

❖ **تتمة:** أقسام التوكل على العموم:

❶ **الأول:** التوكل على الله وهو من تمام الإيمان ، وعلامات صدقه ، وهو واجب لا يتم الإيمان إلا به .

❷ **الثاني:** توكل السر بأن يعتمد على ميت في جلب منفعة ، أو دفع مضره فهذا شرك أكبر؛ لأنه لا يقع إلا ممن يعتقد أن لهذا الميت تصرفاً سرياً في الكون ، ولا فرق بين أن يكون نبياً ، أو ولياً ، أو طاغوتاً عدو لله تعالى .

❶ الثالث : أن يعتمد على مخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الخالق سواء كان حياً أو ميتاً حاضراً أو غائباً وهذا أيضاً من الشرك الأكبر المخرج من الملة .

❷ الرابع : التوكل على المخلوق فيما أقدره الله عليه من رزق، أو دفع أذى ونحو ذلك من الاعتماد على الأسباب فهذا شرك أصغر .
ومن أمثلة هذا النوع:

الاعتماد على الطبيب الماهر في حصول الشفاء، والاعتماد على كثرة الجيش وقوته لحصول النصر ، وغير ذلك من الأمثلة التي يكون فيها تعلق القلب على الأسباب تعلقاً تاماً، مع الغفلة عن المسبب وهو الله سبحانه وتعالى .

❸ الخامس : أن يوكل غيره فيما يتصرف فيه المتوكل بحيث ينبغ غيره في أمر تجوز فيه النيابة فهذا لا بأس به بدلالة الكتاب والسنة والإجماع ، ووكل ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه في حجة الوداع أن يتصدق بجلودها وجلالها ، وأن ينحر ما بقي من المنة بعد أن نحر بيده ثلاثاً وستين ، وأما الإجماع على جواز ذلك فمعلوم من حيث الجملة . اهـ " " .
*هل يقال للمخلوق [توكلت عليك]؟

سئل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ عن قول بعض العامة: توكلت عليك يا فلان في كذا؟ فأجاب: - هذا شرك. أما التوكيل فيجوز، لأنه استئابة. اهـ

وهو شرك لفظي أصغر لكن إذا نادى غائباً أو اعتمد على مخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله فيكون شركاً أكبر.

* ما حكم قول "توكلت على الله وعليك" ، أو "توكلت على الله ثم عليك" ؟ وما الفرق بين التوكل الذي هو عمل قلبي والتوكل الذي هو عمل بدني؟

(١) راجع أقسام التوكل في شرح الأصول الثلاثة لابن عثيمين ، وحاشية الأصول الثلاثة للقاسم

الجواب: التوكل عبادة يقترب المؤمنون بها إلى ربهم، والعبادات حق خالص لله تعالى، ولذلك لا يجوز التوكل على غير الله - تعالى -، قال سبحانه في وصف المؤمنين: "وعلى ربهم يتوكلون" [الأنفال: ٢] فتقديم المعمول يفيد الحصر أي أنهم لا يتوكلون على غير ربهم، فلا يجوز للعبد أن يقول: توكلت على الله وعلى فلان، أو يقول: توكلت على الله ثم على فلان يمنع من الكل، والتوكل على المخلوق نوعان أولهما: فيما لا يقدر عليه إلا الله فهذا شرك أكبر، وثانيهما فيما يقدر عليه المخلوق فيكون شركاً أصغر، والتوكل تفويض الأمور لله والاعتماد عليه، ولا يتنافى مع فعل الأسباب، بينما التواكل ترك الأسباب بعدم مزاولة الأعمال، والتواكل نقص في الدين والعقل. (١)



الرابع عشر من شعب الإيمان

الإيمان بوجوب محبة النبي صلى الله عليه وسلم

لحديث أنسٍ "المتفق عليه" قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»

ولحديث أنس رضي الله عنه "في الصحيحين" : عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا..."

"وفي الصحيحين" عن أنس بن مالك، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَعَدَدْتُ لَهَا؟» ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَعَدَدْتُ لَهَا كَثِيرَ صَلَاةٍ وَلَا صِيَامٍ وَلَا صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: «فَأَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»

(١) كما في الفتاوى (١/ ١٧٠) راجع فتاوى أهل العلم .

ولحديثه فيها أيضا قَالَ "فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ فَقَالَ مَا أَعَدَدْتُ لَهَا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَعَدَدْتُ لَهَا كَثِيرٌ صِيَامٌ وَلَا صَدَقَةٌ إِلَّا أَنِّي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ رَسُولِهِ قَالَ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ"

«عَنْ أَنَسٍ.. «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد:

لا يؤمن أحدكم: أي الإيمان الواجب والمراد كماله، حتى يكون الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إلى العبد من ولده ووالده والناس أجمعين. بل ولا يحصل هذا الكمال إلا بأن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه كما في الحديث أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا رسول الله لأنت أحب إلى من كل شيء إلا من نفسي، فقال: "والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك فقال له عمر: فانك الآن أحب إلي من نفسي فقال: الآن يا عمر"، رواه البخاري

السر في الأهمية الثابتة في الحديث :

كونه صلى الله عليه وسلم: سبب هداية الناس الذين بعثه الله إليهم إذ أخرجهم الله به من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، فلما كان سبب المحبة بين المحب والمحبوب ما يحصل من النفع للمحب كانت محبة الرسول صلى الله عليه وسلم مقدمة على محبة أعز الناس إلى الإنسان، ولهذا كان للنبي صلى الله عليه وسلم أجر عمله ومثل أجور من آمن به من حين بعثه الله إلى قيام الساعة لأنه صلى الله عليه وسلم هو الذي دل الناس على الخير ومن دل على هدى كان له من الأجر مثل أجور من فعله كما ثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.. (١)

«قَالَ «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ، وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا»..

هَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ الْإِسْلَامِ قَالَ الْعُلَمَاءُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ مَعْنَى حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ اسْتِئْذَانُ الطَّاعَاتِ وَتَحْمِلُ الْمَشَقَّاتِ فِي رِضَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِثَارُ ذَلِكَ عَلَى

(١) عشرون حديثاً من صحيح البخاري دراسة اسانيدھا وشرح متونها (ص: ١٦٥)

عَرَضِ الدُّنْيَا وَحَبَّةَ الْعَبْدِ رَبَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِفِعْلٍ طَاعَتِهِ وَتَرَكِ مُحَالَفَتِهِ وَكَذَلِكَ حَبَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . (١)

«عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «وَمَاذَا أَعَدَدْتُ لَهَا». قَالَ: لَا شَيْءَ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرَحْنَا بِشَيْءٍ، فَرَحْنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» قَالَ أَنَسٌ: «فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحَبِيٍّ إِيَّاهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ» قَوْلُهُ: " مَا أَعَدَدْتُ لَهَا "

قَالَ الطَّبِيُّ: سَلَكَ مَعَ السَّائِلِ طَرِيقَ الْأُسْلُوبِ الْحَكِيمِ لِأَنَّهُ سَأَلَ عَنْ وَقْتِ السَّاعَةِ فَقِيلَ لَهُ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا وَلِنَّمَا يُهْمُكَ أَنْ تَهْتَمَّ بِأَهْمِيَّتِهَا وَتَعْتَنِيَ بِمَا يَنْفَعُكَ عِنْدَ إِسْرَافِهَا مِنَ الْعَقَائِدِ الْحَقَّةِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ أَجَابَ بِقَوْلِهِ مَا أَعَدَدْتُ لَهَا إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَنْتَهَى (مَا أَعَدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صَلَاةٍ)

(وَأَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ) أَيُّ مُلْحَقٍ بِهِمْ حَتَّى تَكُونَ مِنْ زُمْرِهِمْ وَهَذَا يَنْدَفِعُ إِيْرَادُ أَنْ مَنَازِلَهُمْ مُتَّفَاوِتَةٌ فَكَيْفَ تَصِحُّ الْمُعِيَّةُ؟

فَيُقَالُ: إِنَّ الْمُعِيَّةَ تَحْصُلُ بِمُجَرَّدِ الْاجْتِمَاعِ فِي شَيْءٍ مَا وَلَا يَلْزَمُ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ فَإِذَا اتَّفَقَ أَنَّ الْجَمِيعَ دَخَلُوا الْجَنَّةَ صَدَقَتِ الْمُعِيَّةُ وَإِنْ تَفَاوَتَتِ الدَّرَجَاتُ كَذَا فِي الْفَتْحِ (فَمَا رَأَيْتُ فَرَحَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَ الْإِسْلَامِ) أَيُّ بَعْدَ فَرَحِهِمْ بِهِ أَوْ دُخُولِهِمْ فِيهِ (فَرَحَهُمْ) بِفَتْحَاتٍ أَيُّ كَفَرَحِهِمْ (بِهَا) أَيُّ بِنِئْلِكَ الْكَلِمَةِ وَهِيَ "أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ" وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ قَالَ "إِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ"

فَقُلْنَا وَنَحْنُ كَذَلِكَ؟ قَالَ نَعَمْ. فَفَرَحْنَا يَوْمَئِذٍ فَرَحًا شَدِيدًا، أَنَّ الْحُكْمَ ثَابِتٌ وَلَوْ بَعْدَ اللَّحَاقِ وَوَقَعَ فِي حَدِيثِ أَنَسٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ وَلَمْ يَلْحَقْ بِعَمَلِهِمْ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ وَغَيْرِهِ (وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْمَلَ بِعَمَلِهِمْ) وَفِي بَعْضِ طُرُقِ حَدِيثِ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ عِنْدَ أَبِي نُعَيْمٍ وَلَمْ يَعْمَلْ بِمِثْلِ عَمَلِهِمْ (الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ)

يَعْنِي مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا بِالْإِخْلَاصِ يَكُونُ مِنْ زُمْرَتِهِمْ وَإِنْ لَمْ يَعْمَلْ عَمَلَهُمْ لَثُبُوتِ التَّقَارُبِ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَرُبَّمَا تُؤَدِّي تِلْكَ الْمَحَبَّةُ إِلَى مُوَافَقَتِهِمْ وَفِيهِ حَتْ عَلَى مَحَبَّةِ الصُّلَحَاءِ وَالْأَخْيَارِ رَجَاءَ اللَّحَاقِ بِهِمْ وَالْخَلَاصِ مِنَ النَّارِ. (١)

❦ تنبيه : من الإيمان بالرسول ﷺ محبته من غير إفراط ولا تفريط .

قال الشيخ ابن العثيمين : (فليس هناك من البشر يجب محبته أكثر من النفس إلا محمد صلى الله عليه وسلم) أ . هـ

❧ لكن هذه المحبة يجب أن تخلو من محذورين :

❧ أحدهما : الإفراط ، وهو الغلو في جانب المحبة و التعظيم حتى يرفع إلى مرتبة الربوبية و الألوهية ، و هذه طريقة اليهود و النصارى و من تشبه بهم من ضلال هذه الأمة كالرافضة و الصوفية . قال تعالى عنهم : { وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ } التوبة ٣٠ و من مظاهر الغلو في النبي صلى الله عليه وسلم قول صاحب البردة :

يا أكرم الخلق مالي من ألذ به	❦	سواك عند حدوث الحادث العمم
فإن من جودك الدنيا و ضررتها	❦	و من علومك علم اللوح و القلم

و قد قال بعض أهل العلم معلقاً على هذه الأبيات : (لم يبق له شيئاً) .

و قد قال صلى الله عليه وسلم : (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) رواه البخاري .

﴿ الثاني : التفريط ، وهو عدم تعظيمهم و لا معرفة قدرهم ، و أسوأ من ذلك انتقاصهم و الاستهزاء بهم ، فإن ذلك باب من أبواب الكفر .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (قال محمد بن سعدون و هو أحد الأئمة من أصحاب مالك : أجمع العلماء أن شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المنتقص له كافر ، و الوعيد جارٍ عليه بعذاب الله ، و حكمه عند الأمة القتل و من شك في كفره و عذابه كفر)
و الحق وسط بين هاتين الفرقتين ، فهم عبيد لله فلا يُعبدون ، و هم رسل الله فلا يُكذَّبون . (١)



الخامس عشر من شعب الإيمان

الإيمان بِوُجُوبِ تَعْظِيمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَوْقِيرِهِ وَتَجْبِيلِهِ

لِقَوْلِهِ تَعَالَى : { وَتُعْزِّرُوهُ وَتُقَوِّرُوهُ } الْفَتْح ٩

وَقَوْلِهِ تَعَالَى : { الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ } الْأَعْرَاف ١٥٧ وَالتَّعْزِيرُ هَا هُنَا التَّعْظِيمُ بِلَا

خلاف

وَقَوْلِهِ تَعَالَى { لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا } النُّور ٦٣ أَي لَا تَقُولُوا لَهُ يَا مُحَمَّدُ يَا أَبَا الْقَاسِمِ بَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ .

وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ } الْحَجَرَات

◀ قوله : ((لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا))

◀ ((فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ)) وَالتَّعْزِيرُ هَا هُنَا التَّعْظِيمُ بِلا خلاف.

قال ابن كثير رحمه الله :

قال ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد: تعظموه وتوقروا من التوقير وهو الإحترام والإجلال والإعظام وتُسَبِّحُوهُ أي تسبحون الله بُكْرَةً وَأَصِيلًا أي أَوَّلَ النَّهَارِ وَآخِرَهُ ثم قال عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشْرِيفًا لَهُ وَتَعْظِيمًا وَتَكْرِيمًا: "إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ" كقوله جل وعلا: "مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ". (١)

✎ قال الشيخ العثيمين رحمه الله: لهذا كان الصحيح أن من سب الرسول - عليه الصلاة والسلام - كان كافراً مرتداً، فإن تاب قبلنا توبته لكننا لا نرفع عنه القتل، بل نقتله أخذاً بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذا قتلناه بعد توبته النصوص الصادقة صلينا عليه كسائر المسلمين الذين يتوبون من الكفر أو من المعاصي. (٢)

◀ وَقَوْلُهُ تَعَالَى { لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا }

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: كَانُوا يَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، فَنَهَاَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ ذَلِكَ إِعْظَامًا لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَقُولُوا يَا نَبِيَّ اللَّهِ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ. وَقَالَ قَتَادَةُ: أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يَهَابَ نَبِيُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنْ يُجَلَّ وَأَنْ يُعْظَمَ وَأَنْ يَسُودَ. وَقَالَ مِقَاتِلٌ فِي قَوْلِهِ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا يَقُولُ: لَا تَسْمُوهُ إِذَا دَعَاكُمْ يَا مُحَمَّدَ وَلَا تَقُولُوا يَا ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ، وَلَكِنْ شَرَّفُوهُ فَقُولُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ. (٣)

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية (٧/ ٣٠٥)

(٢) تفسير ابن كثير ط العلمية (٦/ ٨١) تفسير العثيمين سورة الحجرات.

(٣) تفسير ابن كثير ط العلمية (٦/ ٨١)

﴿وَلَقَوْلُهُ تَعَالَى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ}﴾
 قال الشيخ العثيمين رحمه الله:

الآية الأولى فيها النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله في أي شيء، سواء من الأقوال أو الأفعال أو غيرها، أما هذه الآية فهي في رفع الصوت فإذا خاطبك النبي صلى الله عليه وسلم بصوت فاخفض صوتك عن صوته، وإذا رفع صوته فارفع صوتك لكن لا بد أن يكون دون صوت الرسول - عليه الصلاة والسلام .

{ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض}

يعني لا تنادونه بصوت مرتفع، كما ينادي بعضكم بعضاً، بل يكون جهراً بأدب وتشريف وتعظيم، يليق به صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

ففي هذا دليل على أن الذي يرفع صوته فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم، أو يجهر له بالقول كجهره لبعض الناس، قد يحبط عمله من حيث لا يشعر؛ لأن هذا قد يجعل في قلب المراء استهانة بالرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم، والاستهانة بالرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ردة عن الإسلام.

﴿مواقف الصحابة رضي الله عنهم بعد نزول الآية :

لما نزلت هذه الآية تأدب الصحابة - رضي الله عنهم - بذلك حتى كان بعضهم يكلمه مسارة ولا يفهم الرسول صلى الله عليه وسلم ما يقول من إسراره، حتى يستثبته مرة أخرى.

﴿عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أَنَّهُ سَمِعَ صَوْتَ رَجُلَيْنِ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا، فَجَاءَ فَقَالَ: أَتَدْرِيَانِ أَيْنَ أَنْتُمَا؟ ثُمَّ قَالَ: مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا؟ قَالَا: مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ، فَقَالَ: لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَأَوْجَعْتُكُمَا ضَرْبًا.

﴿موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

روى البُخَارِيُّ : عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أمر القعقاع بن معبد، وقال عمر رضي الله عنه: بَلْ أَمْرُ الْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما أردت إلا خلافي، فقال عمر رضي الله عنه: مَا أَرَدْتُ خِلَافَكَ، فَتَمَارِيَا حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا فَتَزَلَّتِ الْآيَةُ. "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ " الْآيَةُ.

لله قال ابن الزبير رضي الله عنهما: فما كان عمر رضي الله عنه يُسْمِعُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ عَنْ أَبِيهِ يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انفرد به دُونُ مُسْلِمٍ.

﴿موقف ثابت بن قيس بن شماس - رضي الله عنه :

ولما نزلت هذه الآية كان ثابت بن قيس بن شماس - رضي الله عنه - جهوري الصوت، وكان من خطباء النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فلما نزلت هذه الآية تغيب في بيته وصار لا يحضر مجالس النبي صلى الله عليه وسلم، فافتقده الرسول صلى الله عليه وسلم وسأل عنه فأخبروه أنه في بيته منذ نزلت الآية، فأرسل إليه رسولا يسأله، فقال: إن الله تعالى يقول: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ } .

وإنه قد حبط عمله، وإنه من أهل النار، فدعاه الرسول صلى الله عليه وسلم فحضر، وأخبره النبي صلى الله عليه وسلم أنه من أهل الجنة، وقال: «أما ترضى أن تعيش حميداً، وتُقتل شهيداً، وتدخل الجنة؟» قال: بلى رضيت. "صحيح مسلم"

* فَقُتِلَ - رضي الله عنه - شهيداً في وقعة اليمامة، وعاش حميداً، وسيدخل الجنة بشهادة الرسول - عليه الصلاة والسلام - ولذلك كان ثابت - رضي الله عنه - ممن يُشهد له بأنه من أهل الجنة بعينه. (١)

وَقَالَ الْعُلَمَاءُ: يُكْرَهُ رَفْعُ الصَّوْتِ عِنْدَ قَبْرِه صلي الله عليه وسلم كما كان يكره في حياته عليه الصلاة والسلام، لِأَنَّهُ مُحْتَرَمٌ حَيًّا وَفِي قَبْرِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ دَائِمًا، ثُمَّ نَهَى عَنِ الْجَهْرِ لَهُ بِالْقَوْلِ كَمَا يَجْهَرُ الرَّجُلُ لِمُخَاطَبِهِ مِمَّنْ عَدَاهُ، بَلْ يُخَاطَبُ بِسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ وَتَعْظِيمٍ. (٢)



السادس عشر من شعب الإيمان

شَحِ الْمَرْءُ بِدِينِهِ حَتَّى يَكُونَ الْقَذْفُ فِي النَّارِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ

لَحْدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ " فِي الصَّحِيحِينَ "، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: .. وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ " ولحديثه أَيْضًا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: " أَنْ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ أَسْلَمُوا فَوَاللَّهِ إِنْ مُحَمَّدًا لِيُعْطِيَ عَطَاءَ رَجُلٍ لَا يَخَافُ الْفَاقَةَ فَقَالَ أَنَسٌ وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ يَجِيءُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا فَمَا يُمْسِي حَتَّى يَكُونَ دِينُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ وَأَعَزَّ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا "

◀ قوله: " وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ "

(١) تفسير العثيمين: الحجرات - الحديد (ص: ١٧)

(٢) تفسير ابن كثير ط العلمية (٧/ ٣٤٤) - تفسير العثيمين للحجرات

وفي رواية: (وَحَتَّى أَنْ يَقْذِفَ فِي النَّارِ أَحَبُّ إِلَيْهِ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ) .

وفي رواية للبخاري ومسلم: (أَنْ يَلْقَى فِي النَّارِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرْجِعَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا) .

لله قوله: (وَأَنْ يَكْرَهُ) إِلَى آخِرِهِ. مَعْنَاهُ أَنَّ هَذِهِ الْكَرَاهَةَ إِنَّمَا تُوجَدُ عِنْدَ وَجُودِ سَبَبِهَا، وَهُوَ مَا دَخَلَ

قلبه من نور الإيمان، وَمَنْ كَشَفَ لَهُ عَنْ مُحَاسِنِ الْإِسْلَامِ وَقَبَحِ الْجَهَالَاتِ وَالْكَفْرَانِ،

وَقِيلَ: الْمَعْنَى أَنَّ مَنْ وَجَدَ حِلَاوَةَ الْإِيمَانِ وَعَلِمَ أَنَّ الْكَافِرَ فِي النَّارِ يَكْرَهُ الْكُفْرَ لِكْرَاهَتِهِ لِدُخُولِ

النَّارِ. قُلْتُ: وَقَائِلُ هَذَا الْمَعْنَى حَافِظٌ عَلَى بَقَاءِ لَفْظِ الْعُودِ عَلَى مَعْنَاهُ الْحَقِيقِيِّ، وَمَعْنَاهُ هُنَا مَعْنَى

الصِّيرُورَةِ، قَالَ تَعَالَى: {وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا} (الْأَعْرَافُ: ٨٩). (١)

❦ قوله: وَعَنْ أَنَسٍ، «أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ فَآتَى قَوْمَهُ فَقَالَ أَيُّ قَوْمٍ

أَسْلِمُوا فَوَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ»

"فَقَالَ أَنَسٌ وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ يَحْيَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا فَمَا يُمْسِي حَتَّى

يَكُونَ دِينُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ وَأَعَزُّ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا" رواه مسلم

(وَعَنْ أَنَسٍ): رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ)، أَيُّ

قِطْعَةٍ غَنَمٍ تَمْلَأُ مَا بَيْنَهُمَا (أَعْطَاهُ اللَّهُ)، أَيُّ مَطْلُوبَةٍ عَلَى وَجْهِ تَمَنَّاهُ (فَآتَى قَوْمَهُ)، أَيُّ مُتَعَجِّبًا مِنْ

كَرَمِهِ الدَّالِّ عَلَى كَمَالِ تَوَكُّلِهِ وَزُهْدِهِ. (فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ) أَيُّ يَا قَوْمٍ (أَسْلِمُوا) أَيُّ فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِي

إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ (فَوَاللَّهِ، إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً) أَيُّ: عَظِيمًا (مَا يَخَافُ الْفَقْرَ) .

قَالَ الطَّبْرِيُّ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنْ ضَمِيرٍ يُعْطِي، وَأَنْ يَكُونَ صِفَةً لِعَطَاءِ اللَّهِ عَطَاءً مَا يَخَافُ

الْفَقْرَ مَعَهُ، فَإِنْ قُلْتُ: كَيْفَ دَلَّ هَذَا الْوَصْفُ عَلَى وَجُوبِ الْإِسْلَامِ؟ قُلْتُ: مَقَامَ ادِّعَاءِ النَّبُوَّةِ مَعَ

إِعْطَاءِ الْجَزِيلِ يَدُلُّ عَلَى وَثُوقِهِ عَلَى مَنْ أَرْسَلَهُ إِلَى دَعْوَةِ الْخَلْقِ، فَإِنَّ مِنْ جِبِلَّةِ الْإِنْسَانِ خَوْفَ الْفَقْرِ.

قَالَ تَعَالَى: {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ} [البقرة: ٢٦٨]. (٢)

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١ / ١٤٩)

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩ / ٣٧١٢)

السَّابِعُ عَشَرَ مِنْ شُعْبِ الْإِيمَانِ

طلب العلم

هُوَ مَعْرِفَةُ الْبَارِي تَعَالَى وَمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَعِلْمُ النُّبُوَّةِ وَمَا يُمَيِّزُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ غَيْرِهِ وَعِلْمُ أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَفْضِيَّتِهِ وَمَعْرِفَةُ مَا تَطْلُبُ الْأَحْكَامُ مِنْهُ كَالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْقِيَاسِ وَشُرُوطِ الْجِتْهَادِ

وَالْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ مَشْحُونَانِ بِفَضِيلَةِ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} . فاطر ٢٨

وَقَالَ تَعَالَى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِتًا بِالْقِسْطِ}

وَقَالَ تَعَالَى: {وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا} . النساء ١١٣

وَقَالَ تَعَالَى: {يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}

وَقَالَ تَعَالَى: {هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ الْأَلْبَابُ} الزمر ٩

"وَفِي الصَّحِيحَيْنِ" مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا فَاسْتَلَوْا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَاضْلَلُوا"

"وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ" مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كَرِبَةً مِنْ كَرِبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كَرِبَةً مِنْ كَرِبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسِرْ عَلَى مُعَسَّرٍ يَسِرْ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ وَمَنْ

سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَخَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ

وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يَسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ"

الكلام على العلم في مسائل :

تعريف العلم لغة: نقيض الجهل، وهو: إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكًا جازمًا.

اصطلاحًا: فقد قال بعض أهل العلم: هو المعرفة وهو ضد الجهل، وهو قال الله قال رسوله ﷺ.

المسألة الثانية: حكم طلب العلم.

قال الشيخ العثيمين :

طلب العلم الشرعي فرض كفاية إذا قام به من يكفي صار في حق الآخرين سنة، وقد يكون طلب العلم واجبًا على الإنسان عينًا أي فرض عين، وضابطه أن يتوقف عليه معرفة عبادة يريد فعلها أو معاملة يريد القيام بها، وينبغي لطالب العلم أن يشعر نفسه أنه قائم بفرض كفاية حال طلبه ليحصل له ثواب فاعل الفرض مع التحصيل العلمي. "١"

المسألة الثالثة فضائل العلم:

لقد مدح الله سبحانه وتعالى العلم وأهله، وحثَّ عباده على العلم والتزود منه وكذلك السنة المطهرة فالعلم من أفضل الأعمال الصالحة وله فضائل كثيرة ومن هذه الفضائل .:

١/ وصف الله أهل العلم بالخشية .

﴿ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : "إِنَّمَا يُخَشِى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ " ٦ فاطر ٢٨

قال ابن كثير: إِنَّمَا يُخَشَاهُ حَقَّ خَشْيَتِهِ الْعُلَمَاءُ الْعَارِفُونَ بِهِ، لِأَنَّهُ كُلَّمَا كَانَتِ الْمَعْرِفَةُ لِلْعَظِيمِ الْقَدِيرِ الْعَلِيمِ الْمُؤَصِّفِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ الْمُنْعُوتِ بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، كُلَّمَا كَانَتِ الْمَعْرِفَةُ بِهِ أَتَمَّ وَالْعِلْمُ بِهِ أَكْمَلَ كَانَتِ الْخَشْيَةُ لَهُ أَعْظَمَ وَأَكْثَرَ.

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: "لَيْسَ الْعِلْمُ عَنْ كَثْرَةِ الْحَدِيثِ، وَلَكِنَّ الْعِلْمَ عَنْ كَثْرَةِ الْخَشْيَةِ".

(١) العلم للعثيمين (ص: ٢١)

٢- أن الإنسان يتوصل به إلى أن يكون من الشهداء على الحق، والدليل:

﴿وَقَالَ تَعَالَى: "شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ

قال الشيخ العثيمين:

فهل قال: أولو المال؟ لا، بل قال: {وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ} فيكفيك فخراً يا طالب العلم أن تكون ممن شهد الله أنه لا إله إلا هو مع الملائكة الذين يشهدون بوحداية الله عز وجل.

٣- ومن الفضائل أن الله يرفع أهل العلم في الدنيا والآخرة الدليل:

﴿وَقَالَ تَعَالَى: "يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ"

﴿وَقَالَ تَعَالَى: "هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ"

قال الشيخ العثيمين رحمه الله:

أما في الآخرة فإن الله يرفعهم درجات بحسب ما قاموا به من الدعوة إلى الله - عز وجل - والعمل بما علموا، وفي الدنيا يرفعهم الله بين عباده بحسب ما قاموا به.

✍ قال أبو عامر حفظه الله:

العلم سبب عظيم من أسباب الرفعة في الدنيا يرفع الله به من شاء من خلقه

فرفع الله به الفقراء حتى سادوا الناس بالعلم والإيمان مثل ابن مسعود رضي الله عنه رفعه الله بالعلم.

قال أبو موسى الأشعري: لا تسألوني وهذا الخبر فيكم - يعني ابن مسعود -

وجاء أن عبد الله بن مسعود كان يحتز لرسول الله صلى الله عليه وسلم سواكاً من أراك وكان في ساقه دقة فضحك القوم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

(مَا يُضْحِكُكُمْ مِنْ دَقَّةِ سَاقِيهِ؟! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ)

"وأخرج مسلم "بسنده أن نافع بن عبد الحارث تلقى عمر بن الخطاب إلى عسفان وكان نافع

عاملاً لعمر على مكة فقال عمر:

مَنِ اسْتَخْلَفْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي يَعْنِي أَهْلَ مَكَّةَ؟

قَالَ: ابْنُ أَنْزَى قَالَ: وَمَنْ ابْنُ أَنْزَى؟ قَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْمُوَالِي

قَالَ عُمَرُ: اسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلَى؟! فَقَالَ لَهُ: إِنَّهُ قَارِئُ لِكِتَابِ اللَّهِ

فَقَالَ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ لَيَرْفَعُ بِهَذَا الْقُرْآنِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ).

لله وأما عطاء بن أبي رباح: فكان مولى من الموالي

قال الذهبي:

سَمِعْتُ بَعْضَ أَهْلِ الْعِلْمِ يَقُولُ: كَانَ عَطَاءٌ أَسْوَدَ، أَعْوَرَ، أَفْطَسَ، أَشَلَّ، أَعْرَجَ، ثُمَّ عَمِيَ، فَرَفَعَهُ

اللله بالعلم

قال الذهبي: الإمام، شَيْخُ الْإِسْلَامِ، مُفْتِي الْحَرَمِ،

وقال: وَكَانَ مِنْ أَوْعِيَةِ الْعِلْمِ.

وقال: وَكَانَ ثِقَةً، فَقِيهًا، عَالِمًا، كَثِيرَ الْحَدِيثِ

وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ: هُوَ مَوْلَى لِبَنِي فِهْرٍ، أَوْ بَنِي جُمَحٍ، انْتَهَتْ فَتَوَى أَهْلَ مَكَّةَ إِلَيْهِ،

وقال إبراهيم بن عمر بن كيسان: أَذْكُرُهُمْ فِي زَمَانِ بَنِي أُمَيَّةَ يَأْمُرُونَ فِي الْحَجِّ مُنَادِيًا يَصِيحُ: لَا يُفْتِي

النَّاسَ إِلَّا عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَطَاءً، فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي نَجِيحٍ.

قَالَ أَبُو حَازِمٍ الْأَعْرَجُ: فَاقَ عَطَاءُ أَهْلَ مَكَّةَ فِي الْفَتَوَى. "١"

لله بل رفع الله بالعلم حتى البلدان: فأرخ العلماء لمكة والمدينة ودمشق وبغداد وغيرها لأنها كانت

مدن تقصد للعلم.

وفي عصرنا الحاضر رفع الله ذكر بلدة دماج بلدة شيخنا الإمام العلامة الوادعي

رحمه الله، لا لما فيها من متاع الدنيا الفاني بل لما حوته من علم:

(١) راجع سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٥ / ٨٠)

والله در من قال:

ماقدر دماغ بالأموال تجمعها
وإنما قدرها بالعلم يرفعها
كلا ولا قدرها في غلة العنب
ودعوة يقتدى فيها بخير نبي

٥- أن العلم سبب وطريق لدخول الجنة: كما دل على ذلك ما جاء :

«**فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ** "من حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : "... وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ"

قال الشيخ العثيمين رحمه الله :

هذا الحديث في بيان فضل العلم وآثاره الحميدة، وسلوك الطريق يشمل طريقين : الطريق الحسي الذي تفرعه الأقدام :

مثل أن يأتي الإنسان من بيته إلى مكان العلم سواء كان مكان العلم مسجداً أو مدرسة أو كلية أو غير ذلك ومن ذلك أيضاً الرحلة في طلب العلم أن يرحل الإنسان من بلده إلى بلد آخر يلتمس العلم فهذا سلك طريقاً يلتمس فيه علماً وقد رحل جابر بن عبد الله الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث واحد مسيرة شهر كامل على الرواحل على الإبل سار من بلده إلى بلد مسيرة شهر ، من أجل حديث واحد رواه عبد الله بن أنيس عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وَعَنْ قَيْسِ بْنِ كَثِيرٍ قَالَ: قَدِمَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ بِدِمَشْقَ، فَقَالَ: مَا أَقْدَمَكَ أَيُّ أَخِي؟ قَالَ: حَدِيثٌ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُ بِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: أَمَا قَدِمْتَ لِتِجَارَةٍ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: أَمَا قَدِمْتَ لِحَاجَةٍ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: أَمَا قَدِمْتَ إِلَّا فِي طَلَبِ هَذَا الْحَدِيثِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهَا عِلْمًا، سَلَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ لِعَالِمٍ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى الْخَيْتَانِ فِي الْمَاءِ،

وَفَضَّلَ الْعَالَمَ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمِنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ»

فأنت الآن في القرن الخامس عشر إذا كنت من أهل العلم ترث محمدًا صلى الله عليه وسلم وهذا من أكثر الفضائل. إذ العلم يبقى والمال يفنى.

أما الثاني: فهو الطريق المعنوي:

وهو أن يلتمس العلم من أفواه العلماء ومن بطون الكتب فالذي يراجع الكتب للعثور على حكم مسألة شرعية وإن كان جالساً على كرسيه فإنه قد سلك طريقاً يلتبس فيه علماً ومن جلس إلى شيخ يتعلم منه فإنه قد سلك طريقاً يلتبس فيه علماً ولو كان جالساً فسلوك الطريق ينقسم كما سمعتم إلى قسمين: قسم يراد به الطريق الذي تفرعه الأقدام والثاني يراد به الطريق الذي يتوصل به إلى العلم وإن كان جالساً.

من سلك هذا الطريق سهل الله له به طريقاً إلى الجنة لأن العلم الشرعي تعرف به حكم ما أنزل الله تعرف به شريعة الله تعرف به أوامر الله تعرف به نواهي الله فتستدل به على الطريق الذي يرضى الله عز وجل ويوصلك إلى الجنة وكلما ازددت حرصاً في سلوك الطرق الموصلة إلى العلم ازددت طرقاً توصلك إلى الجنة.

❦ وفي هذا الحديث :

من التمرغيب في طلب العلم ما لا يخفى على أحد فينبغي للإنسان أن ينتهز الفرصة ولا سيما الشاب الذي يحفظ سريعاً ويمكث في ذهنه ما حفظه ينبغي له أن يبادر الوقت ببادر العمر قبل أن يأتيه ما يشغله عن ذلك. (١)

٦ - من فضائل العلم نزول السكينة والرحمة وذكر الله لهم والدليل ما جاء في الصحيحين :

(١) شرح رياض الصالحين (٥/ ٤٣٣)

﴿ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يَسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ ﴾

قوله : "تنزل عليهم السكينة" والسكينة هي طمأنينة القلب وخشوعه وإنابته إلى الله عز وجل ، "وتغشاهم الرحمة" أي تحيط بهم من كل جانب فيكونون أقرب إلى رحمة الله عز وجل "وحفتهم الملائكة" أي كانوا حولهم يحفون بهم إكراما لهم ورضا بما فعلوا وذكرهم الله فيمن عنده أي في الملائكة الأعلى وقد مر علينا أن الله تعالى قال من "ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم". (١)

٧ - من فضائل العلم أن أهل العلم هم القائمون على أمر الله تعالى حتى تقوم الساعة، والدليل : حديث معاوية رضي الله عنه - يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله" رواه البخاري.

لله وقد قال الإمام أحمد عن هذه الطائفة: "إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم".
لله قال العثيمين رحمه الله: ولو لم يكن من نصوص الكتاب والسنة إلا هذا الحديث في فضل العلم لكان كافيا في الحث على طلب علم الشريعة والفقه فيها. (٢)

٩- تَسْوِيَةُ طَالِبِ الْعِلْمِ وَمُعَلِّمِهِ بِالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.
عن أَبِي هُرَيْرَةَ يَقُولُ إِنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (مَنْ دَخَلَ مَسْجِدَنَا هَذَا لِيَتَعَلَّمَ خَيْرًا أَوْ يَعْلَمَهُ كَانَ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَنْ دَخَلَهُ لِيُغَيِّرَ ذَلِكَ كَانَ كَالنَّاظِرِ إِلَى مَا لَيْسَ لَهُ) صححه الألباني .

(١) شرح رياض الصالحين (٥ / ٤٣٣)

(٢) راجع كتاب العلم للعثيمين.

٨ - بسط الملائكة أجنتها لطالب العلم رضا يصنعه دليل ذلك:

عَنْ زُرٍّ: قَالَ: أَتَيْتُ صَفْوَانَ بْنَ عَسَّالٍ الْمُرَادِيَّ قَالَ: مَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: جِئْتُ أَنْبِطُ الْعِلْمَ قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (مَا مِنْ خَارِجٍ يُخْرِجُ مِنْ بَيْتِهِ يَطْلُبُ الْعِلْمَ إِلَّا وَضَعَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ أَجْنَتَهَا رِضًا بِمَا يَصْنَعُ) صححه الألباني .

المسألة الرابعة: آداب طالب العلم والأسباب المعينة على تحصيله

طالب العلم لا بد له من التأدب بآداب كثيرة، من أهم تلك الآداب التي ذكرها الشيخ العثيمين في كتابه العلم منها مايلي :

❶ الأمر الأول: إخلاص النية لله عز وجل :

قال الشيخ العثيمين رحمه الله :

بأن يكون قصده بطلب العلم وجه الله والدار الآخرة؛ لأن الله حثَّ عليه ورغَّب فيه، فيجب الإخلاص فيه لله بأن ينوي الإنسان في طلب العلم وجه الله عز وجل وجاء عن يَحْيَى بْنِ يَمَانَ أَوْ وَكِيعٍ قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَمَلٍ أَفْضَلَ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ إِذَا صَحَّتِ النِّيَّةُ» وسنده صحيح. (١)

❷ الأمر الثاني: العمل بالعلم:

أن يعمل طالب العلم بعلمه عقيدة وعبادة، وأخلاقاً وآداباً ومعاملةً؛ لأن هذا هو ثمرة العلم وهو نتيجة العلم، وحامل العلم كالحامل لسلاحه، إما له وإما عليه، ولهذا ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "القرآن حجة لك أو عليك".

"لك" إن عملت به، "وعليك" إن لم تعمل به.

عَنِ الْحُسَيْنِ قَالَ «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَعَلَّمُ الْبَابَ مِنَ الْعِلْمِ فَيَعْمَلُ بِهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»

(١) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٢٣٠)

● الأمر الثالث: احترام العلماء وتقديرهم:

إن على طلبة العلم احترام العلماء وتقديرهم، وأن تتسع صدورهم لما يحصل من اختلاف بين العلماء وغيرهم، وأن يقابلوا هذا بالاعتذار عمن سلك سبيلاً خطأ في اعتقادهم، وهذه نقطة مهمة جداً؛ لأن بعض الناس يتتبع أخطاء الآخرين؛ ليتخذ منها ما ليس لائقاً في حقهم، ويشوش على الناس سمعتهم، وهذا أكبر الأخطاء، والناس إذا زهدوا في العالم أو سقط من أعينهم تسقط كلمته أيضاً. وإذا كان يقول الحق ويهدي إليه فإن غيبة العالم تكون حائلاً بين الناس وبين علمه الشرعي، وهذا خطره كبير وعظيم.

عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْجُرَيْرِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ يَقُولُ: «لَقَدْ كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُحَدِّثُنِي بِالْحَدِيثِ لَوْ يَأْذَنُ لِي أَنْ أَقُومَ أَقْبَلَ رَأْسَهُ فَفَعَلْتُ»

قال السليمي رحمه الله: "ما كان إنسان يجترئ على ابن المسيب ليسأله حتى يستأذنه كما يستأذن الأمير"

وقال الشافعي رحمه الله: "كنت أصفح الورق بين يدي مالك برفق لئلا يسمع وقعها" وقال

الربيع: "والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إلي. (١)"

ومن الأسباب المعينة على طلب العلم

● أولاً: التقوى:

وتقوى العبد ربه: أن يجعل بينه وبين من يخشاه من غضبه وسخطه وقاية تقيه من ذلك، بفعل طاعته واجتناب معاصيه. عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: «مِيرَاثُ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنَ الذَّهَبِ، وَالنَّفْسُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ مِنَ اللَّوْلُؤِ»

(١) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٤٢٦) فيض القدير (٣/ ٢٥٣)

❧ ثانيا : ملازمة العلماء :

قال الشيخ العثيمين : يجب على طالب العلم أن يستعين بالله عز وجل ثم بأهل العلم، ويستعين بما كتبوا في كتبهم؛ لأن الاقتصار على مجرد القراءة والمطالعة يحتاج إلى وقت طويل بخلاف من جلس إلى عالم يبين له ويشرح له وينير له الطريق، وأنا لا أقول : إنه لا يُدرك العلم إلا بالتلقي من المشايخ، فقد يدرك الإنسان بالقراءة والمطالعة لكن الغالب أنه إذا ما أكبَّ إكباباً تاماً، ورزق الفهم فإنه قد يخطئ كثيراً ولهذا يقال : (من كان دليله كتابه فخطؤه أكثر من صوابه)، ولكن هذا ليس على الإطلاق في الحقيقة. "١"

❧ ثالثا : الإجتهد في الطلب وعدم الانصراف بالشواغل عن طلب العلم :

الانصراف بالشواغل والتقطع عن العلم من أكبر الأسباب التي تحرم طالب العلم الاستفادة .
ومما يدل على ما جاء الإجتهد في الطلب عن بعض السلف منهم :
❧ عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: «لَا يُسْتَطَاعُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجِسْمِ» صحيح مسلم.

عن نُعَيْمِ بْنِ حَمَّادٍ قَالَ: قِيلَ لِابْنِ الْمُبَارَكِ، إِلَى مَتَى تَطْلُبُ الْعِلْمَ؟ قَالَ: «حَتَّى الْمَمَاتِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» وَقِيلَ لَهُ مَرَّةً أُخْرَى مِثْلَ ذَلِكَ فَقَالَ: «لَعَلَّ الْكَلِمَةَ الَّتِي تَنْفَعُنِي لَمْ أَكْتُبْهَا بَعْدُ»
❧ رابعا : مذاكرة العلم .

وَقَالَ قَتَادَةُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «تَذَاكُرُ الْعِلْمِ بَعْضُ لَيْلَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِحْيَائِهَا»
عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ رَجَاءٍ: «أَنَّهُ كَانَ يَجْمَعُ صَبِيَانَ الْكُتَّابِ فَيُحَدِّثُهُمْ لَيْلًا يَنْسَى حَدِيثَهُ»
عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: «إِنَّ إِحْيَاءَ الْحَدِيثِ مُذَاكَرَتُهُ» قَالَ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَّادٍ:
"يَرْحَمُكَ اللَّهُ كَمْ مِنْ حَدِيثٍ أَحْيَيْتَهُ فِي صَدْرِي قَدْ كَانَ مَاتَ. (٢)"

(١) راجع كتاب العلم للعثيمين.

(٢) جامع بيان العلم وفضله (١ / ١٩)

مسألة : كيفية قبض العلم ؟

« ما جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : " إِنْ اللهُ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَاً لَا فَسَلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَاضِلُوا) (إِنْ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَرْفَعَ الْعِلْمَ، وَيُظْهِرَ الْجُهْلَ)

كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ حَزْمٍ : تَمَّتْ أَنْظَرُ مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ فَاكْتُبْهُ، فَإِنِّي خِفْتُ دُرُوسَ الْعِلْمِ، وَذَهَابَ الْعُلَمَاءِ، وَلَا تَقْبَلُ إِلَّا حَدِيثَ النَّبِيِّ ﷺ، وَلْتَقَشُوا الْعِلْمَ، وَلْتَجْلِسُوا حَتَّى يُعَلِّمَ مَنْ لَا يَعْلَمُ، فَإِنَّ الْعِلْمَ لَا يَهْلِكُ حَتَّى يَكُونَ سِرًّا. وَقَالَ الْحَسَنُ: الْعِلْمُ عِلْمَانِ: عِلْمٌ عَلَى اللِّسَانِ، فَذَاكَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى ابْنِ آدَمَ، وَعِلْمٌ فِي الْقَلْبِ، فَذَاكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ.

وَالْقِسْمُ الثَّانِي: الْعِلْمُ الَّذِي عَلَى اللِّسَانِ، وَهُوَ حُجَّةُ اللَّهِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ: «الْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ»، فَأَوَّلُ مَا يُرْفَعُ مِنَ الْعِلْمِ: الْعِلْمُ النَّافِعُ، وَهُوَ الْعِلْمُ الْبَاطِنُ الَّذِي يُخَالِطُ الْقُلُوبَ وَيُصْلِحُهَا، وَيَبْقَى عِلْمُ اللِّسَانِ حُجَّةً، فَيَتَهَاوَنُ النَّاسُ بِهِ، وَلَا يَعْمَلُونَ بِمُقْتَضَاهُ، لَا حَمَلَتُهُ وَلَا غَيْرُهُمْ، ثُمَّ يَذْهَبُ هَذَا الْعِلْمُ

قَالَ أَبُو عبيد: وأما رفع العلم فيكون بشيئين:

أحدهما: بموت العلماء كما قال في حديث عبد الله بن عمرو: ((وَلَكِنْ يَقْبِضُهُ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ))
الثاني: بخساسة الهمم واقتناعها باليسير منه، فإنها إذا دنت قصرت، وكشف هذا أنك إذا تأملت من سبق من العلماء رأيت كل واحد منهم يفتن في العلوم ويرتقي في كل فن إلى أقصاه، حتى رويناه عن الشعبي أنه قال: (مَا أَرَوِي أَقْلَ مِنْ الشَّعْرِ، وَلَوْ شِئْتُ لَأَنْشَدْتُكُمْ شَهْرًا لَا أُعِيدُ). (١)

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/ ٢٣٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١/ ١٧٧) جامع العلوم والحكم

الثامن عشر من شعب الإيمان

نشر العلم

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ} وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ} التَّوْبَةِ ١٢٢

وَلِحَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "فِي الصَّحِيحَيْنِ": حَدَّثَ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْى فَقَالَ: «أَلَا فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْعَائِبَ فَإِنَّهُ لَعَلَّهُ أَنْ يُبَلِّغَهُ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ أَوْ مَنْ هُوَ أَحْفَظُ لَهُ»

وَحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ مِنْ: (سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ أَجْمَعُ اللَّهُ بَلْجَامَ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ). صححه العلامة الألباني والوادي

وَعَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ: (إِذَا طَلَبَ الْعَبْدُ الْعِلْمَ لِيَعْمَلَ بِهِ كَسْرَهُ عِلْمَهُ وَإِذَا طَلَبَهُ لغيرِ الْعَمَلِ زَادَهُ كِبَرًا) اسناده حسن. وَعَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ قَالَ: (قَرَأْتُ فِي التَّوَارِثِ أَنَّ الْعَالِمَ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ زَلَّتْ مَوْعِظَتُهُ مِنَ الْقُلُوبِ كَمَا يَزُلُّ الْقَطَرُ عَنِ الصَّفَا). اسناده حسن.

وَأَنشَدَ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي دَاوُدَ لِنَفْسِهِ:

من غص داوى يشرب الماء غصته * * فكيف يصنع من قد غص بالماء

نَسَأَلُ اللَّهَ التَّوْفِيقَ لِلْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَنَعُوذُ بِجَلَالِ وَجْهِهِ مِنَ الْخِذْلَانِ وَالْحَرَصِ وَالْأَمَلِ.

◀ قَوْلُهُ "وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتََرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ

قال ابن كثير :

وفي هذه الآية توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب الذين أخذ الله عليهم العهد على ألسنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، وأن ينووا بذكره في الناس، ليكونوا على أهبة من أمره، فإذا أرسله الله تابعه، فكنتموا ذلك وتعوّضوا عما وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدون الطفيف، والحظّ الدنيوي السخيف، فبئست الصنفقة صفقتهم، وبئست البيعة بيعتهم، وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم، ويسلك بهم مسالكهم، فعلى العلماء أن يبدّلوا ما بأيديهم من العلم النافع، الدالّ على العمل الصالح، ولا يكتموا منه شيئاً.

◀ قوله: {فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم}

قال الإمام السعدي: ففي هذه الآية فضيلة العلم، وخصوصاً الفقه في الدين، وأنه أهم الأمور، وأن من تعلم علماً، فعليه نشره وبثه في العباد، ونصيحتهم فيه فإن انتشار العلم عن العالم، من بركته وأجره، الذي ينمي له.

وأما اقتصار العالم على نفسه، وعدم دعوته إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وترك تعليم الجاهل ما لا يعلمون، فأى منفعة حصلت للمسلمين منه؟ وأي نتيجة نتجت من علمه؟ وغايته أن يموت، فيموت علمه وثمرته، وهذا غاية الحرمان، لمن آتاه الله علماً ومنحه فهماً. (١)

◀ قوله: «مَنْ سِئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

عن عبد الرحمن الأعرج، عن أبي هريرة، أنه كان يقول: (لَوْ لَا آيَتَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا حَدَّثْتُكُمْ شَيْئاً، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى} هَذِهِ الْآيَةُ وَالَّتِي تَلِيهَا ثُمَّ قَالَ: إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ: أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ "مَنْ سِئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ أَلْجَمَهُ... الْقِيَامَةَ". (١)

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية (٢/ ١٥٩) - تفسير السعدي .

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ: إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ يُكَاتِبُ الْحُرُورِيَّةَ وَلَوْلَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ أَكْتُمَ عِلْمًا مَا كَتَبْتُ إِلَيْهِ «وَذَكَرَ الْحَدِيثَ مِنْ كَتَمَ....»

◀ قوله: «أَلَا فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ فَإِنَّهُ لَعَلَّهُ أَنْ يُبَلِّغَهُ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ أَوْ مَنْ هُوَ أَحْفَظُ لَهُ»

قال ابن بطال: لما أخذ الله على أنبيائه الميثاق في تبليغ دينه، وتبيينه لأمتهم، وجعل العلماء ورثة الأنبياء، وجب عليهم تبليغ الدين، ونشره حتى يظهر على جميع الأديان، وقد بينا قبل هذا أن كل من خاطبه (صلى الله عليه وسلم) بتبليغ العلم فيمن كان في عصره فقد تَعَيَّنَ عليه فرض التبليغ، وأما اليوم فهو من فروض الكفاية، لانتشار الدين وعمومه.

ومن أقوال السلف في فضل نشر العلم:

عن نُعَيْمِ بْنِ حَمَّادٍ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ يَقُولُ: «لَا أَعْلَمُ مِنَ الْعِبَادَةِ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنْ أَنْ يَعْلَمَ النَّاسُ الْعِلْمَ»
عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «الْعَالِمُ وَالْمُتَعَلِّمُ فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ وَلَا خَيْرَ فِي سَائِرِ النَّاسِ بَعْدَهُمَا»

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «مُعَلِّمُ الْخَيْرِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ دَابَّةٍ حَتَّى الْخُثُوتُ فِي الْبَحْرِ». (٢)
جامع بيان العلم وفضله (١ / ٤٩٨)

عَنِ ابْنِ شَهَابٍ قَالَ: «مَا صَبَرَ أَحَدٌ عَلَى الْعِلْمِ صَبْرِي وَلَا نَشَرَهُ أَحَدٌ نَشْرِي»

(٢) جامع بيان العلم وفضله (١ / ١٩)

(١) جامع بيان العلم وفضله (١ / ٢٠) المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (ص: ٢٧٣)

التاسع عشر من شعب الإيمان

تَعْظِيمُ الْقُرْآنِ الْمُحِيدِ بتعلمه وتعليمه وحفظ حُدُوده واحكامه

وَعِلْمُ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ وَتَبَجِيلُ أَهْلِهِ وَحِفَاظُهُ وَاسْتِشْعَارُهَا يَهِيْجُ إِلَى الْبُكَاءِ مِنْ مَوَاعِيدِ

اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ وَوَعِيدِهِ

قَالَ تَعَالَى: {لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ}

وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِّنْ رَبِّ

الْعَالَمِينَ} الْوَاقِعَةُ ٧٧ ٨٠

وَقَالَ تَعَالَى: {وَلَوْ أَن قُرْآنًا سِيرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلِ اللَّهُ الْأَمْرُ

جَمِيعًا} الرَّعْدُ ٣١

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أَفْضَلُكُمْ أَوْ

خَيْرُكُمْ مَنْ تَعْلَمُ الْقُرْآنَ وَعِلْمُهُ"

وَقَالَ فِيْمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ

فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبْلِ فِي عَقْلِهَا"

وَقَالَ فِيْمَا رَوَاهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ هَذَا

الْكِتَابَ فَقَامَ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَا لَا فَهْوَ يَتَصَدَّقُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ"

وَقَالَ فِيْمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ"

الكلام على القرآن في مسائل :

أولاً :تعريف القرآن الكريم لغةً :قال جماعة : القرآن مصدر قرأ بمعنى تلا .

قال الزجاج : إنه مشتق من " القرء " بمعنى الجمع .

﴿ القرآن في الشرع : هو كلام الله المنزل على نبيه محمد ﷺ ، المعجز بلفظه ، المتعبد بتلاوته ، المنقول بالتواتر ، المكتوب في المصاحف ، المبدوء بسورة الفاتحة ، المختوم بسورة الناس .

شرح التعريف :

﴿ قوله : هو كلام الله : دل على ذلك الكتاب و السنة و إجماع السلف فلا يلتفت بعد ذلك إلى كلام أهل التعطيل .

﴿ قوله : المنزل على نبيه : خرج ما أنزل على من سبقه من الأنبياء و الكتب .

﴿ قوله : المعجز بلفظه المتعبد بتلاوته : خرج بذلك الأحاديث القدسية .

﴿ قوله : المنقول بالتواتر : خرج ما سوى القرات المتواترة فإنها ليست قرآناً و لا تأخذ حكمه .

﴿ قوله : المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس : و هذا قد أجمع عليه المسلمون ، إلا من شذ من الرافضة فادعوا أن القرآن فيه نقص و أنه حذف منه أشياء .

﴿ تنبيه : الكتب المنزلة على الأنبياء السابقين كلها تسمى قرآناً .

و قد روى البخاري عن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : (خفف على داود القرآن ...)

﴿ ذكر أهل العلم أسماء كثيرة للقرآن ، أوصلها بعضهم إلى خمسة و خمسين اسماً ، راجعها في

(البرهان) للزركشي و (الإتيقان) للسيوطي و أشهر هذه الأسماء خمسة :

١ (القرآن الكريم .

٢ (الفرقان : لأنه فرق بين الحق و الباطل ، قال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ

لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ الفرقان ١ .

٣ (الكتاب : بمعنى مكتوب ، فهو مكتوب في اللوح المحفوظ ، و مكتوب في الصحف التي

بأيدي السفرة الكرام البررة و مكتوب في المصاحف + التي بأيدينا ، قال تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ الكهف

٤ (التنزيل : مصدر أريد به المنزل ، لنزوله من عند الله ،

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ

حَمِيدٍ﴾ فصلت ٤١-٤٢

٥) الذكر : سمي به القرآن لاشتغاله على المواعظ و الزواجر ، و قيل لاشتغاله على أخبار الأنبياء و الأمم الماضية .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر ٩

❖ قوله : ((وَلَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ))
 لله قال ابن كثير :

يَقُولُ تَعَالَى مُعْظَمًا لِأَمْرِ الْقُرْآنِ وَمُبَيِّنًا عُلُوَّ قَدْرِهِ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ تَخْشَعَ لَهُ الْقُلُوبُ وَتَتَصَدَّعَ عِنْدَ سَمَاعِهِ، لِمَا فِيهِ مِنَ الْوَعْدِ الْحَقِّ وَالْوَعِيدِ الْأَكِيدِ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ أَيِ فَإِذَا كَانَ الْجَبَلُ فِي غِلْظَتِهِ وَقَسَاوَتِهِ لَوْ فَهِمَ هَذَا الْقُرْآنَ فَتَدَبَّرَ مَا فِيهِ لَخْشَعَ وَتَصَدَّعَ مِنْ خَوْفِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَكَيْفَ يَلِيقُ بِكُمْ أَيُّهَا الْبَشَرُ أَنْ لَا تَلِينَ قُلُوبُكُمْ وَتَخْشَعَ وَتَتَصَدَّعَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَقَدْ فَهِمْتُمْ عَنِ اللَّهِ أَمْرَهُ وَتَدَبَّرْتُمْ كِتَابَهُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ((وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)) "١"

❖ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٢﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٣﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٤﴾ تَنْزِيلٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

❖ قال الشيخ العثيمين : قوله : { فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ } كتاب بمعنى مكتوب .

والمكنون : المحفوظ ، قال تعالى : { كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ } ،

❖ واختلف المفسرون في هذا الكتاب على قولين :

الأول : أنه اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه كل شيء .

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية (٦/ ١٤٩)

الثاني: وإليه ذهب ابن القيم -: أنه الصحف التي في أيدي الملائكة.

قال تعالى: {كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ، فَمِنْ شَاءَ ذَكَرَهُ، فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ، مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ، بِأَيْدِي سَفَرَةٍ} ، [عبس: ١١-١٥] .

فقوله: {بِأَيْدِي سَفَرَةٍ} ، يرجح أن المراد الكتب التي في أيدي الملائكة؛ لأن قوله: {لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ} ، [الواقعة: ٧٩] ، أي: الملائكة، يوازن قوله: {بِأَيْدِي سَفَرَةٍ} ، وعلى هذا يكون المراد بالكتاب الجنس لا الواحد.

قوله: {لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ} ،

الضمير يعود إلى الكتاب المكنون؛ لأنه أقرب شيء، وهو بالرفع {لَا يَمَسُّهُ} باتفاق القراء. **وإنما** نبهنا على ذلك؛ لدفع قول من يقول: إنه خبر بمعنى النهي، والضمير يعود على القرآن؛ أي: نهى أن يمس القرآن إلا طاهر، والآية ليس فيها ما يدل على ذلك، بل هي ظاهرة في أن المراد به اللوح المحفوظ؛ لأنه أقرب مذكور، ولأنه خبر، والأصل في الخبر أن يبقى على ظاهره خبرا لا أمرا ولا نهيا حتى يقوم الدليل على خلاف ذلك، ولم يرد ما يدل على خلاف ذلك، بل الدليل على أنه لا يراد به إلا ذلك، وأنه يعود إلى الكتاب المكنون، ولهذا قال الله: {إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ} باسم المفعول، ولم يقل: إلا المطهرون، ولو كان المراد "المطهرين" لقال ذلك، أو قال: إلا المتطهرون؛ كما قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} ، [البقرة: من الآية ٢٢٢] ،

للمطهرون: هم الذين طهرهم الله تعالى، وهم الملائكة، طهروا من الذنوب وأدناسها، قال

تعالى: {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ} ، [التحريم: من الآية ٦] ، وقال تعالى: {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ

وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ} ، [الأنبياء: ٢٠] ، وقال تعالى: {بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ، لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ

بِأَمْرِه يَعْمَلُونَ} ، [الأنبياء: من الآية ٢٦-٢٧] ، وفرق بين المطهر الذي يريد أن يفعل الكمال

بنفسه، وبين المطهر الذي كمله غيره وهم الملائكة، وهذا مما يؤيد ما ذهب إليه ابن القيم أن المراد

بالكتاب الكتب التي في أيدي الملائكة،

❦ وفي الآية إشارة : على أن من طهر قلبه من المعاصي كان أفهم للقرآن، وأن من تنجس قلبه بالمعاصي كان أبعد فهمها عن القرآن، لأنه إذا كانت الصحف التي في أيدي الملائكة لم يمكن الله من مسها إلا هؤلاء المطهرين؛ فكذلك معاني القرآن.

❧ فاستنبط شيخ الإسلام من هذه الآية:

أن المعاصي سبب لعدم فهم القرآن؛ كما قال تعالى: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} ، [المطففين: ١٤] ، وهم الذين قال الله فيهم: {إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} ، [المطففين: ١٣] ، فهم لا يصلون إلى معانيها وأسرارها؛ لأنه ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون. وقد ذكر بعض أهل العلم: أنه ينبغي لمن استفتي أن يقدم بين يدي الفتوى الاستغفار لمحو أثر الذنب من قلبه حتى يتبين له الحق، واستنبطه من قوله تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا، وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} ، [النساء: ١٠٥-١٠٦] .

❨ قوله: {تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ}

كقوله: {تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} وتنزيل؛ أي: منزل، فهي مصدر بمعنى اسم المفعول، منزل من رب العالمين، أنزله الله على قلب النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه محل الوعي والحفظ بواسطة جبريل، قال تعالى: {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ} . (١)

❩ وَقَالَ تَعَالَى: {وَلَوْ أَن قُرْآنًا سُرِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَلْ اللَّهُ الْأَمْرُ بِجَمِيعًا}

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٣٦)

قال ابن كثير: يَقُولُ تَعَالَى مَا دَحَا لِلْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُفَضَّلًا لَهُ عَلَى سَائِرِ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ قَبْلَهُ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سِيرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَيْ لَوْ كَانَ فِي الْكُتُبِ الْمَاضِيَةِ كِتَابٌ تَسِيرُ بِهِ الْجِبَالُ عَنْ أَمَاكِنِهَا، أَوْ تُقَطَّعُ بِهِ الْأَرْضُ وَتَنْشَقُّ، أَوْ تُكَلَّمُ بِهِ الْمَوْتَى فِي قُبُورِهِمْ، لَكَانَ هَذَا الْقُرْآنُ هُوَ الْمُتَّصِفُ بِذَلِكَ دُونَ غَيْرِهِ، أَوْ بِطَرِيقِ الْأَوَّلَى أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِعْجَازِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ وَالْجِنُّ عَنْ آخِرِهِمْ إِذَا اجْتَمَعُوا أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ، وَلَا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، وَمَعَ هَذَا فَهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ كَافِرُونَ بِهِ، جَاحِدُونَ لَهُ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَيْ مَرْجِعُ الْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. (١)

وهو قد جاءت أحاديث كثيرة في فضل تعلم القرآن وتعليمه، منها ما ذكره المؤلف:

«عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أَفْضَلُكُمْ أَوْ خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ"

قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ: "ذَلِكَ أَفْعَدَنِي مَقْعَدِي هَذَا، وَكَانَ يُعَلِّمُ الْقُرْآنَ"
فَفَضَّلَ كَلَامَ اللَّهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضْلِ الرَّبِّ عَلَى خَلْقِهِ"
رحمه الله قال ابن حجر:

أَيُّ أَنْ الْحَدِيثَ الَّذِي حَدَّثَ بِهِ عُثْمَانُ فِي أَفْضَلِيَّةِ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ حَمَلَ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنْ قَعَدَ يُعَلِّمُ النَّاسَ الْقُرْآنَ لِتَحْصِيلِ تِلْكَ الْفَضِيلَةِ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ "فَذَاكَ الَّذِي أَفْعَدَنِي هَذَا الْمُقْعَدَ" وَكَانَ يُعَلِّمُ الْقُرْآنَ وَالْإِشَارَةُ بِذَلِكَ إِلَى الْحَدِيثِ .
وَفِي الْحَدِيثِ الْحَثُّ عَلَى تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ وَقَدْ سُئِلَ النَّوْرِيُّ عَنِ الْجِهَادِ وَإِقْرَاءِ الْقُرْآنِ فَرَجَحَ الثَّانِي وَاحْتَجَّ بِهَذَا الْحَدِيثِ.

قوله: (وَعَلَّمَهُ) أَيُّ حَقِّ تَعْلِيمِهِ وَلَا يَتِمَّ كُنْ مِنْ هَذَا إِلَّا بِالْإِحَاطَةِ بِالْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ أَصُولُهَا وَفُرُوعُهَا وَمِثْلُ هَذَا الشَّخْصِ يُعَدُّ كَامِلًا لِنَفْسِهِ مُكَمَّلًا لِغَيْرِهِ فَهُوَ أَفْضَلُ الْمُؤْمِنِينَ مُطْلَقًا.

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية (٤/ ٣٩٧)

وَحَيْرُ الْمُتَعَلِّمِينَ مَنْ يُعَلِّمُ غَيْرَهُ لَا مَنْ يَفْتَنُ عَلَى نَفْسِهِ أَوْ الْمُرَادُ مُرَاعَاةُ الْحَيْثِيَّةِ لِأَنَّ الْقُرْآنَ خَيْرُ الْكَلَامِ فَمُتَعَلِّمُهُ خَيْرٌ مِنْ مُتَعَلِّمِ غَيْرِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى خَيْرِيَّةِ الْقُرْآنِ وَكَيْفَمَا كَانَ فَهُوَ مُحْصُوصٌ بِمَنْ عَلَّمَ وَتَعَلَّمَ بِحَيْثُ يَكُونُ قَدْ عَلِمَ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ عَيْنًا

ولا شك أن الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه ولغيره جامع بين النفع القاصر والنفع المتعدى ولهذا كان أفضل. (١)

«وقوله ﷺ: "تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُو أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عَقْلِهَا"»

وقد بوب الإمام البخاري عند هذا الحديث "بَابُ اسْتِذْكَارِ الْقُرْآنِ وَتَعَاهُدِهِ"

قوله: «تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ» ، أي تَفَقَّدُوهُ وَرَاعُوهُ بِالمَحَافَظَةِ وَدَاوِمُوهُ بِالتَّلَاوَةِ،

قَالَ الطَّبْطَبِيُّ: التَّعَاهُدُ الْمُحَافَظَةُ وَتَجْدِيدُ الْعَهْدِ، أَيْ وَاطْبُؤْا عَلَى قِرَائَتِهِ وَدَاوِمُوا عَلَى تَكَرُّرِ دِرَاسَتِهِ

لِئَلَّا يُنْسَى (فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ هُوَ) ، أَيْ الْقُرْآنُ (أَشَدُّ تَفَضُّيًا) ، أَيْ فِرَارًا وَذَهَابًا وَتَخَلُّصًا

وَحُرُوجًا (مِنَ الْإِبِلِ)

قَالَ الطَّبْطَبِيُّ: التَّفَضُّيُ التَّخَلُّصُ، يُقَالُ: تُفَضِّيتُ الدَّيُونَ إِذَا خَرَجْتَ مِنْهَا (فِي عَقْلِهَا) بِضَمِّ الْعَيْنِ

وَالْقَافِ جَمْعُ عَقَالٍ كَكُتِبَ جَمْعُ كِتَابٍ، وَيَجُوزُ إِسْكَانُ الْقَافِ لُغَةً، لَكِنَّ الرِّوَايَةَ عَلَى ضَمِّهَا وَهُوَ

الْحَبْلُ الَّذِي يُشَدُّ بِهِ ذِرَاعُ الْبَعِيرِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - : "اعْقِلْ وَتَوَكَّلْ"

قَالَ الطَّبْطَبِيُّ: يُقَالُ: عَقَلْتُ الْإِبِلَ إِذَا جَمَعْتَ وَظَيْفَهُ إِلَى ذِرَاعِهِ فَتَشُدُّهَا مَعًا فِي وَسْطِ الذَّرَاعِ، وَذَلِكَ

الْعَقْلُ هُوَ الْحَبَالُ اهـ وَ"فِي" بِمَعْنَى مَنْ: أَيْ هُوَ أَشَدُّ ذَهَابًا مِنَ الْإِبِلِ إِذَا تَخَلَّصَتْ مِنَ الْعَقَالِ فَإِنَّهَا

تَنْفَلِتُ حَتَّى لَا تَكَادُ تُلْحَقُ، وَفِي رَوَايَةٍ: أَشَدُّ تَفَضُّيًا مِنْ قُلُوبِ الرِّجَالِ مِنَ الْإِبِلِ مِنْ عَقْلِهَا،

(١) فتح الباري لابن حجر (٩/ ٧٦) وعون المعبود وحاشية ابن القيم (٤/ ٢٢٩)

قَالَ الطَّبِيُّ: وَذَلِكَ أَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْبَشَرِ بَلْ هُوَ كَلَامُ خَالِقِ الْقُوَى وَالْقَدَرِ،
وَمَنْحَهُمْ هَذِهِ النِّعْمَةَ الْعَظِيمَةَ فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَعَاهَدَهُ بِالْحِفْظِ وَالْمُوَاطَّاةِ عَلَيْهِ مَا أَمَكْنَهُ. "١"
◀ وقوله: "لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله هذا الكتاب فقام به...."

الحسد تمنى زوال النعمة عن غيره

* والغبطة مثلها من غير زوالها

* والحسد حرام والغبطة في الخير محمودة محبوبة والمراد بقوله صلى الله عليه وسلم: لا حسد إلا

في اثنتين أي لا غبطة محمودة يتأكد الاهتمام بها إلا في اثنتين

ومضمون هذا الحديث أن صاحب القرآن في غبطة، وهي حُسْنُ الحال، فينبغي أن يكون شديد
الاعتباط بما هو فيه، ويستحب تغيبه بذلك، يقال: غبطه فيغبطه "بكسر الباء" غبطاً؛ إذا تمنى
مثل ما هو فيه من النعمة، وهذا بخلاف الحسد المذموم، وهو تمنى زوال نعمة المحسود عنه،
سواء حصلت لذلك الحاسد أو لا، وهذا مذموم شرعاً مهلك، وهو أول معاصي إبليس حين
حسد آدم ما منحه الله تعالى من الكرامة والإحترام والإعظام.

والحسد الشرعى الممدوح: هو تمنى حال مثل ذاك الذى هو على حالة سارة، ولهذا قال -عليه
السلام: "لا حسد إلا في اثنتين":

فذكر النعمة القاصرة وهو تلاوة القرآن آناء الليل والنهار، والنعمة المتعدية وهي إنفاق المال
بالليل والنهار، كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ} [فاطر: ٢٩]. (٢)

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٤٩٥)

(٢) فضائل القرآن لابن كثير (ص: ٢٠١) التبيان في آداب حملة القرآن (ص: ٢٠٥)

«وقوله "إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين"»

ففي ((صحيح مسلم)) أن عمر بن الخطاب قال لنافع بن عبد الحارث - وكان عمر استخلفه على مكة - : من استخلفت على أهل الوادي؟ قال: ابن ابزي مولى لنا. فقال عمر: استخلفت عليهم مولى؟ قال: يا أمير المؤمنين، إنه قارئ لكتاب الله، عالم بالفرائض. فقال عمر: أما إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين)). (إن الله يرفع بهذا الكتاب)، أي بالإيمان به وتَعْظِيمِ شأنه وَالْعَمَلِ بِهِ، والمراد بالكتاب القرآن البالغ في الشرف وظهور البرهان مبلغاً لم يبلغه غيره من الكتب المنزلة على الرسل المتقدمة (أقواماً)، أي درجة جماعات كثيرة في الدنيا والآخرة بأن يحييهم حياة طيبة في الدنيا ويجعلهم من الذين أنعم الله عليهم في العقبى (ويضع به آخرين)، أي الذين كانوا على خلاف ذلك من مراتب الكاملين إلى أسفل السافلين، قال - تعالى - {يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا} [البقرة: ٢٦] فهو ماءٌ للمحبوبين دماءٌ للمحجوبين. قال الطيبي: فمن قرأه وعمل به مُخْلِصاً رَفَعَهُ اللهُ، ومن قرأه مُرَائِيًا غَيَّرَ عَامِلٍ بِهِ وَضَعَهُ اللهُ. (١)

وَمِنْ فُضَائِلِ بَعْضِ السُّورِ عَلَى بَعْضِهَا مِنْهَا مَا يَلِي:

«وَعَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: «كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الْكَهْفِ وَإِلَى جَانِبِهِ حِصَانٌ مُرْبُوطٌ بِشَظْطَيْنِ فَتَغَشَّتْهُ سَحَابَةٌ فَجَعَلَتْ تَدْنُو وَتَذْنُو، وَجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: "تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنْزَلَتْ بِالْقُرْآنِ" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية: «تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ وَلَوْ قَرَأْتَ لَا أَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا لَا تَتَوَارَى مِنْهُمْ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٤٥٧)

- وَعَنْ النُّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِيهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَأَلْ عِمْرَانَ كَانَتْهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ أَوْ كَانَتْهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ تَحَاجَانِ عَنْ صَاحِبَيْهَا». رَوَاهُ مُسْلِمٌ
- عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: ٢٥٥]. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ»
- عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

• قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن، قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: {قل هو الله أحد} تعدل ثلث القرآن)). متفق عليه

آداب حملة القرآن:

١- يجب على قاري القرآن أن يعمل بما في القرآن لا مجرد قراءة فقط

لما ثبت في صحيح البخاري :

عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ: كَالْأَثْرِجَةِ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَالْمُؤْمِنُ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَيَعْمَلُ بِهِ: كَالْتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا، وَمِثْلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ: كَالرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمِثْلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ: كَالْحَنْظَلَةِ، طَعْمُهَا مُرٌّ - أَوْ خَبِيثٌ - وَرِيحُهَا مُرٌّ "

"وقد اعتنى السلف من الصحابة والتابعين بتعلم القرآن وفهم معانيه حتى أنهم ما كانوا يجاوزون بعض الآيات حتى يتعلموها ويعملوا بها".

٢- يجب عليه أن يخلص في قراءته ويريد بها وجه الله تعالى دون شيء آخر ،

من تصنع لمخلوق، أو اكتساب محمدة عند الناس، أو محبة، أو مدح، أو نحو ذلك، وأن لا يقصد بها توصلا إلى غرض من أغراض الدنيا من مال أو رياسة .

مسألة: ما حكم أخذ الأجرة على تعليم القرآن ؟

وأما أخذ الأجرة على تعليم القرآن فقد اختلف العلماء فيها إلى أقوال: والراجع جواز أخذ الأجرة.

قال الشيخ العثيمين: وأما أخذ الأجرة على تعليمه أو الرقية به ونحو ذلك مما نفعه متعدد لغير القارئ فقد دلت الأحاديث الصحيحة على جوازه؛ كحديث أبي سعيد في أخذه قطيعا من الغنم جعلها على شفاء من رقاها بسورة الفاتحة، وحديث سهل في تزويج النبي صلى الله عليه وسلم امرأة لرجل بتعليمه إياها ما معه من القرآن، فمن أخذ أجرا على نفس التلاوة أو استأجر جماعة لتلاوة القرآن فهو مخالف لما أجمع عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم. (١)

٣- وأن يراعي الأدب مع القرآن، فيستحضر في ذهنه أنه يناجي ربه ويقرأ كتابه، فيتلوه على حالة من يرى الله تعالى، فإن لم يكن يراه، فإن الله سبحانه وتعالى يراه، وذلك بأن يقدر كأنه واقف بين يدي الله تعالى، وهو ناظر إليه ومستمع منه.

* وعن الحسن بن علي رضي الله عنه قال " إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل ويتفقدونها في النهار "

وعن الفضيل بن عياض: "قال حامل القرآن حامل راية الإسلام لا ينبغي أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن"

(١) فتاوى اللجنة الدائمة - ١ (٤ / ١٣٣)

٤- ويستحب له إذا أراد القراءة أن ينظف فاه بالسواك أو نحوه من كل ما ينظف. فقد جاء عن علي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ وموقوفا: «طهروا أفواهكم للقرآن» رواه البزار، ورجح الوقف وكذا المنذري، ورجح الشيخ الألباني رفعه للنبي ﷺ (١).

٥- ويستحب له أن يقرأ القرآن على طهارة ودليل ذلك :

حديث أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده: " أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل اليمن كتابا ، وفيه: " لا يمس القرآن إلا طاهر ". صححه الشيخ الألباني والوادعي رحمهم الله .
ويحمل قوله " طاهر " على معاني منها :

١/ قال الشيخ الألباني: أن المراد بالطاهر في هذا الحديث هو المؤمن سواء أكان محدثا حدثا أكبر أو أصغر أو حائضا أو على بدنه نجاسة لقوله صلى الله عليه وسلم: " المؤمن لا ينجس " وهو متفق على صحته والمراد عدم تمكين المشرك من مسه فهو كحديث: " نهى عن السفر بالقرآن إلى أرض العدو " متفق عليه. "٢"

ورجح هذا القول شيخنا الوادعي رحمه الله .

٢/ وقيل المراد من الطاهر أي الطاهر من الحدث الأكبر والطاهر من الحدث الأصغر، ورجح هذا القول العلامة بن باز والعثيمين والفوزان .

قال الشيخ بن باز: أن الجنب والحائض والنفساء ومن ليس على طهارة من ريح أو بول ليس لهم جميعا أن يقرؤوا من المصحف، وأما عن ظهر قلب فيجوز للمحدث حدثا أصغر أن يقرأ عن ظهر قلب، وللحائض والنفساء عن ظهر قلب على الصحيح، وأما الجنب فلا يقرأ القرآن عن

(١) راجع الخلاف في «الصحيحة» تحت حديث رقم (١٢١٣).

^٢ إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٧/٣) سبل السلام (١٠٢/١)

ظهر قلب ولا من المصحف حتى يغتسل، لما جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يمس القرآن إلا طاهر» (١)

والمُرَادِ مِنَ "الطَّاهِرِ"، فَإِنَّهُ لَفْظٌ مُشْتَرَكٌ يُطْلَقُ عَلَى الطَّاهِرِ مِنَ الْحَدَثِ الْأَكْبَرِ وَالطَّاهِرِ مِنَ الْحَدَثِ الْأَصْغَرِ وَيُطْلَقُ أَيْضًا عَلَى "المؤمن"

ولاتعارض بين القولين :

فلو حمل اللفظ على الطَّاهِرِ مِنَ الْحَدَثِ الْأَصْغَرِ وَالْأَكْبَرِ .

(يكون الأمر للإستحباب لا للوجوب) والصارف : حديث عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قَالَتْ : «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ؛ وَعَلَّقَهُ الْبُخَارِيُّ وَالْحَدِيثُ مُقَرَّرٌ لِلْأَصْلِ، وَهُوَ ذِكْرُ اللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ؛ وَهُوَ ظَاهِرٌ فِي عُمُومِ الذِّكْرِ، فَتَدْخُلُ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ. فيستحب قراءة القرآن للمؤمن على طهارة وهو الراجح والله أعلم

استحباب قراءة القرآن على طهارة وليس واجب .

وهو ترجيح الشيخ محمد بن حزام حفظه الله . (٢)

٦- ويستحب أن يكثّر من البكاء عند القراءة والتباكى لمن لا يقدر عليه،

والحزن والخشوع، وطريق تكلف البكاء أن يحضر قلبه الحزن، فمن الحزن ينشأ البكاء، ووجه إحضار الحزن أن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ثم يتأمل في تقصيره في امتثال أوامره وزواجه فيحزن لا محالة ويبكي، فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية، فليبك على فقد ذلك منه فإنه من عظم المصائب.

كما جاء في الصحيحين عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَأْ عَلَيَّ» قَالَ: قُلْتُ: أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ قَالَ: «إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي» قَالَ: فَقَرَأْتُ النَّسَاءَ حَتَّى

(١) فتاوى نور على الدرب لابن باز بعناية الطبار (ص: ٨٣)

(٢) راجع حاشية فتح المجيد لمحمد بن حزام .

إِذَا بَلَغْتُ: {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ، وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا} [النساء: ٤١] قَالَ لِي: «كُفَّ - أَوْ أَمْسِكَ -» فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَذْرِفَانِ

وكما جاء في صحيح البخاري: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَّادٍ، " سَمِعْتُ نَشِيجَ عُمَرَ، وَأَنَا فِي آخِرِ الصُّفُوفِ يَقْرَأُ: {إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ} [يوسف: ٨٦]"

٧- ويستحب أن يراعى حق الآيات، فإذا مر بآية سجدة من سجديات التلاوة سجد ندبا، وهي أربع عشرة سجدة: في الأعراف، والرعد، والنحل، والإسراء، ومريم، وإثنا عشر في الحج، وفي الفرقان، والنمل، والم السجدة، والنجم والانشقاق، والعلق وأما سجدة ص فسجدة شكر. (١)

٨- ويستحب تزيين صوته عند قراءة القرآن دليل ذلك :

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا}

لله ما جاء في صحيح البخاري : وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ»، وَزَادَ غَيْرُهُ: «يَجْهَرُ بِهِ» أخرجه البخاري.

لله عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغْفَلٍ، قَالَ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ أَوْ جَمَلِهِ، وَهِيَ تَسِيرُ بِهِ، وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ - أَوْ مِنْ سُورَةِ الْفَتْحِ - قِرَاءَةً لَيِّنَةً يَقْرَأُ وَهُوَ يُرْجِعُ» أخرجه البخاري.

٩- إذا مر بسجدة في القرآن سجد :

عدد السجديات أما عددها المختار الذي قاله الشافعي رحمه الله والجمهور أنها أربع عشرة سجدة: يستحب لو مر بها سجد.

(١) فتح الكريم المنان في آداب حملة القرآن (ص: ٣، بترقيم الشاملة آليا)

العَشْرُونَ من شعب الإيمان

الطهارات

لَقَوْلِهِ تَعَالَى: { إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ } الآية

"ما في صحيح مسلم" عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايَعُ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوْبِقُهَا»

لِحَدِيثِ ابْنِ عَمْرِو بْنِ رَضِي اللَّهِ عَنْهُمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: " لَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ صَلَاةَ بَغِيرِ طُهُورٍ وَلَا صَدَقَةٍ مِنْ غُلُولٍ "

وَلِحَدِيثِ حَسَنِ عَنْ أَبِي كَبْشَةَ السَّلُولِيِّ عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةَ وَلَا يَحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ " حديث حسن

رَوَى الْحَلِيمِيُّ عَنْ يَحْيَى بْنِ آدَمَ فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَمَّى الصَّلَاةَ إِيْمَانًا فَقَالَ {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ} الْبَقَرَةُ ١٤٣ أَيْ صَلَاتِكُمْ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ وَلَا تَجُوزُ الصَّلَاةُ إِلَّا بِالْوُضُوءِ فَهِيَ شَيْئَانِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَاحِدٌ مِنْهُمَا نِصْفُ الْآخَرِ "

تعريف الطَّهارة لُغَةً: النِّظَافَةُ والنِّزَاهَةُ عَنِ الْأَقْدَارِ الْحَسِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ.

وَفِي الشَّرْعِ: تُطْلَقُ عَلَى مَعْنَيْنِ:

الأول: أَضَلُّ، وَهِيَ الطَّهَارَةُ الْمَعْنَوِيَّةُ وَهِيَ عَلَى مَرَاتِبٍ:

للَّهِ طَهَارَةُ الْقَلْبِ مِنَ الشَّرْكِ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَهِيَ أَهَمُّ مِنْ طَهَارَةِ الْبَدَنِ؛ بَلْ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَقُومَ

طَهَارَةُ الْبَدَنِ مَعَ وَجُودِ نَجَسِ الشَّرْكِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾

للَّهِ طَهَارَةُ الْقَلْبِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْمَذْمُومَةِ.

للطهارة الجوارح من الذنوب والآثام.

الثاني: فَرَع، وهي الطَّهَارَةُ الحَسِّيَّةُ: وهي رَفْعُ الْحَدَثِ - وما في معنى الرِّفْعِ أي: زواله - بالماء أو التراب الطهورين، وزوال النجاسة.

﴿قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة-٦].

﴿ " لا يقبل الله عز وجل صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول "

لله استدلال أهل العلم بهذه الآية والحديث على وجوب الوضوء لصحة الصلاة وأن الوضوء ثابت بالكتاب والسنة و«الإجماع».

والكلام على الوضوء في مسائل منها :

المسألة الأولى: تعريف الوضوء:

الوضوء في اللغة بضم الواو: هو اسم للفعل أي استعمال الماء في أعضاء مخصوصة، وهو المراد هنا، مأخوذ من الوضأة والحسن والنظافة.

وأما بفتح الواو : فيطلق على الماء الذي يتوضأ به ^(١).

قال ابن عثيمين:

وَالْوُضُوءُ فِي اللُّغَةِ: مُشْتَقٌّ مِنَ الْوَضَاءَةِ، وَهِيَ النَّظَافَةُ وَالْحُسْنُ.

وشرعاً: التَّعَبُّدُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِغَسْلِ الْأَعْضَاءِ الْأَرْبَعَةِ عَلَى صِفَةٍ مَخْصُوصَةٍ ^(٢). اهـ.

المسألة الثانية: فضائل الوضوء:

ورد في الوضوء فضائل كثيرة منها:

(١) «الفقه الإسلامي وأدلته» (١-٣١٢).

(٢) في «الشرح الممتع» (١-١١٧).

١- عن حمران مولى عثمان قال: سمعت عثمان بن عفان وهو بفناء المسجد فجاءه المؤذن عند

العصر فدعا بوضوء فتوضأ ثم قال: والله لأحدثنكم حديثاً لولا آية في كتاب الله ما حدثتكم، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يتوضأ رجل مسلم فيحسن الوضوء فيصلي صلاة إلا غفر الله له ما بينه وبين الصلاة التي تليها» رواه مسلم.

٢- وعن عثمان قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة

فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يؤت كبيرة وذلك الدهر كله» رواه مسلم.

قال النووي رحمه الله تعالى: «معناه أن الذنوب كلها تغفر إلا الكبائر فإنها إنما تكفرها التوبة أو الرحمة (وذلك الدهر كله).

٣- وعن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله ﷺ: «من تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، خَرَجَتْ

خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ» رواه مسلم.

٤- وجاء من حديث أبي غالب الراسبي أنه لقي أبا أمامة بجمص فسأله عن أشياء حدثهم أنه

سمع النبي ﷺ وهو يقول: «ما من عبد مسلم يسمع أذان صلاة، فقام إلى وضوئه، إلا غفر له بأول قطرة تصيب كفه من ذلك الماء، فبعدد ذلك القطر حتى يفرغ من وضوئه إلا غفر له ما سلف من ذنوبه وقام إلى صلاته وهي نافلة» بمعنى أجر وفضيلة.

والحديث حسن، وهو في «الجامع الصحيح» لشيخنا مقبل / (١-٥٠٤-٥٠٦)

المسألة الثالثة: شروط الوضوء:

الشروط الواجبة تكون قبل الوضوء ولا تصح إلا بها بخلاف الفروض فهي داخل الوضوء (١).
الشرط الأول: الإسلام.

وضده الكفر، والكافر عمله مردود ولو عمل أي عمل، والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٢]

الشرط الثاني: العقل

وضده الجنون، والمجنون مرفوع عنه القلم حتى يفيق، والدليل حديث: «رفع القلم عن ثلاثة، النائم حتى يستيقظ، والمجنون حتى يفيق، والصغير حتى يبلغ» صححه الألباني.

الشرط الثالث: التمييز

وضده الصغر، منهم من حده بسبع سنين، ومنهم من قال: التَّمْيِيزُ كَيْسَ لَهُ سِنٌ مُعَيَّنَةٌ يَعْرِفُ بِهَا، وَلَكِنْ تَدُلُّ عَلَى التَّمْيِيزِ أَمَارَاتُ التَّفْتِيحِ وَالنُّضُوجِ، فَقَدْ يَصِلُ الطِّفْلُ إِلَى مَرَحَلَةِ التَّمْيِيزِ فِي سِنٍّ مُبَكَّرَةٍ، وَقَدْ يَتَأَخَّرُ إِلَى مَا قَبْلَ الْبُلُوغِ، وَتَنْتَهِي هَذِهِ الْمَرَحَلَةُ بِالْبُلُوغِ لَمَا رَوَى سُبْرَةُ الْجَهْنَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَرُوا الصَّبِيَّ بِالصَّلَاةِ إِذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ وَإِذَا بَلَغَ عَشْرَ سِنِينَ فَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا" صححه الألباني

قال الشافعي في (المختصر): "وعلى الآباء والأمهات أن يؤدبوا أولادهم ويعلموهم الطهارة والصلاة ويضربوهم على ذلك إذا عقلوا"

الشرط الرابع: النية

و"النِّيَّةُ" هِيَ: الْقَصْدُ وَالْإِرَادَةُ وَالْقَصْدُ مُحَلُّهَا الْقَلْبُ دُونَ اللِّسَانِ بِاتِّفَاقِ الْعُقَلَاءِ. فَلَوْ نَوَى بِقَلْبِهِ صَحَّتْ نِيَّتُهُ عِنْدَ الْأُئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ، وَالْجَهْرُ بِالنِّيَّةِ فِي الصَّلَاةِ مِنَ الْبِدْعِ السَّيِّئَةِ، كَيْسَ مِنَ الْبِدْعِ الْحَسَنَةِ، وَهَذَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ،

لأنه وأنه نوى الطهارة ورفع الحدث لا يشترط أن ينوي مقدار الصلوات التي سيصلّيها بذلك الوضوء، وعلى هذا أكثر أهل العلم ومما يدل على ذلك أن الرسول ﷺ صلى خمس صلوات في وضوء واحد. وهى فتوى شيخنا مقبل / وشيخنا يحيى الحجوري.

الشرط الخامس: استصحاب النية

ومع نية الطهارة يستصحب حكمها حتى تتم الطهارة، فلو نوى قطع النية في أثناء الوضوء ثم أراد إكمال الوضوء فليس له ذلك، بل يتعين عليه البدء بالوضوء من أوله، ولا يكمل ما بقي عليه لأنه قد ألغى ما حصل منه.

الشرط السادس: أن يكون الماء طهوراً فإن كان نجساً لم يجزئه

فلا يتطهر بماء متنجس، وزاد بعضهم أن يكون الماء مباحاً ليس مغسوباً، وهذا الأخير محل خلاف، وفي اشتراطه نظر، "والأظهر أن من توضأ بماء مغسوب فالوضوء صحيح، وهو آثم على الغصب، ومثله" من صلى في أرض مغسوبة، أو صلى في ثوب حرير فإن صلاته صحيحة، وهو آثم في الغصب وفي لبس الحرير. وهو قول جمهور أهل العلم خلافاً للحنابلة.

الشرط السابع: إزالة ما يمنع وصول الماء إلى البشرة.

فلا بد في الوضوء من وصول الماء إلى أعضاء الوضوء، ويجب إزالة ما يمنع وصوله إليها كالطين والعجين والطلاء ونحو ذلك مما يغطي البشرة، أما ما يغير اللون ولا يغطي البشرة كالحناء فإن ذلك لا يؤثر.

الشرط الثامن: دخول الوقت على من حدثه دائم لفرضه.

والمعنى أن من كان به سلس بول أو تخرج منه الريح باستمرار وكذا المرأة المستحاضة، فإن هؤلاء يتوضئون عند دخول الوقت لكل صلاة مفروضة، ويدل لذلك أمره ﷺ لفاطمة بنت أبي حبيش وكانت مستحاضة - "أن تتوضأ لكل صلاة"، أخرجه البخاري من حديث عائشة. وهو قول جمهور أهل العلم

المسألة الرابعة: فروض الوضوء

الفرض في اللغة: يدل على معانٍ أصلها: الحزُّ والقطع،

والفرض في الشرع: عند أكثر العلماء مرادفٌ للواجب، أي بمعناه، وهو ما أمر به على سبيل الإلزام. يعني: أمر الله به ملزماً إياناً بفعله.

وحكمه: أن فاعله امتثالاً مثاباً، وتاركه مستحق للعقاب.

والمراد بفروض الوضوء هنا أركان الوضوء وهي ستة:

١) غسل الوجه بكامله. وحده طويلاً: من منابت شعر الرأس إلى الذقن، وعرضاً: إلى فروع الأذنين،

ومنه: المضمضة والاستنشاق:

وَالْمَضْمُضَةُ: هِيَ أَنْ يَجْعَلَ الْمَاءَ فِيهِ، ثُمَّ يُدِيرُهُ ثُمَّ يَمُجُّهُ. وَالِاسْتِنْشَاقُ: هُوَ إِدْخَالُ الْمَاءِ إِلَى مُقَدَّمَ الْأَنْفِ وَالْمُبَالَغَةُ فِيهِ إِيْصَالُهُ إِلَى خَيْشُومِهِ، وَالْمُبَالَغَةُ سُنَّةٌ زَائِدَةٌ عَلَيْهَا فَهُوَ: إِيصَالُ الْمَاءِ إِلَى دَاخِلِ الْأَنْفِ وَجَذْبُهُ بِالنَّفْسِ إِلَى أَقْصَاهُ. الْإِسْتِنْشَاقُ: هُوَ إِخْرَاجُ الْمَاءِ مِنَ الْأَنْفِ بَعْدَ الْإِسْتِنْشَاقِ. وَنَقَلَ النُّووي فِي «الْمَجْمُوع» وَابْنُ الْمُلْقَن فِي «شرح العمدة» الإجماع على عدم وجوبه.

حكم المضمضة والإستنشاق:

اختلف في حكمهما والصحيح أن من غسل وجهه وترك المضمضة والإستنشاق أو أحدهما لم يصح وضوءه لأن الفم والأنف من الوجه ويجب أن يغسل في الغسل في أصح الأقوال، وهو قول حماد وإسحق والمشهور عن أحمد وغيرهم.

ورجح هذا القول: أيضاً ابن قدامة، وابن حجر، والألباني، وابن باز، والوادعي وابن عثيمين رحمهم الله، والفوزان والحجوري حفظهم الله .

قال ابن قدامة: ويستحب أن يتمضمض ويستنشق بيمينه ثم يستنثر بيساره اهـ

للإفادة: وَلَمْ يَحِجْ الْفَصْلُ بَيْنَ الْمَضْمُضَةِ وَالِاسْتِنْشَاقِ فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ الْبَتَّةَ لَكِنْ فِي حَدِيثِ طَلْحَةَ بْنِ مَصْرَفٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَفْصِلُ بَيْنَ الْمَضْمُضَةِ وَالِاسْتِنْشَاقِ وَلَكِنْ لَا يُرَوَّى إِلَّا عَنْ طَلْحَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ وَلَا يُعْرَفُ لِجَدِّهِ صُحْبَةٌ. أَهـ «المجموع»

قال الألباني / : عن حديث طلحة: إسناده ضعيف، وضعفه المصنف وغيره، وكذلك وضعفه

البيهقي. اهـ

٢- غسل اليدين مع المرفقين.

لقوله تعالى: ﴿وَأَيِّدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ غسل اليدين إلى المرفقين: أي معها تثنية مرفق بكسر الميم وفتح الفاء آخر عظم الذراع المتصل بالعصـد .

٣- مسح الرأس كله ومنه الأذنان.

لقوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾. وقد أجمع العلماء على أن مسح الرأس ركن من أركان الوضوء، والباء للإصاق فكأنه قال: وامسحوا رؤوسكم فيتناول الجميع كما قال في التيمم: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ (١).

وقولهم: (الباء للتبعض) غير صحيح ولا يعرف أهل العربية ذلك. قال ابن برهان: من زعم أن الباء تفيد التبعض فقد جاء أهل اللغة بما لا يعرفونه. وهذا ترجيح شيخ الإسلام حيث قال: وهذا القول هو الصحيح فإن القرآن ليس فيه ما يدل على جواز مسح بعض الرأس (٢). اهـ. وهو ترجيح اللجنة الدائمة، والعثيمين، والعباد والبسام.

قال ابن قدامة: والمستحب في مسح الرأس أن يبيل يديه، ثم يضع طرف إحدى سبائتيه على طرف الأخرى ويضعهما على مقدم رأسه ويضع الإبهامين على الصدغين، ثم يمر يديه إلى قفاه ثم يردهما إلى الموضع الذي بدأ منه (٣). اهـ.

مسألة: في المرأة تمسح على خمارها؟

قال الشيخ العثيمين: إذا كان هناك مشقة إما لبرودة الجو، أو لمشقة النزع واللف مرة أخرى، فالتسامح في مثل هذا لا بأس به، وإلا فالأولى ألا تمسح ولم ترد نصوص صحيحة في هذا الباب

(١) في «المغني» (١-١٤٦).

(٢) راجع «الفتاوى الكبرى».

(٣) في «المغني» (١-١٤٨).

إلما روى ابن أبي شيبة في كتاب الطهارة: في المرأة تمسح على خمارها رقم (٢٤٩) بإسناد حسن عن الحسن البصري عن أم سلمة: (أنها كانت تمسح على الخمار). اهـ

«قال علي بن المديني: رأى الحسن أم سلمة ولم يسمع منها. اهـ «جامع التحصيل».

«قال الشيخ العثيمين / : لو كان الرأس ملبِّدًا بحنَّاء، أو صمغ، أو غسل، أو نحو ذلك فيجوز المسح؛ لأنه ثبت أن النبي ص كان في إحرامه ملبِّدًا رأسه فما وُضع على الرأس من التَّلبيد فهو تابع له فهذا يدلُّ على أن طهارة الرأس فيها شيء من التَّسهيل. وعلى هذا؛ فلو لبَّدت المرأة رأسها بالحنَّاء جاز لها المسح عليه، ولا حاجة إلى أن تنقص رأسها، وتحتُّ هذا الحنَّاء (١).

❶ مسألة: حكم مسح الأذنين؟

اختلف أهل العلم في هذه المسألة والراجع مسح الأذنين :

«قال الشيخ الألباني: أن حكمهما في المسح كحكم الرأس فيه... ووجوب التمسك بما دل عليه الحديث من وجوب مسح الأذنين .

❧ وبهذا يفتي شيخنا مقبل / على وجوب مسح الأذنين.

«قال ابن القيم : في «زاد المعاد»: ولم يثبت عنه عليه السلام أنه أخذ لهما ماء جديدًا. اهـ

ورجح هذا القول شيخنا الوادعي والعتيمين رحمهم الله.

كيفية المسح: أنه يستحب أن يمسح داخل الأذنين بالسبابتين وظاهرهما بالإبهامين. جاء عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم «مسح برأسه وأذنيه ظاهرهما وباطنهما».

(٤) غسل الرجلين إلى الكعبين.

لقوله تعالى ﴿وَأَرْجُلُكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة-٦].

الكعبين: الكعبين هما العظمان الناتئان عند مفصل الساق والقدم.

(١) في «الشرح الممتع على زاد المستقنع» (١-١٥٨).

(٥) الترتيب:

هو أن يرتب أعضاء الوضوء الأربعة في الوضوء حسب ما جاءت في كتاب الله وجرى عليه عمل رسول الله ﷺ ويكون وفق الآية، الوجه ثم اليدين ثم الرأس ثم الرجلين.

(٦) الموالاة: وهي أن يكون غسل الأعضاء المذكورة متواليًا بحيث لا يفصل بين غسل عضو و غسل العضو الذي قبله بأمر خارج عن الوضوء.

وهي أن يكون الشيء مواليًا للشيء، أي عقبه بدون تأخير، واشترطت الموالاة ومن حديث عمر أن النبي ﷺ رأى رجلًا توضأ، وترك على قدمه مثل موضع ظفر لم يصبه الماء، فأمره أن يُحسن الوضوء: فقال «ارجع فأحسن وضوءك». صححه الألباني .

المسألة الخامسة: سنن الوضوء

السنة لغة: جمع سنه وتطلق على الطريقة.

والسنة شرعًا: هو: ما أمر به الشرع لا على وجه الإلزام بالفعل كالرواتب.

حكمه: يثاب فاعله امتثالًا ولا يعاقب تاركه.

وسنن الوضوء كثيرة منها:

١- السواك: قال الإمام النووي / : السواك مستحب في جميع الأوقات ولكن في خمسة أوقات أشد استحبابًا:

(١) عند الوضوء: لحديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لولا أن أشق على أمتي أوعى الناس

لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء» رواه مالك وأبو داود، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود».

(٢) عند الصلاة: لحديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لولا أن أشق على أمتي أوعى الناس

لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة» متفق عليه واللفظ للبخاري. ولفظ مسلم (عند كل صلاة).

(٣) عند قراءة القرآن؛ فقد جاء عن علي مرفوعاً وموقوفاً: «طهروا أفواهكم للقرآن» رواه البزار، ورجح الوقف وكذا المنذري، ورجح الشيخ الألباني رفعه (١).

(٤) عند الاستيقاظ من النوم؛ لحديث حُذِيفَةَ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَشُوصُ فَاهُ بِالسَّوَالِكِ متفق عليه.

(٥) عند تغير رائحة الفم؛ لحديث عائشة أن النبي ﷺ قال: «السواك مطهرة للفم مرضاة للرب» رواه أحمد والنسائي وصححه الألباني. أهـ (٢).

◀ وقد ذكر أهل العلم وقت سادس :

(٦) عند دخول البيت؛ فعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - «كَانَ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ بَدَأَ بِالسَّوَالِكِ» صحيح مسلم.
 قال الشيخ عبد المحسن العباد: قد قال بعض أهل العلم: إن هذه السنة من السنن المهجورة، فكون الرجل إذا دخل منزله استاك هذا مما يجهله كثير من الناس، ومما لا يفعله كثير من الناس (٣).

٢- التسمية في أوله: قال الشيخ الألباني: وقد ورد في التسمية للوضوء أحاديث ضعيفة لكن مجموعها يزيد بها قوة تدل على أن لها أصلاً (٤). أهـ

✽ ورجح إستحباب البسملة : البخاري والبيهقي وابن حجر والنووي وشيخ الإسلام والصنعاني والشوكاني والوادعي والعثيمين رحمهم الله أجمعين وشيخنا يحيى الحجوري.

(٣) غسل الكفين ثلاثاً في أول الوضوء .

وهو مستحب بإجماع المسلمين. نقل الإجماع ابن المنذر في «الأوسط»،

(١) راجع الخلاف في «الصحيحة» تحت حديث رقم (١٢١٣).

(٢) في شرح مسلم (١-١٣٥).

(٣) في «شرح سنن أبي داود» (١-٢٢٧).

(٤) في «تمام المنة» (١-٨٩).

٤) البداية بالمضمضة والاستنشاق قبل غسل الوجه والوصل بينهما بغرفة واحدة:

والبدء بهما قبل غسل الوجه أفضل، وإن أخرهما بعد غسل الوجه جاز.

«قال ابن قدامة / : ولا يجب الترتيب بينهما وبين غسل بقية الوجه؛ لأنها من أجزائه.

ولكن المستحب أن يبدأ بهما قبل الوجه لأن كل من وصف وضوء رسول الله ﷺ ذكر أنه بدأ بهما إلا شيئاً نادراً، ويجب الترتيب والمواالة بينهما وبين سائر الأعضاء غير الوجه (١). اهـ

٥) المبالغة في الاستنشاق. قال ابن قدامة: معنى المبالغة في الاستنشاق: اجتذاب الماء بالنفس إلى أقصى الأنف. وذلك سنة مستحبة في الوضوء إلا أن يكون صائماً فلا يستحب لا نعلم في ذلك خلافاً.

٦) تحليل اللحية الكثيفة: قال العثيمين: واللحية إما خفيفة، وإما كثيفة. وصح عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ «كان إذا توضأ خلل لحيته بالماء» (٢).

٧) التيامن: وهو البدء باليمن في اليدين والرجلين قبل اليسرى. فعن عائشة رضي الله عنه قالت: «كان النبي ﷺ يعجبه التيامن في تنعله وترجله وطهوره وفي شأنه كله» متفق عليه.

٨) الإقبال والإدبار باليد في مسح الرأس: لما ثبت في الصحيحين: "... ثم مسح رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر؛ بدأ بمقدم رأسه حتى ذهب بهما إلى قفاه ثم ردهما إلى المكان الذي بدأ منهن" متفق عليه.

٩) تحليل الأصابع المنفرجة: والقول بالاستحباب هو قول جمهور أهل العلم بل نقل بعضهم الإتفاق على ذلك. وقد يكون واجب إذا كانت الأصابع مضمومة.

(١) في «المغني» (١-١٣٤).

(٢) صححه الشيخ الألباني بمجموع طرقه في «صحيح أبي داود» (١-٢٤٨).

١٠) الزيادة على الغسلة الواحدة إلى ثلاث غسلات في غسل الوجه واليدين والرجلين.

قال ابن حجر وأحمد واسحق وغيرهما: لا تجوز الزيادة على ثلاث. ويدل عليه حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ يسأله عن الوضوء، فأراه ثلاثاً ثلاثاً ثم قال: «هكذا الوضوء فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم» رواه النسائي وابن ماجه وصححه الألباني. لكنه وضوء صحيح. وإن غسل بعض أعضائه مرة وبعضها أكثر جاز؛ لأنه إذا جاز ذلك في الكل جاز في البعض وفي حديث عبد الله بن زيد أن النبي ﷺ «توضأ فغسل وجهه ثلاثاً وغسل يديه مرتين ومسح برأسه مرة» متفق عليه. اهـ

١١) الدلك: والمراد إمرار اليد على العضو عند غسله. والاستحباب هو قول الجمهور.

مسألة: متى يجب الدلك؟

١- إذا كان الماء قليلاً لا يكفي لأن يعمم به العضو بمجرد الجريان.

٢- إذا كان العضو لا يصل إليه الماء إلا بالدلك كأن يكون على العضو ما يمنع وصول الماء إلى البشرة.

١٢) الاقتصاد في الماء: لحديث أنس قال: «كان النبي ﷺ يغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد ويتوضأ بالمد» متفق عليه. والصاع أربعة أمداد، والمد ملء كفي الإنسان المعتدل إذا ملأهما ومد يده بهما وبه سمي مداً.

١٣) الذكر عقب الوضوء .

لما رواه مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ أنه قال: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء».

وجاء من حديث عمر رضي الله عنه: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من

المتطهرين فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء» أخرجه الترمذي وقال الشيخ الألباني: صحيح. انظر حديث رقم (٦١٦٧)

⦿ تنبيه: هناك أمور ليست من سنن الوضوء اشتهرت بين الناس منها:

١- مسح الرقبة

٢- مجاوزة محل الفرض

كأن يغسل العضد بعد غسل اليد أو الساق بعد غسل الرجل وتسمى هذه المسألة "إطالة الغرة" وهذا ليس من السنة.

❧ قال ابن القيم / : ولم يثبت أنه تجاوز المرفقين والكعبيين، ولكن كان أبو هريرة يفعل ذلك ويتأول حديث إطالة الغرة (١). اهـ

٣- الذكر عند غسل الأعضاء:

❧ قال ابن القيم: ولم يُحفظ عنه أنه كان يقول على وضوئه شيئاً غير التسمية، وكل حديث في أذكار الوضوء الذي يقال عليه فكذب مختلق لم يقل رسول الله - ﷺ - شيئاً منه ولا علّمه لأمته، ولا ثبت عنه غير التسمية في أوله.. (٢). اهـ

✍ المسألة السادسة : نواقض الوضوء .

النواقض: جمع ناقض أي: مفسداته التي إذا طرأت عليه أفسدته.

الناقض الأول: الخارج من السيلين:

الناقض الثاني : زوال العقل

الناقض الثالث: أكل لحم الإبل

(١) في «زاد المعاد» (١-١٩٦).

(٢) في «زاد المعاد» (١-١٩٥).

الناقض الرابع: مس الفرج .

❖ اختلف أهل العلم في حكم مس الفرج هل يعد ناقضًا من نواقض الوضوء إلى أقوال أرجحها أنه ناقض من نواقض الوضوء، وهو قول الجمهور وهو أن مس الذكر ناقض من نواقض الوضوء.

❦ تنبيه: قال الشيخ العثيمين: لومس ما قرب من حلقة الدبر كالصفحتين: وهما جانبا الدبر، أو مس العجيزه أو الفخذ أو الأثنيين فلا ينتقض الوضوء (١). اهـ
حكم فائدة:

قال العلامة الألباني في الثمر المستطاب ما يستحب الوضوء لأجله:

- ١ - الوضوء لكل صلاة .
- ٢ - الوضوء مما مسته النار .
- ٣ - الوضوء لذكر الله تعالى وللقرآن من باب أولى عن المهلب .
- ٤ - الوضوء من القيء .
- ٥ - الوضوء عقب كل حدث .
- ٦ - الوضوء لمن أراد النوم .
- ٧ - للجنب إذا أراد الأكل أو الشرب أو المعادة للجماع (٢).

(١) في «الشرح الممتع» (ص: ١٧٦)

(٢) راجع «نيل الأوطار» للشوكاني (١- ٢٦١)، و«الثمر المستطاب» للألباني (١- ٢٢).

الْحَادِي وَالْعَشْرُونَ مِنْ شَعْبِ الْإِيمَانِ

الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ

لَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ} الْبَقَرَةُ ١٤٣ أَيْ صَلَاتِكُمْ

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} الْبَقَرَةُ ٤٣

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا} [النساء: ١٠٣]

وَلِحَدِيثِ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: "إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشَّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ

الصَّلَاةِ"

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ قَالَ:

«الصَّلَاةُ لَوْ قَتَلَهَا» قُلْتُ ثُمَّ أَيْ قَالَ: «بِرُّ الْوَالِدَيْنِ» قُلْتُ ثُمَّ أَيْ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» قَالَ

حَدَّثَنِي بِهِمْ وَلَوْ اسْتَزَدْتَهُ لَزَادَنِي"

وَحَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِيهِمَا: "صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ الْفَذِّ بِسَعٍ وَعَشْرِينَ

دَرَجَةً"

وَحَدِيثِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: دَعَا بِطَهْرٍ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٍ تَخْضَرُهُ الصَّلَاةُ الْمُكْتُوبَةُ فَيُحْسِنُ وَضُوءَهَا وَرُكُوعَهَا

وَخُشُوعَهَا إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يَأْتِ كَبِيرَةٌ وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ"

وَبِهِ أَنْبَأَنَا الْبَيْهَقِيُّ: قَالَ وَلَيْسَ فِي الْعِبَادَاتِ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ الرَّافِعِ لِلْكَفْرِ عِبَادَةٌ سَمَّاها جَلَّ وَعَلَا

إِيمَانًا وَاسْمَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرْكَهَا كُفْرًا إِلَّا الصَّلَاةَ.

الكلام على الصلاة في مسائل منها :

تعريف الصلاة لغةً : الدعاء . وشاهد ذلك قوله تعالى : ﴿ وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ

هُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ التوبة ١٠٣ .

الصلاة في اللغة الدعاء وسميت الصلاة الشرعية صلاة: لاشتغالها عليه هذا هو الصحيح. أهـ
 الصلاة شرعاً: أمّا في الشرع: فهي التعبد لله تعالى بأقوال وأفعال معلومة، مفتتحة بالتكبير،
 مختتمة بالتسليم. (١)

﴿لَقَوْلَهُ تَعَالَى {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ} الْبَقَرَةُ ١٤٣ أَيْ صَلَاتِكُمْ

قال الشيخ العثمين :

قوله تعالى: {ليضيع إيمانكم} ؛ «يضيع» بمعنى يتركه سدّى بدون مجازاة عليه؛ والمراد بـ
 {إيمانكم} صلاتهم إلى بيت المقدس؛ وهذا عام للذين ماتوا قبل تحويل القبلة، ومن بقوا حتى
 حولت؛ وقد ذكر بعض المفسرين أن سبب نزول هذه الآية أن اليهود صاروا يقولون للمسلمين:
 الذين صلوا منكم قبل تحويل القبلة ضاعت صلاتهم، وليس لهم فيها ثواب؛ فأنزل الله تعالى:
 {وما كان الله ليضيع إيمانكم}. (٢)

﴿وَقَوْلَهُ تَعَالَى {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} الْبَقَرَةُ ٤٣

قال ابن كثير: يحثهم تعالى على الإشتغال بما ينفعهم، وتعود عليهم عاقبته يوم القيامة، من إقام
 الصلاة وإيتاء الزكاة، حتى يمكن لهم الله النصر في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، فإنه
 سيُجازي كل عامل بعمله. (٣)

﴿وقوله تعالى: {إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً} [النساء: ١٠٣]

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: إِنَّ لِلصَّلَاةِ وَقْتًا كَوَقْتُ الْحَجِّ. (كتابا موقوتا) فرضا محدودا لا يجوز إخراجهُ عن
 وقته .

(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع - (٢ / ٢)

(٢) تفسير العثمين: الفاتحة والبقرة (١١٣ / ٢)

(٣) تفسير ابن كثير ط العلمية (١ / ٢٦٦)

وَلَحْدِيث جَابِر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيح مُسْلِم : "إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشَّرِّ وَالْكَفَرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ"

وفي هذا الحديث حكم تارك الصلاة :

حكم تارك الصلاة على قسمين :

أولاً : من تركها جحوداً ونكران واستحلالاً لتركها: كافر بالإجماع.

قال القرطبي: لا خلاف بين المسلمين أن من ترك الصلاة وسائر الفرائض مستحلاً كفر. (٢)

ثانياً: من تركها تهاوناً وكسلاً: اختلف أهل العلم في هذه المسألة :

١/ فاسق ولا يكفر.

فقال أبو حنيفة ومالك والشافعي: "فاسق ولا يكفر" ونسب هذا القول إلى الجمهور، ورجحه

الشيخ الألباني من المعاصرين. ثم اختلفوا فقال مالك والشافعي: "يقتل حداً" وقال أبو حنيفة:

"يعزر ولا يقتل". قال ابن حزم (في المحلى): ذهب مالك، والشافعي إلى أن من قال: الصلاة

حق فرض إلا أني لا أريد أن أصلي - فإنه يتأنى به حتى يخرج وقت الصلاة، ثم يقتل - وقال أبو

حنيفة وأبو سليمان، وأصحابهما: لا قتل عليه، لكن يعزر حتى يصلي. أهـ.

٢/ أنه يكفر:

وإلى هذا ذهب أحمد بن حنبل والشافعي في أحد قوليه وإسحاق بن راهويه، وعبدالله بن المبارك

والنخعي والحكم وأيوب السختياني وأبو داود الطيالسي وغيرهم من كبار الأئمة والتابعين إلى

أن تاركها كافر.

وحكاة إسحاق بن راهويه إجماعاً ذكره عنه الشيخ أحمد بن حجر الهيتمي في شرح الأربعين

وذكره في كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر عن جمهور الصحابة.

وقال الإمام أبو محمد بن حزم: سائر الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من التابعين يكفرون

تارك الصلاة مطلقاً، ويحكمون عليه بالارتداد منهم أبو بكر وعمر وابنه عبدالله، وعبدالله بن

مسعود وابن عباس ومعاذ وجابر وعبدالرحمن بن عوف وأبو الدرداء وأبو هريرة وغيرهم من الصحابة ولا نعلم لهم مخالفاً من الصحابة.

❦ وقد رجح هذا القول جمهور علماء العصر كالشيخ ابن باز والعثيمين والفوزان وبقية علماء اللجنة الدائمة والشيخ مقبل بن هادي الوادعي والشيخ يحي بن علي الحنجوري وغيرهم من أهل العلم .

❦ واحتجوا على كفر تاركها بأدلة كثيرة منها:

أولاً: من الكتاب: قال تعالى في سورة التوبة: { فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ } (التوبة: ١١). ووجه الدلالة من الآية أن الله تعالى اشترط لثبوت الأخوة بيننا وبين المشركين ثلاثة شروط :

* أن يتوبوا من الشرك. * أن يقيموا الصلاة. * أن يؤتوا الزكاة.

وقال في سورة مريم: { فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا } (مريم: ٥٩-٦٠).

فوجه الدلالة من الآية الثانية - آية سورة مريم - أن الله قال في المضيعين للصلاة، المتبعين للشهوات: { إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ } فدل على أنهم حين إضاعتهم للصلاة وإتباع الشهوات غير مؤمنين.

ثانياً: من السنة:

❦ قال صلى الله عليه وسلم: (إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة) رواه مسلم في كتاب الإيمان عن جابر بن عبد الله.

❦ وعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر). (رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه).

والمراد بالكفر هنا: الكفر المخرج عن الملة ؛ لأن النبي ﷺ جعل الصلاة فصلاً بين المؤمنين والكافرين، ومن المعلوم أن ملة الكفر غير ملة الإسلام، فمن لم يأت بهذا العهد فهو من الكافرين.

وعن عبد الله بن شقيق العقيلي قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة. رواه الترمذي، صححه الألباني.

❶ والصحيح من أقوال أهل العلم أنه كافر.

قال الشيخ بن باز رحمه الله: القول الصواب الذي تقضيه الأدلة هو كفر تارك الصلاة كفر أكبر ولو لم يحدد وجوبها ولو قال الجمهور كفر دون كفر أي بخلافه فإن المناط هو الأدلة وليس المناط كثرة القائلين فالحكم معلق بالأدلة وقد قامت الأدلة على كفر تارك الصلاة كفر أكبر.

وهذا قول الشيخ مقبل رحمه الله. وعلى ولي الأمر أن يستتبيه فإن تاب وإلا قتل كافراً مرتداً وهو مذهب أحمد رحمه الله. (١)

«وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ قَالَ: «الصَّلَاةُ لَوَقْتِهَا» قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ قَالَ: «بِرُّ الْوَالِدَيْنِ» قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» قَالَ حَدَّثَنِي بِهِمْ وَلَوْ اسْتَزَدْتَهُ لَزَادَنِي

قَوْلُهُ: "الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا" قَالَ بَنُ بَطَّالٍ: فِيهِ أَنَّ الْبِدَارَ إِلَى الصَّلَاةِ فِي أَوَّلِ أَوْقَاتِهَا أَفْضَلُ مِنَ التَّرَاخِي فِيهَا لِأَنَّهُ إِنَّمَا شَرَطَ فِيهَا أَنْ تَكُونَ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِذَا أُقِيمَتْ لَوَقْتِهَا الْمُسْتَحَبُّ. (٢)

مسألة: ما حكم من صلى قبل الوقت؟

(١) (يراجع فتاوى ابن باز، وإجابة السائل للشيخ مقبل رحمه الله)

(٢) فتح الباري لابن حجر (٢ / ٩)

ومن صلى قبل الوقت لم يجز صلاته في قول أكثر أهل العلم سواء فعله عمداً أو خطأ كل الصلاة أو بعضها وبه قال الزهري والأوزاعي والشافعي وأصحاب الرأي وروي عن ابن عمر وأبي موسى أنها أعادا الفجر لأنها صليها قبل الوقت. (١)

واعلم أن من أخر الصلاة عن وقتها من غير نوم ولا نسيان - فقد أتى كبيرة من أعظم الكبائر؛ وذلك لأن فعل الصلاة في وقتها فرض من أوكد فرائض الصلاة، والجمهور أنه يَأْتَمُّ ويجب عليه القضاء لحديث (فدين الله أحق أن يقضى وذهب ابن حزم إلا أنه لا يصح منه القضاء ورجحه ابن القيم والألباني والوادي والحجوري .

أما إذا تعددت الصلوات التي فاتته بعذر كنوم أو نسيان فإنه يصليها مرتبة من حين زوال عذره ولا يؤخرها إلى نظيرها من الأيام التالية. (٢) ودخول وقت الصلاة شرط من شروط الصلاة وهناك شروط منها :

شروط الصلاة هي :

- ١ / الإسلام. وقوله: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَثُورًا}
 - ٢ / والعقل. والدليل حديث: "رفع القلم عن ثلاثة، النائم حتى يستيقظ، والمجنون حتى يفيق، والصغير حتى يبلغ" [من حديث عائشة رضي الله عنها. وصححه الألباني .
 - ٣ / والتَّمْيِيز. لما روى سبرة الجهنى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " علموا الصبي الصلاة لسبع سنين واضربوه عليها ابن عشر) صحيح رواه أبو داود والترمذي
 - ٤ / ستر العورة . ستر العورة وهو ما يجب تغطيته ويقبح ظهوره ويُستحى منه .
- قال تعالى : {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ..} {الأعراف ٣١

(١) المغني - (١ / ٤٤٠)

(٢) راجع بلوغ المرام لمحمد بن حزام .

ما يشترط في الساتر :

١. أن يكون ساتراً وهو الذي يمنع وصف البشرة من ستر اللون .
٢. أن يكون طاهراً فإذا كان نجساً فلا يجوز التستر به لوجوب اجتناب النجاسة .
٣. أن يكون مباحاً : و المحرم قد يكون لكسبه أو لذاته أو لوصفه كما يلي :
- أ) المحرم لكسبه : كالمغصوب لأنه كسب من طريق غير مباح .
- ب) المحرم لذاته : كالحرير على الرجال و الثوب الذي عليه صورة .
- جـ) المحرم لوصفه : كثوب طويل مسبل للرجال . "١"

٥/ الطهارة : سواء طهارة البدن أو الثوب أو المكان

لقول النبي ﷺ : (مفتاح الصلاة الطهور) رواه أحمد وأصحاب السنن والنسائي من حديث علي ؓ وصححه الألباني . من رأى نجاسة عليه بعد الصلاة ولا يدري متى حدثت فصلاته صحيحة ، وكذا لو كان عالماً بها قبل الصلاة لكن نسي أن يزيلها فصلاته صحيحة على القول الراجح . وإن علم بالنجاسة في أثناء الصلاة وأمكنه إزالتها من غير عمل كثير كخلع النعال أو العمامة ونحوهما أزالها وإن لم يتمكن من إزالتها بطلت الصلاة .

٦/ استقبال القبلة شرط من الكتاب : لقوله تعالى ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ . ويسقط استقبال القبلة في حالات :

- ١- في صلاة النافلة على الراحلة في السفر . الدليل من السنة : من حديث عامر بن ربيعة ؓ قال : " كان رسول الله ﷺ يصلي النوافل ويوتر عليها حيث توجهت به [شرقاً وغرباً] " متفق عليه .
- ٢- في الخوف الشديد : الدليل حديث ابن عمر قال : ((قد سن رسول الله ﷺ لأمته أيصلوا رجالاً قياماً على أقدامهم أو ركباناً مستقبلي القبلة أو غير مستقبليها)) . متفق عليه .

(١) راجع الجامع لأحكام فقه السنة للشيخ ابن عثيمين (١ / ٣٣٠ ، ٣٣١)

٣- من صلى إلى غير القبلة بعد اجتهاد :

من حديث جابر رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ - في مسيرة أو سريره فأصابنا غيم فتحرينا وأختلفنا في القبلة فصلى كل رجل منا على حده فجعل أحدنا يخط بين يديه لنعلم أمكنتنا فلما أصبحنا نظرناه ، فإذا نحن صلينا على غير القبلة ، فذكرنا ذلك للنبي ﷺ [فلم يأمرنا بالإعادة] وقال : ((قد أجزأت صلاتكم)) أخرجه الدارقطني وحسنه الألباني . ومن صلى بغير إجتهااد أعاد الصلاة .

أركانها وفروضها أربعة عشر ركناً :

- (١ - القيام مع القدرة، ٢ - تكبيرة الإحرام، ٣ - قراءة الفاتحة، ٤ - الركوع، ٥ - الاعتدال من الركوع، ٦ - السجود على الأعضاء السبعة، ٧ - الرفع منه، ٨ - الجلسة بين السجدين، ٩ - الطمأنينة في جميع الأفعال، ١٠ - الترتيب بين الأركان، ١١ - التشهد الأخير، ١٢ - الجلوس له، ١٣ - الصلاة على النبي ﷺ، ١٤ - التسليم

حكم ترك الركن :- "من ترك ركناً سواء عمداً أو سهواً بطلت صلاته ويلزمه الإعادة"

واجبات الصلاة وهي ثمانية :

- ١ - جميع التكبيرات غير تكبيرة الإحرام .
- ٢ - قول: (سمع الله لمن حمده) للإمام والمنفرد .
- ٣ - قول (ربنا ولك الحمد) للإمام والمنفرد والمأموم .
- ٤ - قول (سبحان ربي العظيم) في الركوع مرة واحدة والباقي سنه .
- ٥ - قول (سبحان ربي الأعلى) في السجود مرة واحدة والباقي سنه .
- ٦ - قول (ربي أغفر لي) بين السجدين مرة واحدة والباقي سنه .
- ٧ - التشهد الأول .
- ٨ - الجلوس له .

- من ترك واجباً من واجبات الصلاة متعمداً بطلت صلاته ، ومن تركها سهواً فإنه يسجد سجود السهو .

سنن الصلاة :

وهي نوعان : قولية - وفعلية وهي كثيرة .

❶ القولية : الاستعاذة - البسملة - الاستفتاح - ما زاد عن واحده في تسبيح الركوع والسجود - ما زاد في ربنا ولك الحمد - ما زاد في ربي أغفر لي بين السجدين - الدعاء بعد التشهد الأخير الخ

❷ الفعلية : مثل جعل الكف اليد اليمنى على اليسرى فوق الصدر حين القيام ، رفع اليدين مضمومة الأصابع ممدودة حذو المنكبين أو الأذنين ... الخ
❸ من ترك شيئاً من السنن سواءً قولية أو فعلية لا يلزمه الإعادة ومن فعلها زيادة أجر ومن تركها فلا حرج عليه .

❹ وَحَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : " صَلَاةُ الْجُمُعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ الْفَدْرِ بِسَبْعٍ وَعَشْرِينَ دَرَجَةً "

(صَلَاةُ الْجُمُعَةِ تَفْضُلُ) أَي : تَزِيدُ فِي الثَّوَابِ .

(صَلَاةُ الْفَدْرِ) : بِتَشْدِيدِ الدَّالِ الْمُعْجَمَةِ ، أَي : الْفَرْدِ ، بِمَعْنَى الْمُنْفَرِدِ ، أَي : عَلَى صَلَاةِ الْوَاحِدِ الَّذِي تَرَكَ الْجُمُعَةَ ، قَالَ الطَّبْرِيُّ : يُقَالُ فَدَّ الرَّجُلُ مِنْ أَصْحَابِهِ ، أَي : انْفَرَدَ وَشَدَّ عَنْهُمْ .

(بسبع وعشرين درجة) لا ينافي هذا ما يأتي في الحديث بعده من أنها تضعف على غيرها خمساً وعشرين ، إما لأن العدد القليل لا ينفي الكثير أو أنه أعلم بالقليل أولاً فأعلم به ثم أعلم بالكثير فأخبر به ، أو أن ذلك يختلف بحسب كمال الصلاة ومحافظته هيئتها وخشوعها وكثرة جماعتها وشراف البقعة ونحو ذلك . (١)

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣ / ٨٣١)

«وَحَدِيثُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ : "مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيَحْسِنُ وَضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يَأْتِ كَبِيرَةٌ وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ"

رحم قال النووي : مَعْنَاهُ أَنَّ الذُّنُوبَ كُلَّهَا تُغْفَرُ إِلَّا الْكَبَائِرَ فَإِنَّهَا لَا تُغْفَرُ وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّ الذُّنُوبَ تُغْفَرُ مَا لَمْ تَكُنْ كَبِيرَةً فَإِنْ كَانَتْ لَا يَغْفِرُ شَيْءٌ مِنَ الصَّغَائِرِ فَإِنَّ هَذَا وَإِنْ كَانَ مُحْتَمَلًا فَيَسْأَلُ الْأَحَادِيثُ يَأْبَاهُ . قَالَ الْقَاضِي : عِيَاضُ هَذَا الْمَذْكُورُ فِي الْحَدِيثِ مِنْ غُفْرَانِ الذُّنُوبِ مَا لَمْ تُؤْتِ كَبِيرَةٌ هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَنِ وَأَنَّ الْكَبَائِرَ إِنَّمَا تُكَفِّرُهَا التَّوْبَةُ أَوْ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَفَضْلُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ أَيُّ ذَلِكَ مُسْتَمَرٌّ فِي جَمِيعِ الْأَزْمَانِ . (١)

ومن الأدلة على مغفرة الذنوب بأداء الصلاة :

عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : «خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يُضَيَّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا اسْتَخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يَدْخُلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ» صححه الألباني.

عن أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلُّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟» قَالُوا : لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ . قَالَ : «فَكَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَ الْخَطَايَا» صححه الألباني.

الثاني والعشرون من شعب الإيمان

الزكاة

(١) شرح النووي على مسلم (٣ / ١١٣)

لَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ} الْبَيِّنَةُ هـ

وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُجْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتْكُوى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا تُفْسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ}

وقوله تعالى: {وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} . آل عمران ١٨٠

ولحديث ابن عباس رضي الله عنهما في الصحيحين: " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْيَمَنِ، قَالَ: «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةَ اللَّهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خُمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فَقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ وَإِيَّاكَ ودعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب "

وحديث أبي هريرة في صحيح البخاري: " من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه ثم يأخذ بلهزمتيه يعني شقيقه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا هذه الآية "وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "

لله تعريف الزكاة :لغة: النماء والزيادة، يقال: زكا الزرع إذا نما وزاد.

وشرعاً:

التعبد لله - تعالى - بإخراج جزء واجب شرعاً في مال معين لطائفة أوجهة مخصوصة.

حكم حكمها ومنزلتها من الدين :

« لَقَوْلِهِ تَعَالَى: ((وَمَا أَمْرُوا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ))

في هذه الآية دليل على فرضية الزكاة :

حكم قال الشيخ العثيمين :

ففرضت في السنة الثانية للهجرة النبوية، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم السعادة لقبضها وجبايتها لإيصالها إلى مستحقتها، ومضت بذلك سنة الخلفاء الراشدين وعمل المسلمين. وأنها أحد أركان الإسلام، وأهم أركان الإسلام بعد الصلاة، ومن جحد وجوبها ممن عاش بين المسلمين فإنه كافر؛ لأنه مكذب لله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وإجماع المسلمين، سواء أخرجها أم لم يخرجها، ومن أقر بوجوبها، وتهاون في إخراجها، وبخل بها فأصح قولي العلماء: أنه فاسق، وليس بكافر.

ولا تجب في كل مال إنما تجب في المال النامي حقيقية أو تقديرًا.

فالنمو حقيقة :- كماشية بهيمة الأنعام، والزروع والثمار، وعروض التجارة.

والنامي تقديرًا :- كالذهب والفضة إذا لم يشغل فيهما بالتجارة، فإنها وإن كانا راكدين، فهما في تقدير النامي؛ لأنه متى شاء أخرج بهما. (١)

حكم والأموال الزكوية خمسة أصناف:

١ - الذهب. ٢ - والفضة. ٣ - وعروض التجارة. ٤ - وبهيمة الأنعام. ٥ - والخارج من الأرض.

حكم شروط وجوب الزكاة :

تجب بشروط خمسة: ١ - حرية، ٢ - وإسلام، ٣ - وملك نصاب، ٤ - واستقرار ملكه، ٥ - ومضي الحول». .

(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٦/ ٢٨٧)

الحكمة من مشروعية الزكاة :**قال الشيخ الفوزان :**

وفي الزكاة إحسان إلى الخلق، وهي طهرة للمال من الدنس، وحصانة له من الآفات، وعبودية للرب سبحانه، وقال الله تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} ، وبالتالي؛ فهي تطهير للنفوس من الشح والبخل، وامتحان للغني حيث يتقرب إلى الله بإخراج شيء ماله المحبوب إليه. وقد أوجبه الله في الأموال التي تحتل المواساة، ويكثر فيها. (١)

❖ **وَلِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ: " فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتَرَدُّ عَلَى فَقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ "**

❖ **قال النووي :** وفي الحديث أنه يحرم على الساعي أخذ كرائم المال في أداء الزكاة بل يأخذ الوسيط ويحرم على رب المال إخراج شر المال وفيه أن الزكاة لا تدفع إلى كافر ولا تدفع أيضًا إلى غني من نصيب الفقراء. (٢)

عقوبة مانع الزكاة:

❖ **وقوله تعالى: ((وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ))**

قال ابن كثير:

وَأَمَّا الْكَنْزُ فَقَالَ مَالِكٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ: هُوَ الْمَالُ الَّذِي لَا تُؤَدَّى مِنْهُ الزَّكَاةُ. وَقَدْ رُوِيَ هَذَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَجَابِرٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ مَوْفُوفًا وَمَرْفُوعًا وَعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: "أَيُّهَا مَالِ أَدَيْتَ زَكَاتَهُ فَلَيْسَ بِكَنْزٍ وَإِنْ كَانَ مَدْفُونًا فِي الْأَرْضِ، وَأَيُّهَا مَالٌ لَمْ تُؤَدِّ زَكَاتَهُ فَهُوَ كَنْزٌ يُكْوَى بِهِ صَاحِبُهُ وَإِنْ كَانَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ. (١)

(١) الملخص الفقهي (١/ ٣٤٥)

(٢) شرح النووي على مسلم (١/ ١٩٧)

❦ قال الإمام السعدي :

* قوله : {فَتُكَوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ} في يوم القيامة كلما بردت أعيدت في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ويقال لهم توبيخاً ولوماً: {هَذَا مَا كُنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ} فما ظلمكم ولكنكم ظلمتم أنفسكم وعذبتموها بهذا الكنز.
وذكر الله في هاتين الآيتين، انحراف الإنسان في ماله، وذلك بأحد أمرين:

١ / إما أن ينفقه في الباطل الذي لا يجدي عليه نفعاً، بل لا يناله منه إلا الضرر المحض، وذلك كإخراج الأموال في المعاصي والشهوات التي لا تعين على طاعة الله.

٢ / وإما أن يمسك ماله عن إخراجهِ في الواجبات، و "النهي عن الشيء، أمر بضده. (٢)

❦ قال الشيخ العثيمين : والآية عامة في جميع الذهب والفضة ولم تخصص شيئاً دون شيء فمن ادعى خروج الحلي الذي يلبس للزينة من هذا العموم فعليه الدليل.
❦ وأما السنة فمن أدلتها:

١ - ما رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَا مِنْ صَاحِبٍ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَىٰ بِهَا جَبْهُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّىٰ يُقْضَىٰ بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَىٰ سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ»
والمتحلي بالذهب والفضة صاحب ذهب وفضة، ولا دليل على إخراجهِ من العموم، وحق الذهب والفضة من أعظمه وأوجه الزكاة قال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -: "الزكاة حق المال".

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٤/ ١٣٨)

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٣٦)

٢- ما رواه الترمذي والنسائي وأبو داود واللفظ له قال: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن

جده: (أن امرأة أتت رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ومعها ابنة لها، وفي يد ابنتها مَسَكَتَانِ

غليظتان من ذهب، فقال لها: "أتعطين زكاة هذا؟". قالت: لا. قال: "أيسرك أن يسورك الله بهما

يوم القيامة سوارين من نار؟". قال: فخلعتها، فألقتهما إلى النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقالت:

هما لله عز وجل ولرسوله!! (قال العلامة الألباني: إسناده حسن)

للهم قال الشيخ العثيمين رحمه الله :

وإني ضارب لكم مثلاً: امرأة عندها حلي تلبسه وتتجمل به وهي غنية جداً، لا تعد هذا الحلي

للنفقة، وإنما تعده للترزين والتجمل، وامرأة أخرى فقيرة عندها حلي، ولكنها تحتاجها للنفقة كلما

احتاجت أنفقت، الأخيرة، يقول هؤلاء: إن عليها الزكاة في حليها والأولى يقولون: أنه لا زكاة

عليها في حليها، مع أن النظر يقتضي أن الأولى هي التي يجب عليها زكاة الحلي لأنها هي الغنية،

والثانية هي التي لا يجب عليها الحلي؛ لأنها إنما اتخذت الحلي للحاجة لا للترزين، ومع ذلك الأدلة

تدل على وجوب الزكاة على هذه وعلى هذه، كما تقرر وهذا هو الأحوط والإنسان مأمور

بالاحتياط وإبراء الذمة. (١)

ومن عقوبة مانع الزكاة أيضاً:

﴿وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ((وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ

سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))

﴿وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ : " مِنْ آتَاهُ اللَّهُ مَا لَا فَلََمْ يُوَدِّ زَكَاتَهُ مِثْلَ لَهُ مَالَهُ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ شَجَاعًا أَفْرَعُ لَهُ زَبَيَّتَانِ يَطْوِقُهُ ... مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٨ / ١٢٣)

قال ابن كثير :

وَقَوْلُهُ: {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ... أَي لَا يَحْسَبَنَّ الْبَخِيلُ أَنَّ جَمْعَهُ الْمَالُ يَنْفَعُهُ، بَلْ هُوَ مَضْرَّةٌ عَلَيْهِ فِي دِينِهِ - وَرُبَّمَا كَانَ - فِي دُنْيَاهُ.

ثُمَّ أَخْبَرَ بِمَالِ أَمْرِ مَالِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ: " سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "

"والطوق" فسرته حديث أبي هريرة قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مِثْلَ لَهُ شَجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَيْبَتَانِ، يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَأْخُذُ بِلَهْزِمَتَيْهِ - يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ - يَقُولُ: أَنَا مَالُكَ، أَنَا كَنْزُكَ" ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ} إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. أخرجه البخاري.

شرح الحديث :


قال النووي: "الشُّجَاعُ" الْحَيَّةُ الذَّكْرُ، "وَالْأَقْرَعُ" الَّذِي تَمَعَّطَ شَعْرُهُ لِكَثْرَةِ سُمِّهِ .

وَقِيلَ "الشُّجَاعُ" الَّذِي يُوَابِتُ الرَّاجِلَ وَالْفَارِسَ وَيَقُومُ عَلَى ذَنْبِهِ وَرُبَّمَا بَلَغَ رَأْسَ الْفَارِسِ وَيَكُونُ فِي الصَّخَارَى .

قَوْلُهُ: (مِثْلَ لَهُ شَجَاعًا أَقْرَعَ) قَالَ الْقَاضِي ظَاهِرُهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ هَذَا الشُّجَاعَ لِعَذَابِهِ وَمَعْنَى مِثْلَ أَيُّ نَصَبَ وَصِيرٍ بِمَعْنَى أَنَّ مَالَهُ يَصِيرُ عَلَى صُورَةِ الشُّجَاعِ،

(وَالزَّيْبَتَانِ نُقْطَتَانِ مُسْلِحَتَانِ) فِي شِدْقَيْهِ كَالرَّغْوَتَيْنِ يُقَالُ إِنَّهُمَا تَبْدَوَانِ حِينَ يَفْحُ وَيَغْضَبُ .

وَقِيلَ: نُقْطَتَانِ سَوْدَاوَانِ عَلَى عَيْنَيْهِ وَهِيَ عَلَامَةُ الْحَيَّةِ الذَّكْرِ الْمُؤَذِي وَقِيلَ الزَّيْبَتَانِ نَابَانِ لَهُ وَقِيلَ نَكْتَتَانِ عَلَى شَفَتَيْهِ وَالْأَوَّلُ أَوْتَقُ وَأَكْثَرُ.

قَوْلُهُ  (سَلَكَ بِيَدِهِ فِيهِ فَيَقْضِمُهَا قَضْمَ الْفَحْلِ)

مَعْنَى سَلَكَ أَذْخَلَ وَيَقْضِمُهَا يَفْتَحِ الضَّادِ يُقَالُ قَضِمَتِ الدَّابَّةُ شَعِيرَهَا بِكَسْرِ الضَّادِ تَقْضِمُهُ يَفْتَحُهَا إِذَا أَكَلَتْهُ. (١)

(١) فتح الباري لابن حجر (٣/ ٢٦٩) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣/ ٤٠٣) الاستذكار (٣/ ١٧٩)

✽ تنبيه :

وَحَصَّ هُنَا بِالْقَامِ الْأَصَابِعَ، وَلَعَلَّ السَّرَّ فِيهِ أَنَّ الْمَانِعَ يَكْتَسِبُ الْمَالَ بِيَدَيْهِ، وَيَفْتَحِرُ بِشِدْقِيهِ، فَخَصَّ بِالذِّكْرِ. ، وَالْأَظْهَرُ أَنَّ يُقَالُ: كُلُّ يُعَذَّبُ بِمَا هُوَ الْغَالِبُ عَلَيْهِ، وَيُحْتَمَلُ أَنَّ مَانِعَ الزَّكَاةِ يُعَذَّبُ بِجَمِيعِ مَا مَرَّ فِي الْأَحَادِيثِ، فَيَكُونُ مَالُهُ تَارَةً يُجْعَلُ صَفَائِحَ، وَتَارَةً يُصَوَّرُ سُجَاعًا أَقْرَعَ يُطَوَّقُهُ، وَتَارَةً يَتَّبَعُهُ وَيَفِرُّ مِنْهُ حَتَّى يُلْقِمَهُ أَصَابِعُهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ،

✽ ومن الأدلة في عقاب تارك الزكاة :

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: " «مَا مِنْ رَجُلٍ يَكُونُ لَهُ إِبِلٌ أَوْ بَقَرٌ أَوْ غَنَمٌ لَا يُؤَدِّي حَقَّهَا إِلَّا أَتَى بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْظَمَ مَا تَكُونُ وَأَسْمَنُهُ، تَطَوُّهُ بِأَخْفَافِهَا، وَتَنْطِجُهُ بِقُرُونِهَا، كُلَّمَا جَارَتْ أَخْرَاهَا رُدَّتْ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ » ". مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قَالَ: (مَا مِنْ رَجُلٍ يَكُونُ لَهُ إِبِلٌ أَوْ بَقَرٌ أَوْ غَنَمٌ ") أَوْ لِلتَّقْسِيمِ (إِلَّا يُؤَدِّي حَقَّهَا) أَيُّ لَا يُعْطَى زَكَاتُهَا (إِلَّا أَتَى بِهَا) عَلَى صِغَةِ الْمُجْهُولِ (يَوْمَ الْقِيَامَةِ) أَيُّ حَالِ كَوْنِهَا (أَعْظَمَ مَا تَكُونُ) بِالتَّائِيثِ وَقِيلَ: بِالتَّذْكِيرِ، أَيُّ أَقْوَاهُ (وَأَسْمَنُهُ) (تَطَوُّهُ بِأَخْفَافِهَا) أَيُّ تَدْوُسُهُ بِأَرْجُلِهَا جَزَاءً لِكُتْبِهِ (وَتَنْطِجُهُ) أَيُّ تَضْرِبُهُ (بِقُرُونِهَا) جَزَاءً لِإِبَائِهِ وَامْتِنَاعِهِ، فَغَلَبَ الْإِبِلُ فِي الْأَوَّلِ لِأَنَّهَا أَشْرَفُ الثَّلَاثَةِ، وَلِذَا بَدَأَ بِذِكْرِهَا، وَغَلَبَ الْآخِرِينَ فِي الثَّانِي لِكُثْرَتِهِمَا (كُلَّمَا جَارَتْ) أَيُّ مَرَّتْ (أَخْرَاهَا رُدَّتْ عَلَيْهِ) أَوْلَاهَا حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ (ثُمَّ إِمَّا مَعَ فَرِيقِ الْجَنَّةِ وَإِمَّا مَعَ فَرِيقِ النَّارِ. (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ). (١)

فائدة :

أصحاب الزكاة هم ثمانية أصناف قال تعالى: ((إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهِ وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)) وإذا أعطيت لغيرهم لا تقبل منه وعليه إعادة إخراجها.

الثالث والعشرون من شعب الإيمان

الصَّيَام

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ

تعريف الصيام:

لله الصوم في اللغة بمعنى: الإمساك، فكل إمساك يطلق عليه صيام.

تعريف الصيام في الشرع: قال الشيخ العثيمين: وهو التعبد لله تعالى بترك المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

حكم صوم رمضان:

فرض واجب وركن من أركان الإسلام، والأصل في وجوبه: الكتاب والسنة والإجماع، ولا خلاف بين أهل السير أن رمضان شرع في السنة الثانية من الهجرة، وأن النبي عليه الصلاة والسلام صام تسعة رمضانات.

«فمن الكتاب قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} * ... فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ»

له وقد دلت السنة على فرضية صيام هذا الشهر،

← عَنْ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ"

حلوا الإجماع على وجوب صوم رمضان:

أجمع أهل العلم على وجوب صيام شهر رمضان.

﴿فضائل الصيام﴾:

← عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصَّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمٌ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرِفْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْحَبْ، فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ "

«وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ»
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدْعُ شَهْوَتَهُ وَأَكَلَهُ وَشُرْبَهُ مِنْ أَجْلِي، وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ حِينَ يُفْطِرُ، وَفَرْحَةٌ حِينَ يَلْقَى رَبَّهُ، وَلَخُلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ " صحيح مسلم
قال الشيخ العثيمين :

أن الله سبحانه وتعالى جعل الصوم له وعمل ابن آدم الثاني أي غير الصوم لابن آدم يقول الله تعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي.

والمعنى : أن الصيام يختصه الله سبحانه وتعالى من بين سائر الأعمال لأنه أي الصيام أعظم العبادات إطلاقاً فإنه سر بين الإنسان وربه لأنه الإنسان لا يعلم إذا كان صائماً أو مفطراً هو مع الناس ولا يعلم به نيته باطنة فلذلك كان أعظم إخلاصاً فاختصه الله من بين سائر الأعمال،

❦ قال بعض العلماء ومعناه: إذا كان الله سبحانه وتعالى يوم القيامة وكان على الإنسان مظالم للعباد فإنه يؤخذ للعباد من حسناته إلا الصيام فإنه لا يؤخذ منه شيء لأنه عز وجل وليس للإنسان وهذا معنى جيد أن الصيام يتوفر أجره لصاحبه ولا يؤخذ منه لمظالم الخلق شيئاً.

❦ ومنها: أن عمل ابن آدم يزداد من حسنة إلى عشرة أمثالها إلا الصوم فإنه يعطى أجره بغير حساب يعني أنه يضاعف أضعافاً كثيرة قال أهل العلم ولأن الصوم اشتمل على أنواع الصبر الثلاثة ففيه صبر على طاعة الله & وصبر عن معصية الله & وصبر على أقدار الله.

❦ أما الصبر على طاعة الله: فلأن الإنسان يحمل نفسه على الصيام مع كراهته له أحياناً يكرهه لمشقته لا لأن الله فرضه لو كره الإنسان الصوم لأن الله فرضه لحبط علمه أنها تركه طاعة لله: "يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي".

❦ الثاني: الصبر عن معصية الله: وهذا حاصل للصائم فإنه يصبر نفسه عن معصية الله عز وجل فيتجنب اللغو والرفث والزور وغير ذلك من محارم الله.

❦ الثالث: الصبر على أقدار الله: وذلك أن الإنسان يصيبه في أيام الصوم (ولاسيما في الأيام الحارة والطويلة) من الكسل والملل والعطش ما يتألم ويتأذى به ولكنه صابر لأن ذلك في مرضاة الله. فلما اشتمل على أنواع الصبر الثلاث كان أجره بغير حساب قال الله تعالى: ((إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب)).

❦ ومن الفوائد التي اشتمل عليها هذا الحديث أن للصائم فرحتين الفرحة الأولى عند فطره إذا أفطر فرح بفطره فرح بفطره من وجهين:

الوجه الأول: أنه أدى فريضة من فرائض الله وأنعم الله بها عليه . - وكم من إنسان في المقابر يتمنى أن يصوم يوماً وأحدًا فلا يكون له وهذا قد من الله عليه بالصوم طبيعته من المأكول والمشارب والمناكح بعد أن كان ممنوعاً منها.

الثانية: أن الله من عليه بما أحل له من محبوباته من طعام وشراب ونكاح.

ومن فوائد هذا الحديث الإشارة إلى الحكمة من فرض الصوم حيث قال صلى الله عليه وسلم: فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب يعني: لا يقول قولاً يَأْثُمُ به ولا يصخب فيتكلم بكلام صخب بل يكون وقوراً مطمئناً متأنياً فإن سابه أحد أو شاتمه فلا يرفع صوته عليه بل يقول: إني صائم. يمنعني صومي من الرد عليك وعلى هذا في قوله جهراً. (١)

ومن فضائل الصيام:

١/ أنه (جنة): أي وقاية وسترة من الوقوع في المعاصي: **لله ما جاء في صحيح البخاري: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "الصَّيَّامُ جَنَّةٌ فَلَا يَرُفْثُ وَلَا يَجْهَلُ، وَإِنْ أَمْرُؤُ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ**

٢/ وقاية من دخول النار والبعد عنها .

لله عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بَعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا» متفق عليه .

٣/ سبب لدخول باب من أبواب الجنة .

لله عَنْ سَهْلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ" متفق عليه .

الإيام التي يستحب صيامها:

لله عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ: لَا يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ: لَا يَصُومُ، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ إِلَّا رَمَضَانَ، وَمَا رَأَيْتُهُ أَكْثَرَ صِيَامًا مِنْهُ فِي شَعْبَانَ" متفق عليه .

(١) شرح رياض الصالحين (٥/ ٢٦٩)

لَهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفْضَلُ الصَّيَامِ، بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلَاةُ اللَّيْلِ» صحيح مسلم

لَهُ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ» رواه مسلم

لَهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلَاثٍ: «بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكَعَتَيِ الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَرْقُدَ». رواه مسلم

لَهُ «أَلَا أَخْبَرُكُمْ بِمَا يَذْهَبُ وَحَرَالصَّدْرُ؟ صَوْمُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ» صحيح صححه الألباني

تنبيه: ولا يشترط أن تكون الثلاث الأيام متتالية .

لَهُ عَنْ عَائِشَةَ عَنْ صِيَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: "كَانَ يَصُومُ سَعْبَانَ كُلَّهُ حَتَّى يَصِلَهُ بِرَمَضَانَ وَكَانَ يَتَحَرَّى صِيَامَ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ" صححه الألباني.

لَهُ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ.. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ، وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ» صحيح مسلم.

الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ مِنْ شُعْبِ الْإِيمَانِ

الِاعْتِكَافُ

لَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ

السُّجُودِ} الْبَقَرَةُ ١٢٥

وَلِحَدِيثِ عَائِشَةَ " فِي الصَّحِيحَيْنِ " أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تُوَفَاهُ اللَّهُ ثُمَّ اغْتَكَفَ أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ "

الاعتكاف لغة: لزوم الشيء وحبس النفس عليه، والإقامة والإقبال عليه، والبث والمكث مطلقاً، أي في أي موضع كان.

﴿أما الاعتكاف شرعاً: فهو إقامة المسلم في بيت من بيوت الله بنية حبس النفس على طاعة الله وعبادته بنية، تدريباً لنفسه على تذوق الطاعات، والبعد عن المغريات، قال تعالى: (وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ) وهو شريعة قديمة معروفة في الأديان السابقة والمسجد ركن في صحة الاعتكاف، ولهذا قال البخاري: والاعتكاف في المساجد كلها، ولا بد من النية، وهي ركن عند المالكية والشافعية. (١)

٧ حكم الاعتكاف والحكمة منه :

أما حكمه: فقد أجمع العلماء على مشروعيته، وأجمعوا أيضاً على أنه مستحب ليس بواجب. والذي عليه الجمهور أنه سنة مؤكدة في رمضان وفي العشر الأواخر أكد.

✽ وأما حكمته وفائدته: - فقد قال "ابن القيم" في "الهدى" :

لما كان صلاح القلب واستقامته على طريق سيره إلى الله تعالى متوقفاً على جمعيته على الله ولم شعثه بإقباله بالكلية على الله تعالى، شرع الاعتكاف الذي مقصوده وروحه، عكوف القلب على الله تعالى وجمعيته عليه، والخلوة به، والانقطاع عن الاشتغال بالخلق والاشتغال به وحده سبحانه، بحيث يصير ذكره والإقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته. (٢)

﴿لَقَوْلِهِ تَعَالَى: " وَعَهْدُنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ ... ﴾ قال

الإمام السعدي: أي: أوحينا إليهما، وأمرناهما بتطهير بيت الله من الشرك، والكفر والمعاصي، ومن الرجس والنجاسات، والأقذار، ليكون {لِلطَّائِفِينَ} فيه {وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ} أي:

(١) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (٣/ ٢٤٩)

(٢) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام (ص: ٣٥٠)

المصلين، قدم الطواف، لاختصاصه بالمسجد [الحرام]، ثم الاعتكاف، لأن من شرطه المسجد مطلقاً، ثم الصلاة، مع أنها أفضل، لهذا المعنى.

❦ وأضاف الباري البيت إليه لفوائد:

منها: أن ذلك يقتضي شدة اهتمام إبراهيم وإسماعيل بتطهيره، لكونه بيت الله، فيبذلان جهدهما، ويستفرغان وسعهما في ذلك.

ومنها: أن الإضافة تقتضي التشريف والإكرام، ففي ضمنها أمر عباده بتعظيمه وتكريمه.

ومنها: أن هذه الإضافة هي السبب الجاذب للقلوب إليه. "١"

❧ وَلِحَدِيثِ عَائِشَةَ "فِي الصَّحِيحَيْنِ" أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْآخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تُوَفَاَهُ اللَّهُ ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ"

في الحديث عدة فوائد :

١/ فِيهِ اسْتِحْبَابُ مُطْلَقِ الْإِعْتِكَافِ، وَاسْتِحْبَابُهُ فِي رَمَضَانَ بِخُصُوصِهِ، وَفِي الْعَشْرِ الْآخِرِ بِخُصُوصِهَا.

٢/ وَفِيهِ تَأْكِيدُ هَذَا الْإِسْتِحْبَابِ بِمَا أَشْعَرَهُ بِاللَّفْظِ مِنَ الْمَدَاوِمَةِ، وَبِمَا صَرَّحَ بِهِ فِي الرَّوَايَةِ الْأُخْرَى، مِنْ قَوْلِهَا "فِي كُلِّ رَمَضَانَ" وَبِمَا دَلَّ عَلَيْهِ مِنْ عَمَلِ أَزْوَاجِهِ مِنْ بَعْدِهِ.

٣/ وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى اسْتِثْنَاءِ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ فِي هَذَا الْحُكْمِ.

٤/ «ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ» إِشَارَةٌ إِلَى اسْتِمْرَارِ حُكْمِ لَاعْتِكَافٍ حَتَّى فِي حَقِّ النِّسَاءِ فَكُنَّ أُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ يَعْتَكِفْنَ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ غَيْرِ نَكِيرٍ وَإِنْ كَانَ هُوَ فِي حَيَاتِهِ قَدْ أَنْكَرَ عَلَيْهِنَّ الْإِعْتِكَافَ بَعْدَ إِذْنِهِ لِبَعْضِهِنَّ كَمَا هُوَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ فَذَاكَ لِمَعْنَى آخَرَ وَهُوَ كَمَا

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٦٥)

قِيلَ : إِمَّا خَوْفٌ أَنْ يَكُنَّ غَيْرَ مُخْلِصَاتٍ فِي الْإِعْتِكَافِ بَلْ أُرِدْنَ الْقُرْبَ مِنْهُ لِيُغَيِّرَ تَنَاسُّلَهُنَّ عَلَيْهِ أَوْ لِيُغَيِّرَ تَنَاسُّلَهُنَّ ، أَوْ ذَهَابِ الْمُقْصُودِ مِنَ الْإِعْتِكَافِ بِكَوْنِهِنَّ مَعَهُ فِي الْمُعْتَكَفِ .
 أَوْ لِيُضَيِّقَهُنَّ الْمَسْجِدَ بِأَبْنِيَّتِهِنَّ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

أحكام الاعتكاف :

- ١/ ليس لوقته حد محدود في أصح أقوال أهل العلم .
- ٢/ لا يشترط له الصوم ولكن مع الصوم أفضل .
- ٣/ والسنة له أن يدخل معتكفه حين ينوي الاعتكاف ويخرج بعد مضي المدة التي نواها ، وله قطع ذلك إذا دعت الحاجة إلى ذلك ؛ لأن الاعتكاف سنة ولا يجب بالشروع فيه إذا لم يكن مندورا .
- ٤/ ويستحب الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان ؛ تأسيا بالنبي صلى الله عليه وسلم .
- ٥/ ويستحب لمن اعتكف أن يدخل المسجد عند غروب الشمس من ليلة الحادي والعشرين ؛ وذلك لأن ذلك وقت دخول العشر الأواخر ليكتب له أجر اعتكاف ليلة . ويدخل معتكفه بعد صلاة الفجر من اليوم الحادي والعشرين ؛ اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم لحديث عائشة قالت : « كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعتكف في كل رمضان فإذا صلى الغداة دخل مكانه الذي اعتكف فيه » أخرجه البخاري ، الحديث .
- ٦/ ويشترط للمعتكف أن يكثر من الذكر ، وقراءة القرآن ، والاستغفار ، والدعاء والصلاة ، في غير أوقات النهي . ولا حرج أن يزوره بعض أصحابه ، وأن يتحدث معه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يزوره بعض نسائه ، ويتحدثن معه . وزارته مرة صفية رضي الله عنها وهو معتكف .
- ٧/ ويستحب للمعتكف الاشتغال بالقرب واجتنابه ما لا يعنيه من قول وفعل ولا يكثر الكلام فإن كثرت لا تخلو من اللغو والسقط ، والسباب والفحش ، فإن ذلك مكروه في غير الاعتكاف ففي الاعتكاف أولى . (١)

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢٠ / ١٧١) مجموع فتاوى ابن باز (١٥ / ٤٤٠)

الخامس والعشرون من شعب الإيمان

الحج

لَقَوْلِهِ تَعَالَى: ((وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)) آل عمران ٩٧
وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ((وَأُذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ))

الحج ٢٧

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ((وَأَتُمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ)) الْبَقَرَةُ ١٩٦
وَلِحَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا "فِي الصَّحِيحَيْنِ": قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "بُنِيَ
الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ،
وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ"

وَحَدِيثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: "قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا
رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنْ تَقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتُحِجَّ الْبَيْتَ، وَتَعْتَمِرَ، وَتَغْتَسِلَ مِنَ الْجَنَابَةِ، وَتَتَمَّ
الْوُضُوءَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، قَالَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَأَنَا مُسْلِمٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: صَدَقْتَ". فَذَكَرَ الْحَدِيثَ

تعريف الحج:

لغة: القصد إلى معظم. شرعاً: أعمال مخصوصة في زمان مخصوص ومكان مخصوص على وجه
مخصوص، أو قصد مكة لعمل مخصوص في زمن مخصوص.

حكمه: فرض في العمرة مرة على الفور، فكل من توفرت فيه شروط وجوبه ثم أخره عن أول
عام استطاع فيه يكون آثماً بالتأخير.

لله دليل فرضيته: ثبتت فرضية الحج بالكتاب والسنة والإجماع.

فمن القرآن :

﴿ قَوْلُهُ تَعَالَى: ((وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا))

ومن السنة :

﴿ قَوْلُهُ ﷺ " بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ " متفق عليه.

شروط وجوب الحج:

أولاً: الإسلام: فلا يجب الحج على الكافر كما لا يصح منه، سواء كان كافراً أصلياً أم مرتداً.

ثانياً: العقل: فلا يجب على المجنون كما لا يصح منه كالصبي غير المميز.

ثالثاً: البلوغ: فلا يجب على الصبي الذي لم يبلغ الحلم.

رابعاً: الاستطاعة: فلا يجب الحج على غير المستطيع.

خامساً: يضاف إلى هذه الشروط شرط يتعلق بالمرأة. "وجود المحرم".

لما روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يحل لامرأة تؤمن بالله

واليوم الآخر، تسافر مسيرة يوم وليلة، إلا مع ذي محرم).

﴿ وقوله: {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ }

لله قال السعدي :

{وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ} أي: أعلمهم به، وادعهم إليه، وبلغ دانيهم وقاصيهم، فرضه وفضيلته،

فإنك إذا دعوتهم، أتوك حجاجاً وعماراً، رجالاً أي: مشاة على أرجلهم من الشوق.

{وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ} أي: ناقة ضامر، تقطع المهامة والمفاوز، وتواصل السير، حتى تأتي إلى أشرف

الأماكن.

{مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ} أي: من كل بلد بعيد، وقد فعل الخليل عليه السلام، ثم من بعده ابنه محمد صلى الله عليه وسلم، فدعيا الناس إلى حج هذا البيت، وأبديا في ذلك وأعادا، وقد حصل ما وعد الله به، أتاه الناس رجالا وركبانا من مشارق الأرض ومغاربها. (١)

فضائل الحج:

١/ مغفرة الذنوب جميعا.

فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرُفْثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ». صحيح البخاري

٢/ تسويته بالجهاد في سبيل الله .

وعَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ، قَالَتْ: أَخْبَرْتَنِي أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نَخْرُجُ فَنُجَاهِدُ مَعَكَ، فَإِنِّي لَا أَرَى عَمَلًا فِي الْقُرْآنِ أَفْضَلَ مِنَ الْجِهَادِ؟ قَالَ: «لَا، وَلَكِنْ أَحْسَنُ الْجِهَادِ وَأَجْمَلُهُ حَجُّ الْبَيْتِ حَجٌّ مَبْرُورٌ» صححه الألباني.

٣/ سبب لدخول الجنة .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا وَالْحَجُّ الْمُبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ» صححه الألباني.

(٤) أنه سبب من أسباب الرزق وذهاب الفقر .

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ ..». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ.

(٥) فيه يوم عرفة وهو أفضل أيام السنة .

عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟ صحيح مسلم

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٣٧)

السَّادِسُ وَالْعَشْرُونَ مِنْ شُعْبِ الْإِيمَانِ

الْجِهَادُ

لَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ} الْحُجَّ ٧٨

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ} الْمَائِدَةُ ٥٤

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا

أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} التَّوْبَةُ ١٢٣

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ} الْأَنْفَالُ ٦٥

وَلِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ: "سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ

الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَقِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قِيلَ ثُمَّ مَاذَا؟

قَالَ حَجٌّ مَبْرُورٌ."

وَحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ: "لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُّوْا

اللَّهُ الْعَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السِّيفِ"

◀ وَقَوْلُهُ: "وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ" أَيُّ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ.

قال السعدي:

{وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ} والجهاد بذل الوسع في حصول الغرض المطلوب، فالجهاد في الله

حق جهاده، هو القيام التام بأمر الله، ودعوة الخلق إلى سبيله بكل طريق موصل إلى ذلك، من

نصيحة وتعليم وقتال وأدب وزجر ووعظ، وغير ذلك. (١)

ثم قال ابن القيم: مَرَاتِبُ الْجِهَادِ:

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٤٧)

الْجِهَادُ أَرْبَعُ مَرَاتِبَ: جِهَادُ النَّفْسِ، وَجِهَادُ الشَّيْطَانِ، وَجِهَادُ الْكُفَّارِ، وَجِهَادُ الْمُنَافِقِينَ.

﴿جِهَادُ النَّفْسِ أَرْبَعُ مَرَاتِبَ أَيْضًا:

إِحْدَاهَا: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى تَعَلُّمِ الْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ الَّذِي لَا فَلَاحَ لَهَا وَلَا سَعَادَةَ فِي مَعَاشِهَا وَمَعَادِهَا إِلَّا بِهِ، وَمَتَى فَاتَهَا عِلْمُهُ شَقِيتَ فِي الدَّارَيْنِ.

الثَّانِيَةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الْعَمَلِ بِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ، وَإِلَّا فَمُجَرَّدُ الْعِلْمِ بِلَا عَمَلٍ إِنْ لَمْ يَضُرَّهَا لَمْ يَنْفَعَهَا.

الثَّالِثَةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، وَتَعْلِيمِهِ مَنْ لَا يَعْلَمُهُ، وَإِلَّا كَانَ مِنَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْهُدَى وَالْبَيِّنَاتِ، وَلَا يَنْفَعُهُ عِلْمُهُ، وَلَا يُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

الرَّابِعَةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الصَّبْرِ عَلَى مَشَاقِّ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَأَذَى الْخَلْقِ، وَيَتَحَمَّلُ ذَلِكَ كُلَّهُ لِلَّهِ.

﴿فَإِذَا اسْتَكْمَلَ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ الْأَرْبَعَ صَارَ مِنَ الرَّبَّانِيِّينَ، فَإِنَّ السَّلَفَ مُجْمَعُونَ عَلَى أَنَّ الْعَالَمَ لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسَمَّى رَبَّانِيًّا حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ وَيَعْمَلَ بِهِ وَيُعَلِّمَهُ، فَمَنْ عَلِمَ وَعَمِلَ وَعَلَّمَ فَذَلِكَ يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ.

﴿مَرَاتِبُ جِهَادِ الشَّيْطَانِ:

وَأَمَّا جِهَادُ الشَّيْطَانِ فَمَرَّتَيْنِ:

إِحْدَاهُمَا: جِهَادُهُ عَلَى دَفْعِ مَا يُلْقِي إِلَى الْعَبْدِ مِنَ الشُّبُهَاتِ وَالشُّكُوكِ الْقَادِحَةِ فِي الْإِيمَانِ.

الثَّانِيَةُ: جِهَادُهُ عَلَى دَفْعِ مَا يُلْقِي إِلَيْهِ مِنَ الْإِرَادَاتِ الْفَاسِدَةِ وَالشَّهَوَاتِ.

فَالْجِهَادُ الْأَوَّلُ يَكُونُ بَعْدَهُ الْبَقِيَّةُ، وَالثَّانِي: يَكُونُ بَعْدَهُ الصَّبْرُ. قَالَ تَعَالَى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً

يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} [السَّجْدَةُ: ٢٤] فَأَخْبَرَ أَنَّ إِمَامَةَ الدِّينِ إِنَّمَا تُنَالُ

بِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ، فَالصَّبْرُ يَدْفَعُ الشَّهَوَاتِ وَالْإِرَادَاتِ الْفَاسِدَةَ، وَالْيَقِينُ يَدْفَعُ الشُّكُوكَ وَالشُّبُهَاتِ.

﴿مَرَاتِبُ جِهَادِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ

وَأَمَّا جِهَادُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ فَأَرْبَعُ مَرَاتِبَ: بِالْقَلْبِ، وَاللِّسَانِ، وَالْمَالِ، وَالنَّفْسِ، وَجِهَادُ الْكُفَّارِ

أَخْصُ بِالْيَدِ، وَجِهَادُ الْمُنَافِقِينَ أَخْصُ بِاللِّسَانِ.

مسألة: ماهي أكمال مراتب الجهاد؟

❶ أكمل الخلق عند الله من كمال مراتب الجهاد كلها، والخلق متفاوتون في منازلهم عند الله تفاوتهم في مراتب الجهاد، ولهذا كان أكمل الخلق وأكرمهم على الله خاتم أنبيائه ورسله، فإنه كمال مراتب الجهاد، وجاهد في الله حق جهاده، وسرع في الجهاد من حين بعث إلى أن توفاه الله عز وجل، فإنه لما نزل عليه: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ} شمر عن ساق الدعوة، وقام في ذات الله أتم قيام، ودعا إلى الله ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً، ولما نزل عليه: {فاصدع بما تؤمر} فصدع بأمر الله لا تأخذه فيه لومة لائم، فدعا إلى الله الصغير والكبير والحر والعبد والذكر والأنثى والأحر والأسود والحن والإنس. (١)

❷ وقوله: "يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة" أمر الله تعالى المؤمنين أن يقاتلوا الكفار أولاً، فأولاً الأقرب فالأقرب فالأقرب إلى حوزة الإسلام، ولهذا بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال المشركين في جزيرة العرب، فلما فرغ منهم وفتح الله عليه مكة والمدينة والطائف واليمن واليامة وهجر وخيبر وحضر موت وغير ذلك من أقاليم جزيرة العرب، ودخل الناس من سائر أحياء العرب في دين الله أفواجا، شرع في قتال أهل الكتاب، فتجهز لغزو الروم الذين هم أقرب الناس إلى جزيرة العرب وأولى الناس بالدعوة إلى الإسلام لأنهم أهل الكتاب، فبلغ تبوك ثم رجع لأجل جهد الناس وجذب البلاد وضيق الحال، وذلك سنة تسع من هجرته عليه السلام، ثم اشتغل في السنة العاشرة بحجة الوداع، ثم عاجلته المنيعة صلوات الله وسلامه عليه بعد حجته بأحد وثمانين يوماً، فاختاره الله لما عنده.

فظهر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وعلت كلمة الله وظهر دينه، وبلغت الملة الحنيفة من أعداء الله غاية مآربها. وكلما علوا أمة انتقلوا إلى من بعدهم ثم الذين يلونهم من العتاة

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٩/٣)

الْفَجَارِ، امْتِثَالًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ" وَقَوْلُهُ تَعَالَى: "وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً أَيْ وَلْيَجِدَ الْكُفَّارَ مِنْكُمْ غِلْظَةً" فِي قِتَالِكُمْ هُمْ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ الْكَامِلَ هُوَ الَّذِي يَكُونُ رَفِيقًا لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ غِلْظًا عَلَى عَدُوهِ الْكَافِر. (١)

◀ (لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا) وَفِي الرَّوَايَةِ الْأُخْرَى: (لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ) **للإمام** قَالَ النَّوَوِي: إِنَّمَا نَهَى عَنْ تَمَنِّي لِقَاءِ الْعَدُوِّ لِمَا فِيهِ مِنْ صُورَةِ الْإِعْجَابِ وَالِاتِّكَالِ عَلَى النَّفْسِ وَالْوُثُوقِ بِالْقُوَّةِ وَهُوَ نَوْعٌ بَغْيٍ وَقَدْ ضَمِنَ اللَّهُ تَعَالَى لِمَنْ بَغَى عَلَيْهِ أَنْ يَنْصُرَهُ وَلَا أَنَّهُ يَتَضَمَّنُ قِلَّةَ الْإِهْتِمَامِ.

وَلِهَذَا تَمَنَّى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ" وَقَدْ كَثُرَتْ الْأَحَادِيثُ فِي الْأَمْرِ بِسُؤَالِ الْعَافِيَةِ وَهِيَ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْعَامَّةِ الْمُتَنَاوِلَةِ لِدَفْعِ جَمِيعِ الْمَكْرُوهَاتِ فِي الْبَدَنِ وَالْبَاطِنِ فِي الدِّينِ وَالْدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ" فَمَعْنَاهُ ثَوَابُ اللَّهِ وَالسَّبَبُ الْمَوْصِلُ إِلَى الْجَنَّةِ عِنْدَ الضَّرْبِ بِالسُّيُوفِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَشْيِ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاحْضَرُوا فِيهِ بِصِدْقٍ وَاثْبُتُوا.

◀ قَوْلُهُ: ((لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا)).

اعْلَمْ أَنَّ تَمَنِّي لِقَاءِ الْعَدُوِّ يَتَضَمَّنُ أَمْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: اسْتِدْعَاءُ الْبَلَاءِ. وَالثَّانِي: ادْعَاءُ الصَّبْرِ، وَمَا يَذَرِي الْإِنْسَانَ كَيْفَ يَكُونُ صَبْرُهُ عَلَى الْبَلَاءِ. وَقَدْ نَبِهَ هَذَا الْحَدِيثُ: عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَتَمَنَّى الْبَلَاءَ بِحَالٍ، وَقَدْ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: كُنْتُ أَسْأَلُ اللَّهَ الْغَزْوَ، فَهَتَفَ بِي هَاتِفٌ: إِنَّكَ إِنْ غَزَوْتَ أَسَرْتَ، وَإِنْ أَسَرْتَ تَنْصُرْتَ. (٢)

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية (٤ / ٢٠٨)

(٢) شرح النووي على مسلم (١٢ / ٤٦) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣ / ٤٢٩)

❖ تَمَتَّة: من الأحاديث في فضل الجهاد والموت في سبيل الله:

ﷺ ما جاء "في صحيح مسلم": عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا يُكَلِّمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يُنْعَبُ، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالرَّيْحُ رِيحُ مِسْكِ»

ﷺ ما جاء "في صحيح مسلم": عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ، لَهَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ، يَسُرُّهَا أَنْهَا تَرْجِعُ إِلَى الدُّنْيَا، وَلَا أَنَّ لَهَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، إِلَّا الشَّهِيدُ، فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ، فَيُقْتَلَ فِي الدُّنْيَا لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ»

وفي رواية «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلَ»

وعن جَابِرٍ أقال: لَقِيتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي: (يا جابر! مالي أراك مُنْكَسِرًا؟) فقلت: يارسول الله اسْتَشْهَدْ أَبِي وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَيْنًا فَقَالَ: (أَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ؟) قلت: بلى يارسول الله قَالَ: (مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَإِنَّ اللَّهَ أَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا فَقَالَ: يَا عَبْدِي! تَمَنَّيَ أَنْ أُعْطِكَ قَالَ: تُحْبِبُنِي فَأُقْتَلَ قَتْلَةً ثَانِيَةً قَالَ اللَّهُ: إِنِّي فَضَيْتُ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} .

ﷺ ما جاء في "صحيح مسلم": عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا يَعْدِلُ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ ... «مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللَّهِ، لَا يَفْتَرُّ مِنْ صِيَامٍ، وَلَا صَلَاةٍ، حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى»

ﷺ ما جاء في صحيح مسلم: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((يُرْفَعُ بِهَا الْعَبْدُ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ))، قَالَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

السَّابِعُ وَالْعَشْرُونَ مِنْ شَعْبِ الْإِيمَانِ

المرباط في سبيل الله عز وجل

لَقَوْلِهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} {ال عمران} ولحديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه في صحيح البخاري: "رباط يوم في سبيل الله عز وجل خير من الدنيا وما فيها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها" والمرباطة تنزل من الجهاد والقتال: "منزلة الإعتكاف في المساجد من الصلاة لأن المرباط يقيم في وجه العدو مثل قيامه متأهباً مستعداً له".

◀ قوله: "المرباط في سبيل الله عز وجل"

قال ابن حجر: الرِّبَاطُ بِكَسْرِ الرَّاءِ وبِالْمَوْحَدَةِ الْخَفِيفَةِ مُلَازِمَةُ الْمَكَانِ الَّذِي بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْكَفَّارِ لِحِرَاسَةِ الْمُسْلِمِينَ.

وَفِي النَّهَائَةِ: الرِّبَاطُ فِي الْأَصْلِ الْإِقَامَةُ عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ بِالْحَرْبِ وَارْتِبَاطُ الْخَيْلِ وَإِعْدَادُهَا، وَالْمُرَابَطَةُ أَنْ يَرْبِطَ الْفَرِيقَانِ خِيُوهُنَهُمْ فِي ثَغْرِ كُلِّ مِنْهُمَا مُعِدَّةً لِصَاحِبِهِ، وَأَصْلُهُ الْحَبْسُ؛ كَأَنَّ الرِّبَاطَ حَبَسَ نَفْسَهُ. (١)

◀ وَقَوْلُهُ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا}

قال ابن كثير: قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ: أُمِرُوا أَنْ يَصْبِرُوا عَلَى دِينِهِمُ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللَّهُ هُمْ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ، فَلَا يَدْعُوهُ لِسَرَاءٍ وَلَا لَضُرَاءٍ وَلَا لَشِدَّةٍ وَلَا لِرِخَاءٍ، حَتَّى يَمُوتُوا مُسْلِمِينَ، وَأَنْ يُصَابِرُوا الْأَعْدَاءَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ دِينَهُمْ. وَكَذَلِكَ قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ عُلَمَاءِ السَّلَفِ.

(١) فتح الباري لابن حجر (٦ / ٨٥)

وَأَمَّا الْمُرَابِطَةُ :

قيل : فَهِيَ الْمُدَاوَمَةُ فِي مَكَانِ الْعِبَادَةِ وَالثَّبَاتِ . وَقِيلَ : انْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، قَالَه "مُجَاهِدٌ وَابْنُ عَبَّاسٍ ، وَغَيْرُهُمْ .

والمرابطة وقيل : وهي لزوم المحل الذي يخاف من وصول العدو منه ، وأن يراقبوا أعداءهم ، ويمنعوهم من الوصول إلى مقاصدهم . (١)

من فضائل المrabطة :

١ / رباط يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا .

« عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا وَمَوْضِعُ سَوْطٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا وَالرُّوحَةُ يَرُوحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ الْغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا .
قَوْلُهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - " خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا " وَجَهَانِ :

أَحَدُهُمَا : أَنْ يَكُونَ مِنْ بَابِ تَنْزِيلِ الْمَغِيبِ مَنَزَلَةَ الْمُحْسُوسِ ، تَحْقِيقًا لَهُ ، وَتَثْبِيتًا فِي النُّفُوسِ فَإِنَّ مَلِكَ الدُّنْيَا ، وَنَعِيمَهَا ، وَلَذَاتَهَا مُحْسُوسَةٌ ، مُسْتَعْظَمَةٌ فِي طِبَاعِ النُّفُوسِ فَحَقَّقَ عِنْدَهَا أَنَّ ثَوَابَ الْيَوْمِ الْوَاحِدِ فِي الرِّبَاطِ - وَهُوَ مِنَ الْمَغِيبَاتِ - خَيْرٌ مِنَ الْمُحْسُوسَاتِ الَّتِي عَهْدَتْموها مِنْ لَذَاتِ الدُّنْيَا .
وَالثَّانِي : أَنَّهُ قَدْ اسْتَبْعَدَ بَعْضُهُمْ أَنْ يُوَازَنَ شَيْءٌ مِنْ نَعِيمِ الْآخِرَةِ بِالدُّنْيَا كُلِّهَا ، فَحَمَلَ الْحَدِيثَ أَوْ مَا هُوَ مَعْنَاهُ : عَلَى أَنَّ هَذَا الَّذِي رُتِبَ عَلَيْهِ الثَّوَابُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا كُلِّهَا .

" وَالْغَدْوَةُ " بَفَتْحِ الْغَيْنِ : السَّيْرُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَى الزَّوَالِ " وَالرُّوحَةُ " مِنْ الزَّوَالِ إِلَى اللَّيْلِ وَاللَّفْظُ مُشْعِرٌ بِأَنَّهَا تَكُونُ فِعْلًا وَاحِدًا ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ قَدْ يَقَعُ عَلَى الْيَسِيرِ وَالْكَثِيرِ مِنْ الْفِعْلِ الْوَاقِعِ فِي هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ فِيهِ زِيَادَةٌ تَرْغِيبٍ ، وَفَضْلٌ عَظِيمٌ . (١)

(١) تفسير ابن كثير - تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٦٢)

٢/ أجر عمله لا ينقطع بعد موته.

﴿رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ﴾

▽ قال النووي :

هَذِهِ فَضِيلَةٌ ظَاهِرَةٌ لِلْمُرَابِطِ وَجَرَيَانِ عَمَلِهِ عَلَيْهِ بَعْدَ مَوْتِهِ فَضِيلَةٌ مُحْتَصَّةٌ بِهِ لَا يُشَارِكُهُ فِيهَا أَحَدٌ وَقَدْ جَاءَ صَرِيحًا فِي غَيْرِ مُسْلِمٍ كُلِّ مَيِّتٍ يُحْتَمُّ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الْمُرَابِطَ فَإِنَّهُ يُنَمَّى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَأُجْرِي عَلَيْهِ رِزْقُهُ) مُوَافِقٌ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الشَّهَدَاءِ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْزُقُونَ .

٣/ أنه يأمن من فتنة القبر.

﴿رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأَمِنْ

الْفَتَنِ﴾ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أَمِنْ الْفَتَنِ) وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ أَوْ مِنْ مَنْ فَتَّانِي

الْقَبْرِ. أَيِ سُؤَالِ الْمَلِكِينَ. (٢)

﴿قوله : "والمرابطة تنزل من الجهاد والقتال منزلة الإعتكاف في المساجد من الصلاة لأن المرباط

يُقيم في وجه العدو مثل قيامه متأهباً مستعداً له"

◉ ألف شيخ الإسلام في هذه المسألة : كتاب سماه (المرابطة بالثغور أفضل أم المجاورة بمكة

شرفها الله تعالى)

﴿قال فيه : جنس المrabطة أفضل من جنس المجاورة بالحرمين كما اتفق عليه الأئمة. فإذا كانت

نية العبد في هذا خالصة، ونيته في هذا خالصة ولم يكن ثمة عمل مفضل، يفضل به أحدهما،

^(١) (إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (٢/ ٣٠١)

^(٢) (شرح النووي على مسلم (١٣/ ٦١)

فالمرابطة أفضل؛ فإنها من جنس الجهاد، وتلك من جنس الحج وجنس الجهاد أفضل من جنس الحج،

ومما يدل على ذلك:

﴿ما جاء في "صحيح مسلم" عن النعمان قال: "كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رجل: لا أبالي ألا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج. وقال آخر: إلا أن أعمر المسجد الحرام. وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتهم فزجرهم عمر بن الخطاب، وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يوم الجمعة، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه فأنزل الله {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} الآية (التوبة: ١٩).

﴿قال أبو هريرة: "موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود" وصحح إسناده الألباني في "الصحيحة" (١٠٦٧).

﴿- مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم بآيات الله لا يفتر عن صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله" هذا لفظ مسلم.

الثَّامِنُ وَالْعَشْرُونَ مِنْ شُعْبِ الْإِيمَانِ

الثَّبَاتُ لِلْعَدُوِّ وَتَرْكُ الْفِرَارِ مِنَ الرَّخْفِ

لَقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا} {الأنفال ٤٥}

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ} * وَمَنْ يُؤَلِّمُ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ {وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ} . {الأنفال ٦٥-٦٦}

وَلِحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي صَحِيحٍ: "الْبُخَارِيُّ لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُّوْا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ"

◀ قوله " الثَّبَاتُ لِلْعَدُوِّ وَتَرْكُ الْفِرَارِ مِنَ الرَّحْفِ "

حكم الْفِرَارِ وَالتَّوَلَّى مِنَ الرَّحْفِ: مِنَ الْكِبَائِرِ الْمُحَرَّمَاتِ. وَقَدْ ذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى أَنَّ

الْفِرَارَ مِنْ مُوجِبَاتِ الْفُسْقِ. لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ} (١)

◀ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِتْنَةً فَابْتُئُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ* {.

قال السعدي :

يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِتْنَةً} أي: طائفة من الكفار تفاتلكم.

{فَابْتُئُوا} لقاتلها، واستعملوا الصبر وحبس النفس على هذه الطاعة الكبيرة، التي عاقبتها العز

والنصر. واستعينوا على ذلك بالإكثار من ذكر الله {لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} أي: تدركون ما تطلبون من

الانتصار على أعدائكم، فالصبر والثبات والإكثار من ذكر الله من أكبر الأسباب للنصر. (٢)

◀ وقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ* وَمَنْ يُولِهِمْ

يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}

قال ابن كثير :

يَقُولُ تَعَالَى مُتَوَعِّدًا عَلَى الْفِرَارِ مِنَ الرَّحْفِ بِالنَّارِ لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ

كَفَرُوا زَحَفًا" أَيُّ تَقَارَبْتُمْ مِنْهُمْ وَدَنَوْتُمْ إِلَيْهِمْ فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ أَيُّ تَفَرُّوْا وَتَتْرُكُوا أَصْحَابَكُمْ

وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}

(١) نيل الأوطار (٧/ ٢٩٧)

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٢٢)

ثُمَّ يَكْرَهُ عَلَيْهِ فَيَقْتُلُهُ فَلَا بَأْسَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ نَصَّ عَلَيْهِ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ وَالسُّدِّيُّ، وَقَالَ الصَّحَّاحُ أَنَّ
يَتَقَدَّمُ عَنْ أَصْحَابِهِ لِيَرَى غُرَّةً مِنَ الْعَدُوِّ فَيُصِيبُهَا أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِتْنَةٍ أَيْ فَرَّ مِنْ هَاهُنَا إِلَى فِتْنَةٍ أُخْرَى
مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَعَاوَنُهُمْ وَيَعَاوَنُونَهُ فَيَجُوزُ لَهُ ذَلِكَ حَتَّى لَوْ كَانَ فِي سَرِيَّةٍ فَفَرَّ إِلَى أَمِيرِهِ أَوْ الْإِمَامِ
الْأَعْظَمِ دَخَلَ فِي هَذِهِ الرُّخْصَةِ.

❦ قوله: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا...} .

❦ قال ابن كثير :

يُحَرِّضُ تَعَالَى نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ وَمُنَاجَزَةِ الْأَعْدَاءِ وَمُبَارَزَةِ الْأَقْرَانِ،
وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ حَسْبُهُمْ أَيْ كَافِيهِمْ وَنَاصِرُهُمْ وَمُؤَيِّدُهُمْ عَلَى عَدُوِّهِمْ، وَإِنْ كَثُرَتْ أَعْدَادُهُمْ
وَتَرَادَفَتْ أَمْدَادُهُمْ، وَلَوْ قَلَّ عَدَدُ الْمُؤْمِنِينَ. كَمَا قَالَ لِأَصْحَابِهِ يَوْمَ بَدْرٍ حِينَ أَقْبَلَ الْمُشْرِكُونَ فِي
عَدَدِهِمْ وَعُدَدِهِمْ: «فُؤُومُوا إِلَى جَنَّةِ عَرْضِهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ» فَقَالَ عَمِيرُ بْنُ الْحَمَامِ: عَرْضُهَا
السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: - «نَعَمْ»، فَقَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ: «مَا
يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟» قَالَ: رَجَاءُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا» فَتَقَدَّمَ
الرَّجُلُ، فَكَسَرَ جَنْفَ سَيْفِهِ، وَأَخْرَجَ تَمْرَاتٍ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ أَلْقَى بَقِيَّتَهُنَّ مِنْ يَدِهِ وَقَالَ: لَيْتَنِي
أَنَا حَيِّيتُ حَتَّى أَكُلَهُنَّ إِمَّا حَيَاةً طَوِيلَةً، ثُمَّ تَقَدَّمَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

❦ موقف الصحابة: وروى البخاري عن عطاء عن ابن عباس، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ثَقُلَتْ
عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَأَعْظَمُوا أَنْ يُقَاتِلَ عَشْرُونَ مِائَتِينَ، وَمِائَةً أَلْفًا، فَخَفَّفَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَنَسَخَهَا بِالْآيَةِ
الْأُخْرَى، فَقَالَ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا الْآيَةَ، فَكَانُوا إِذَا كَانُوا عَلَى الشَّطْرِ مِنْ
عَدُوِّهِمْ، لَمْ يَسْغَ لَهُمْ أَنْ يَفِرُّوا مِنْ عَدُوِّهِمْ، وَإِذَا كَانُوا دُونَ ذَلِكَ، لَمْ يَحِبَّ عَلَيْهِمْ قِتَالُهُمْ، وَجَازَ لَهُمْ
أَنْ يَتَحَوَّزُوا عَنْهُمْ. (١)

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية (٤) / ٢٣

التَّاسِعَ وَالْعَشْرُونَ مِنْ شَعْبِ الْإِيمَانِ

الخمس من المغنم إلى الإمام وعمله على الغانمين

لَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ} الآية الأنفال ٤١
 وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} .ال عمران ١٦١

وَلِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، "فِي الصَّحِيحَيْنِ": يَقُولُ: قَدِمَ وَفَدُ عَبْدُ الْقَيْسِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا الْحَيَّ مِنْ رِبِيعَةَ قَدْ حَالَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ كُفَّارٌ مُضَرٌّ، وَلَسْنَا نَخْلُصُ إِلَيْكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، فَمُرْنَا بِشَيْءٍ نَأْخُذْهُ عَنْكَ وَنَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ وَرَاءِنَا، قَالَ: "أَمُرْكُمْ بِأَرْبَعٍ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ - وَعَقْدَ يَدِهِ هَكَذَا - وَإِقَامَ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ، وَأَنْ تُؤَدُّوا خُمُسَ مَا غَنِمْتُمْ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ: الدُّبَاءِ، وَالْحَنْتَمِ، وَالنَّقِيرِ، قَالَ أَحْفَظُوهُمْ وَأَخْبَرُوا بِهِنَ مِنْ وَرَاءِكُمْ"

◀ قوله: (الخمس من المغنم إلى الإمام وعمله على الغانمين)

تعريف الغنيمة:

ذَكَرَ «الْغَنِيْمَةُ، وَالْغَنَمُ، وَالْمَغْنَمُ، وَالْغَنَائِمُ» وَهُوَ مَا أَصِيبَ مِنْ أَمْوَالِ أَهْلِ الْحَرْبِ، وَأَوْجَفَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ بِالْحَيْلِ وَالرِّكَابِ. أَوْ مَا يُوْخَذُ مِنْ أَمْوَالِ الْكُفْرَةِ بِقُوَّةِ الْغَزَاةِ، وَقَهْرِ الْكُفْرَةِ.

تعريف الفىء:

الْفِئَاءُ: وَهُوَ مَا حَصَلَ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ أَمْوَالِ الْكُفَّارِ مِنْ غَيْرِ حَرْبٍ وَلَا جِهَادٍ. (١)

(١) التعريفات (ص: ١٦٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٨٩)

◀ قوله : ((وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ

وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ))

قال السعدي :

يقول تعالى : {وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ} أي : أخذتم من مال الكفار قهرا بحق ، قليلا كان أو كثيرا . {فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ} أي : وباقيه لكم أيها الغانمون ، لأنه أضاف الغنيمة إليهم ، وأخرج منها خمسها . فدل على أن الباقي لهم ، يقسم على ما قسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم : للرجل سهم ، ولل فارس سهمان لفرسه ، وسهم له .

وأما هذا الخمس ، فيقسم خمسة أسهم ، سهم لله ولرسوله ، يصرف في مصالح المسلمين العامة ، من غير تعيين لمصلحة ، لأن الله جعله له ولرسوله ، والله ورسوله غنيان عنه ، فعلم أنه لعباد الله . فإذا لم يعين الله له مصرفا ، دل على أن مصرفه للمصالح العامة .

والخمس الثاني : لذي القربى ، وهم قرابة النبي صلى الله عليه وسلم من بني هاشم وبني المطلب . وأضافه الله إلى القرابة دليلا على أن العلة فيه مجرد القرابة ، فيستوي فيه غنيهم وفقيرهم ، ذكرهم وأنثاهم .

والخمس الثالث لليتامى : وهم الذين فقدت آباؤهم وهم صغار ، جعل الله لهم خمس الخمس رحمة بهم ، حيث كانوا عاجزين عن القيام بمصالحهم ، وقد فقد من يقوم بمصالحهم .

والخمس الرابع للمساكين أي : المحتاجين الفقراء من صغار وكبار ، ذكور وإناث .

والخمس الخامس لابن السبيل : وهو الغريب المنقطع به في غير بلده ، [وبعض المفسرين يقول إن

خمس الغنيمة لا يخرج عن هذه الأصناف ولا يلزم أن يكونوا فيه على السواء بل ذلك تبع

للمصلحة وهذا هو الأولى]

وجعل الله أداء الخمس على وجهه شرطاً للإيمان فقال: {إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْقُرْآنِ} وهو يوم {بدر} الذي فرق الله به بين الحق والباطل. وأظهر الحق وأبطل الباطل. (١)

❖ وقوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} .

(الغلول) بِضَمِّ الْمُعْجَمَةِ وَاللَّامِ أَيِ الْحَيَاةِ فِي الْمَغْنَمِ. قَالَ بَن قُتَيْبَةَ: "سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّا أَخَذَهُ يَغْلُهُ فِي مَتَاعِهِ أَيْ يُخْفِيهِ فِيهِ" وَنَقَلَ النُّوَوِيُّ الْإِجْمَاعَ عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْكِبَائِرِ. قَوْلُهُ: (وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) .

❧ قال ابن كثير :

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: اتَّهَمَ الْمُتَأَفِّفُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَيْءٍ فَقَدْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَرُويَ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ نَحْوُ مَا تَقْدِمُ، وَهَذَا تَنْزِيهِ لِه صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ وُجُوهِ الْحَيَاةِ فِي أَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَقَسَمَ الْغَنِيمَةَ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ "وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ" أَيُّ بَأْنٍ يَقْسِمَ لِبَعْضِ السَّرَايَا وَيَتْرُكُ بَعْضًا. (٢)

❧ ومن الأدلة في تحريم الغلول من الغنيمة :

مَاجَاءَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أَهْدَى رِفَاعَةُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غُلَامًا فَخَرَجَ بِهِ مَعَهُ إِلَى خَيْبَرَ فَأَتَى الْغُلَامَ سَهْمٌ عَزْبٌ فَقَتَلَهُ فَقُلْنَا: هَنِيئًا لَهُ الْجَنَّةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ الشَّمْلَةُ لَتَحْتَرِقَ عَلَيْهِ الْآنَ فِي النَّارِ غُلَّهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ خَيْبَرَ) فَقَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصَبْتُ - يَوْمَئِذٍ - شَرَاكِينَ قَالَ: (يُعَدَّدُ لَكَ مِثْلُهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ) صححه الألباني.

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٢١)

(٢) تفسير ابن كثير ط العلمية (٢/ ١٣٢) فتح الباري لابن حجر (٦/ ١٨٥)

وما جاء عن ابن عباس قال: حدثني عمر قال: لما كان يوم خيبر أقبل نفر من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: فلان شهيد وفلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا: فلان شهيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلا إني رأيته في النار في بردة غلها أو عباءة» ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا ابن الخطأ اذهب فناد في الناس: أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ثلاثاً" قال: فخرجت فناديت: ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ثلاثاً. رواه مسلم

◀ ولقوله صلى الله عليه وسلم: "...وَتُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمْسَ،..."

(تعطوا من المغنم الخمس) أي تدفعوا خمس ما تغنمون في الجهاد للإمام ليصرفه في مصارفه الشرعية. (١)

الثلاثون من شعب الإيمان

العتق بوجه التقرب إلى الله عز وجل

لِقَوْلِهِ تَعَالَى: { فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُ رَقَبَةً } . الْبَلَدُ ١١ .

ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين: "من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضواً من أعضائه من النار حتى فرجه بفرجه"

◀ قوله: "العتق"

الخُرُوجُ مِنَ الْمَمْلُوكِيَّةِ، يُقَالُ: أَعْتَقَ الْعَبْدُ عِتْقًا وَعِتَاقًا وَعِتَاقَةً وَهُوَ عَيْتُقٌ وَأَعْتَقَهُ مَوْلَاهُ. (٢)

◀ قوله تعالى: { فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُ رَقَبَةً } . الْبَلَدُ ١١ .

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١/ ١١٨)

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٦/ ٢٢١٢)

قَالَ قَتَادَةُ: إِنَّمَا عَقَبَةُ قَحْمَةٍ شَدِيدَةٍ فَاقْتَحَمُوهَا بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى. وَقَالَ قَتَادَةُ: وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ افْتِحَامِهَا فَقَالَ فَكُ رَقَبَةً أَوْ إِطْعَامًا وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ فَلَا اقْتِحَمَ الْعَقَبَةَ أَيُّ: أَفَلَا سَلَكَ الطَّرِيقَ الَّتِي فِيهَا النِّجَاةُ وَالْخَيْرُ ثُمَّ بَيَّنَّهَا، فَقَالَ تَعَالَى: وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُ رَقَبَةً أَوْ إِطْعَامًا قَرِئَ فَكُ رَقَبَةً بِالْإِصْافَةِ. (١)

❖ وَلِحَدِيثٍ: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ إِرْبٍ - أَيِ عَضْوٍ - مِنْهَا إِرْبًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ حَتَّى إِنَّهُ لَيُعْتَقُ بِالْيَدِ الْيَدَ وَبِالرَّجْلِ الرَّجْلَ وَبِالْفَرْجِ الْفَرْجَ» .

❖ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ: أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؟ فَقَالَ سَعِيدٌ: نَعَمْ. فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ لِعِلَّامٍ لَهُ أَفَرَهُ غُلَامَانِهِ: ادْعُ مُطَرَفًا، فَلَمَّا قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ: اذْهَبْ فَأَنْتَ حُرٌّ لِرُؤُوسِهِ اللَّهِ، وَقَدْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ .

وَعِنْدَ مُسْلِمٍ: "أَنَّ هَذَا الْعِلَّامُ الَّذِي أَعْتَقَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ زَيْنُ الْعَابِدِينَ كَانَ قَدْ أُعْطِيَ فِيهِ عَشْرَةٌ آلَافٍ دِرْهَمًا".

❖ قَالَ النُّووي :

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيَانُ فَضْلِ الْعِتْقِ وَأَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ وَمِمَّا يَخْصُلُ بِهِ الْعِتْقُ مِنَ النَّارِ وَدُخُولُ الْجَنَّةِ وَفِيهِ اسْتِحْبَابُ عِتْقِ كَامِلِ الْأَعْضَاءِ فَلَا يَكُونُ خَصِيًّا وَلَا فَاقِدَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَعْضَاءِ وَفِي الْحَقِصِيِّ وَغَيْرِهِ أَيْضًا الْفَضْلُ الْعَظِيمُ لَكِنَّ الْكَامِلَ أَوَّلَى وَأَفْضَلُهُ أَعْلَاهُ ثُمَّ أَنْفُسُهُ.

❖ وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ:

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: فِيهِ: يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْمُعْتَقُ كَامِلَ الْأَعْضَاءِ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ نَاقِصَ الْأَعْضَاءِ بَعُورًا أَوْ شَلَلًا وَشَبَهَهُمَا، وَلَا مَعِيًا بِعَيْبٍ يَضُرُّ بِالْعَمَلِ وَيَخْلُ السَّعْيَ وَالْاِكْتِسَابَ. (٢)

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية (٨ / ٣٩٥)

(٢) شرح النووي على مسلم (١٠ / ١٥١)

كما جاء في فضل العتق :

«وَعَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ أَبِي نَجِيحٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: أَيُّهَا مُسْلِمُ! أَعْتَقْ رَجُلًا مُسْلِمًا فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ وَفَاءً كُلَّ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهِ عَظْمًا مِنْ عِظَامِهِ مُحَرَّرًا مِنَ النَّارِ، وَأَيُّهَا امْرَأَةُ! أَعْتَقِي امْرَأَةً مُسْلِمَةً فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ وَفَاءً كُلَّ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهَا عَظْمًا مِنْ عِظَامِهَا مِنَ النَّارِ»

«قَالَ أَبُو ذَرٍّ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: (إِيْمَانٌ بِاللَّهِ، وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ)، قُلْتُ: فَأَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: (أَعْلَاهَا ثَمَنًا، وَأَنْفُسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا)، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: (تُعِينُ ضَائِعًا، أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقٍ)، قَالَ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: (تَدْعُ النَّاسَ مِنَ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ تَتَصَدَّقُ بِهَا عَلَى نَفْسِكَ).

قال المهلب: قوله: (أعلاها ثمنًا وأنفسها عند أهلها)

فمعنى ذلك أن من اشتراها بكثير الثمن، فإنما فعل ذلك لنفاستها عنده، ومن أعتق رقبة نفيسة عنده وهو مغتبط بها، فلم يعتقها إلا لوجه الله.

❖ وهذا الحديث في معنى قوله:

(لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وكان لابن عمر جارية يحبها فأعتقها لهذه الآية، ثم ابتعتها نفسه، فأراد أن يتزوجها فمنعه بنوه، فكان بعد ذلك يقرب بنيتها من غيره لمكانها من قلبه. وقوله: (تعين ضائعًا)، أي تعين فقيرًا، (أو تصنع لأخرق)، يعني عاملاً لا يستطيع عمل ما يحاوله، والخرق لا يكون إلا في اليدين، وهو الذي لا يحسن الصناعات. (١)

ما جاء عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، قالت: «كُنَّا نَوْمُرُ عِنْدَ الْحُسُوفِ بِالْعَتَاقَةِ» وفي رواية: «أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْعَتَاقَةِ فِي كُسُوفِ الشَّمْسِ» أخرجه البخاري.

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٦/ ٢٢١٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٧/ ٣٥)

الحادي والثلاثون من شعب الإيمان

الكفارات الواجبات بالجنايات

وهي بالكتاب والسنة أربع كفارات كفارة القتل، وكفارة الظهار وكفارة اليمين، وكفارة المسيس في صوم رمضان، ومما يقرب منها ما يجب باسم الفدية لأنها إما عن ذنب سبق أو يُراد به التقرب إلى الله تعالى بشيء يعني إثر امر قد وقع ذنباً كان أو غير ذنب.

«الكفارات الواجبات بالجنايات»

الكفارة سميت بذلك اشتقاقاً من الكفر، وهو الستر؛ لأنها تستر الذنب وتغطيته.

«كفارة القتل»

والدليل على وجوب كفارة القتل الكتاب والسنة والإجماع.

لله قال الله تعالى: {وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا}

إلى قوله تعالى: {فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً}

لهم وروي أن سويد بن الصامت قتل رجلاً، فأوجب النبي صلى الله عليه وسلم عليه القود، ولم

يوجب كفارة، وعمرو بن أمية الضمري قتل رجلين عمداً، فوداهما النبي صلى الله عليه وسلم،

ولم يوجب عليه كفارة، ولأن الكفارة وجبت في الخطأ لتمحو إثمه؛ لكونه لا يخلو من تفريط؛ فلا

تلزم في موضع عظم الإثم فيه؛ بحيث لا يرتفع بها.

❦ وإنما تجب الكفارة في القتل الخطأ وشبه العمد، وأما القتل العمد العدوان؛ فلا كفارة فيه؛

لقوله تعالى: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ

عَذَاباً عَظِيماً} ، ولم يذكر فيه كفارة.

❖ فائدة : وتتعدد الكفارة بتعدد القتل كتعدد الدية بتعدد القتل، فلو قتل عدة أشخاص؛ وجبت عليه عدة كفارات بعددهم.

وإن كان القتل مباحا كقتل الباغي والمردد والزاني المحصن والمقتول قصاصا أو حداً أو لأجل الدفاع عن النفس؛ فلا كفارة في تلك كله؛ لعدم حرمة المقتول.

❖ تنبيه:

قال العلامة الفوزان: أداء كفارة القتل مما يتساهل فيه بعض الناس اليوم، خصوصاً في حوادث السيارات التي تذهب فيها أنفس كثيرة؛ فقد يستثقل من تحمل المسؤولية في ذلك الصيام، ولا سيما إذا تعددت عليه الكفارات؛ فلا يصوم، وتبقى ذمته مشغولة، كما أن هناك ظاهرة أخرى، وهي أن عاقلة القاتل لا تتحمل دية الخطأ، وإن تحمل أحد منهم شيئاً منها؛ فإنه يظنه من باب التبرع، ولذلك نرى بعض من حصل منهم القتل الخطأ يسألون الناس سداد الدية، وهذا تعطيل لحكم شرعي عظيم، أدى إلى جهل الكثير به. (١)

❖ وَكَفَّارَةُ الظَّهَارِ:

الظهار يراد به: أن يقول الرجل لزوجته إذا أراد الامتناع من الاستمتاع بها: أنت علي كظهر أمي، أو أختي، أو من تحرم عليه بنسب أو رضاع أو مصاهرة؛ فمتى شبه زوجته بمن تحرم عليه أو ببعضها؛ ظاهر منها.

وحكمه: أنه محرم؛ لقوله تعالى: {الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُم مِّنْ نِّسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا} ؛ وكان الظهار طلاقاً في الجاهلية، فلما جاء الإسلام؛ أنكره، واعتبره يمينا مكفرة؛ فيحرم على المظاهر والمظاهر منها استمتاع كل منهما بالآخر قبل أن يكفر الزوج عن ظهاره بجماع ودواعيه؛

(١) الملخص الفقهي (٢/ ٥١٤)

لقوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا} الآيات، وقال النبي صلى الله عليه وسلم للمظاهر: "لا تقربها حتى تفعل ما أمرك الله به"، صححه الترمذي.

فيلزم المظاهر إذا عزم على وطء المظاهر منها أن يخرج الكفارة قبله؛ لقوله تعالى: {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَمُ تُوَعْظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} {فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا} ، فدللت الآيتان الكريمتان على وجوب كفار الظهار بوطء المظاهر منها، وأنه يلزم إخراجها قبل الوطء عند العزم عليه، وأن تحريم زوجته عليه باق حتى يكفر، وهذا قول أكثر أهل العلم.

❦ وكفارة الظهار تحب على الترتيب:

عتق رقبة، فإن لم يجد الرقبة أو لم يجد ثمنها؛ صيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع الصيام لمرض ونحوه؛ أطعم ستين مسكين .

ويشترط في الرقبة أن تكون مؤمنة؛ لقوله تعالى في كفارة القتل: {وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ} ، فيقاس عليها كفارة الظهار، وحملًا للمطلق على المقيد، ويشترط في الرقبة أيضا أن تكون سليمة من العيوب التي تضر بالعمل ضررًا بين .

ويشترط لصحة التكفير بالصوم:

أولاً: أن لا يقدر على العتق.

ثانياً: أن يصوم شهرين متتابعين؛ بأن لا يفصل بين أيام الصيام وبين الشهرين إلا بصوم واجب؛ كصوم رمضان، أو إفطار للعيد وأيام التشريق، أو الإفطار لعذر يبيحه؛ كالسفر والمرض؛ فالإفطار في هذه الأحوال لا يقطع التتابع.

ثالثاً: أن ينوي الصيام من الليل عن الكفارة.

وإن كفر بالإطعام؛ اشترط لصحة ذلك:

أولاً: أن لا يقدر على الصيام.

ثانياً: أن يكون المسكين المطعم مسلماً حراً يجوز دفع الزكاة إليه.

ثالثاً: أن يكون مقدار ما يدفع لكل مسكين لا ينقص عن مد من البر ونصف صاع من غيره. ويشترط لصحة التكفير عموماً: النية؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: "إنما الأعمال بالنيات، وإنها لكل أمرىء ما نوى".

◀ كفارة اليمين:

قال الله تعالى: {قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ} .

وفي "الصحيحين" عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال: "إذا حلفت على يمين، فرأيت غيرها خيراً منها؛ فأت الذي هو خير، وكفر عن يمينك".

● وكفارة اليمين فيها تخيير وفيها ترتيب:

فيخير من لزمته بين إطعام عشرة مساكين لكل مسكين نصف صاع من الطعام، أو كسوة عشرة مساكين لكل واحد منهم ثوب يجزئه في صلاته، أو عتق رقبة مؤمنة سليمة من العيوب، فمن لم يجد شيئاً من هذه الثلاثة المذكورة؛ صام ثلاثة أيام.

فتبين بهذا التفصيل أن كفارة اليمين تجمع تخييراً وترتيباً؛ تخييراً بين الإطعام والكسوة والعتق، وترتيباً بين ذلك وبين الصيام.

والدليل على هذا قول الله تعالى: {فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ} .

ومعنى الآية الكريمة: إجمالاً أن كفارة ما عقدتم من الأيمان إذا حنثتم فيها: إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم؛ أي: من خير وأمثل قوت عيالكُم، أو كسوتهم مما يصح أن يصلى

فيه، أو عتق رقبة، واشترط الجمهور كونها مؤمنة، وقد بدأ سبحانه وتعالى بالأسهل؛ فأَي هذه الخصال فعل؛ أجزأه بالإجماع.

واشترط الجمهور في صيام ثلاثة الأيام أن تكون متتابعة؛ لقراءة عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه: {فصيام ثلاثة أيام متتابعة} ومن أهل العلم لا يشترط المتتابع.

وهنا يغلط كثير من العوام، فيظنون أنهم يخبرون بين الصيام وبين بقية خصال الكفارة، فيصومون، مع قدرتهم على الإطعام أو الكسوة، والصيام في هذه الحالة لا يجزئهم ولا يرىء ذمتهم من كفارة اليمين؛ لأنه لا يجزىء إلا عند العجز عن الإطعام أو الكسوة أو العتق؛ فيجب التنبيه لمثل هذا الأمر.

فائدة: آخرها؛ كانت مكفرة له. ولأبي داود: "فكفر عن يمينك، ثم ائت الذي هو خير"؛ فدل هذا الحديث على جواز تقديم الكفارة على الحنث، فدلّت الأحاديث على جواز التقديم والتأخير. وإن كرر الأيمان قبل التكفير على فعل واحد، موجبها واحد، ثم حنث فيها؛ فعليه كفارة واحدة. أما إذا حلف عدة أيمان علو عدة أفعال، ثم حنث فيها؛ فعليه كفارة لكل يمين. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إذا حلف على إنسان قاصداً إكرامه؛ لا يحنث مطلقاً؛ إلا إذا كان قاصداً إلزامه؛ فإنه يحنث ... " انتهى.

✽ سئل الشيخ ابن باز في "مجموع الفتاوى": من كفارة اليمين إطعام عشرة مساكين، فهل يجوز إطعام واحد منهم الآن والآخر بعد أسبوع؛ لأنه قد لا يوجد عشرة مساكين دفعة واحدة؟ وهل إذا أطعمت واحداً عشر مرات أكون أطعمت عشرة مساكين؟

الجواب: يجب التماس العشرة، فإذا أطعمت واحداً وكررت ذلك لا يكفي، فلا بد من عشرة فلا بد من التماس العشرة ولو تعددت الأيام، لكن تجب المبادرة حسب الإمكان، ولو كان إطعامهم متفرقا في أيام فلا بأس، ولكن عليك أن تحتهد وتلتمس عشرة وتبادر باخراج الكفارة، أو تكسوهم كسوة تجزؤهم في الصلاة، تغديهم أو تعشيهم.

◀ قوله "كَفَّارَةُ الْمَسِيْسِ فِي صَوْمِ رَمَضَانَ"

متى جامع الصائم زوجته في نهار رمضان ؛ بطل صيامه، ولزمه قضاء ذلك اليوم الذي جامع فيه، ويجب عليه مع قضاائه الكفارة، هي:

عتق رقبة، فإن لم يجد الرقبة أو لم يجد قيمتها؛ فعليه أن يصوم شهرين متتابعين، فإن لم يستطع صيام شهرين متتابعين؛ بأن لم يقدر على ذلك لعذر شرعي؛ فعليه أن يطعم ستين مسكيناً، لكل مسكين نصف صاع من الطعام المأكول في البلد.

والدليل ما جاء في الصحيحين: " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْتُ. قَالَ: «مَا لَكَ؟» قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ تَحِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ»، قَالَ: لَا، فَقَالَ: «فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مَسْكِينًا». قَالَ: لَا، قَالَ: فَمَكَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ - وَالْعَرَقُ الْمَكْتَلُ - قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ؟» فَقَالَ: أَنَا، قَالَ: «خُذْهَا، فَتَصَدَّقْ بِهِ» فَقَالَ الرَّجُلُ: أَعَلَى أَفْقَرِ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَوَاللَّهِ مَا يَبْنِي لَابْتِيهَا - يُرِيدُ الْحَرَّتَيْنِ - أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ» متفق عليه .

❖ تنبيهه: سئل فضيلة الشيخ العثيمين - رحمه الله تعالى -: ما حكم من جامع امرأته في نهار رمضان؟ فأجاب فضيلته بقوله: إن كان ممن يباح له الفطر ولها، كما لو كانا مسافرين فلا بأس في ذلك حتى وإن كانا صائمين، أما إذا كانا مما لا يحل له الفطر فإنه حرام عليه وهو آثم، وعليه مع القضاء عتق رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً، وزوجته مثله إن كانت مطاوعة، أما إن كانت مكرهة فلا شيء عليها.

الثاني والثلاثون من شعب الإيمان

الإيفاء بالعقود

لَقَوْلِهِ تَعَالَى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ } . المائدة ١

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَعْنِي مَا أَحَلَّ اللَّهُ وَمَا حَرَّمَ وَمَا فَرَضَ وَمَا حَدَّثَ فِي الْقُرْآنِ كُلِّهِ

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: { يُؤْفُونَ بِالنَّذْرِ } الإنسان ٧.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: { وَلْيُوفُوا نَذْوَرَهُمْ } الحج ٢٩.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: { وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهُ { التَّوْبَةَ ٧٥.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: { وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا }

وَلِحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ: " وَلِكُلِّ غَادِرٍ لِّوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

يُقَالُ هَذِهِ غَدْرَةٌ فَلَان "

وَحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ: " أَرْبَعٌ مِّنْ كُنْ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا

وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خُصْلَةٌ مِنْهُمْ كَانَتْ فِيهِ خُصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا إِذَا حَدَّثَ كَذِبًا، وَإِذَا عَاهَدَ

غَدَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ "

وَحَدِيثِ عَقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: " إِنْ أَحَقَّ الشُّرُوطُ أَنْ يُوفَى بِهِ مَا اسْتَحْلَلْتُمْ بِهِ

الْفُرُوجَ "

◀ قَوْلُهُ تَعَالَى: ((يُؤْفُونَ بِالنَّذْرِ))

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ((وَلْيُوفُوا نَذْوَرَهُمْ))

النذر لغة: الإيجاب، تقول: نذرت كذا: إذا أوجبت على نفسك.

وتعريفه شرعا: إلزام مكلف مختار نفسه شيئا لله تعالى.

*أنواع النذر وحكم كل نوع :

● نذر طاعة: وهو على قسمين :

القسم الأول: نذر مطلق:

وهو الذي يكون لغير شرط ، كأن يقول الله علي صوم كذا وكذا . وهذا يجب الوفاء به ، إذا كان مُستطاعاً وإلا كفر كفارة يمين .

القسم الثاني: نذر مقيد:

وهو الذي يكون بمقابل و شرط : كأن يلزم نفسه بطاعة مقابل نعمة يرجوا الحصول عليها ، أو نعمة يرجوا استدفاعها كقوله : إن شفاني الله فله علي صوم شهر ، أو إن ربحت في تجارتي علي التصديق بكذا .

● حكمه : وهذا النوع لا يجب الوفاء به إلا إذا تحقق الأمر الذي نذر من أجله من حصول المرغوب ، أو دفع المكروه أو رفعه ، وهذا قول جمهور العلماء .

● نذر المعصية : وحكمه أنه لا يجوز الوفاء به :

قال ابن قدامة : نذر المعصية لا يحل الوفاء به بالإجماع . اهـ .
واختلف أهل العلم في وجوب الكفارة عليه .
للراجح أن عليه الكفارة .

قال ابن عثيمين : وما دام أنه نذر فقد انعقد ؛ لأنه ألزم نفسه به ، ولا يمكن أن يوفي به ؛ لأنه معصية .
وحينئذ يكون نذر نذرًا لم يوفه فعلية الكفارة ؛ كما لو حلف أن يفعل معصية فإننا نقول له لا تفعلها وعليه كفارة يمين . اهـ .

ومن أدلتهم حديث ابن عباس مرفوعاً : ((النذر نذران : فما كان لله فكفارته الوفاء ، وما كان للشيطان ، فلا وفاء فيه ، وعليه كفارة يمين)) . صححه الألباني

وهذا القول هو الراجح ، وعليه فتوى الصحابة والله أعلم .

❁ نذر المكروه :

مثل أن ينذر أن يطلق زوجته : قال ابن قدامة : فإن نذر مكروهاً كالطلاق استحَبَّ أن يكفر ولا يفعلهُ ؛ لأن ترك المكروه أولى من فعله ، فإن فعله فلا كفارة عليه . اهـ

❁ نذر المباح :

قال ابن قدامة : المباح كلبس الثوب وركوب الدابة فهذا يتخير الناظر فيه بين فعله فيبر بذلك ، وإن شاء تركه وعليه كفارة يمين . اهـ

❁ نذر اللجاج والغضب :

مثل أن يقول : إن فعلت كذا فلله علي نذر أن أصوم سنة ، وغرضه أن يمنع نفسه من ذلك . فهذا يُسميه العلماء نذر اللجاج والغضب ، وإن لم يكن فيه لجاج أو غضب .
قال ابن قدامة : نَذَرَ اللَّجَاجِ وَالْغَضَبِ ، وَهُوَ الَّذِي يُخْرِجُهُ مَخْرَجَ الْيَمِينِ ، لِلْحَثِّ عَلَى فِعْلِ شَيْءٍ أَوْ الْمُنْعِ مِنْهُ ، غَيْرَ قَاصِدٍ بِهِ لِلنَّذْرِ ، وَلَا الْقُرْبَةِ ، فَهَذَا حُكْمُ حُكْمِ الْيَمِينِ . اهـ
❁ النَّذْرُ الْمُبْهَمُ :

قال ابن قدامة : وَهُوَ أَنْ يَقُولَ : اللَّهُ عَلَى نَذْرٍ . فَهَذَا تَجِبُ بِهِ الْكَفَّارَةُ ، فِي قَوْلِ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ . وَلَا نَعْرِفُ لَهُمْ فِي عَصْرِهِمْ مُحَالَفًا ، فَيَكُونُ إِجْمَاعًا . اهـ
❁ النذر الشركي :

كأن ينذر أن يذبح للولي الفلاني . وحكم هذا النذر أن الوفاء به شرك أكبر مخرج من الملة .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ومن وقع في هذا النذر الشركي عليه أن يستغفر الله ويتوب إليه ولا يلزمه كفارة لأنه شركي لا حرمة له ولا ينقصد . (١)

❁ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ((وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ)) وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ((وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ)) .

(١) راجع المغني مع الشرح (١٣/٤٤٣) وراجع الممتع (٦/٤٥٤) .

قال ابن كثير: هذا مما يأمر الله تعالى به، وهو الوفاء بالعهود والمواثيق والمحافظة على الأيمان المؤكدة، ولهذا قال: ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها،

كقوله: "ولا تكونوا كآلتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً"

قال عبد الله بن كثير والسدي: هذه امرأة خرقاء كانت بمكة كلما غزلت شيئاً نقضته بعد إبرامه. وقال مجاهد وقتادة وابن زيد: هذا مثل لمن نقض عهده بعد توكيده، وهذا القول أرجح. (١)

ولحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في صحيح البخاري: "ولكل غادر لواء يوم القيامة يقال هذه غدرة فلان"

وجاء عن نافع قال: "حين اتفق أهل المدينة مع ابن الزبير، وخلعوا يزيد بن معاوية، جمع ابن عمر بنه وأهله ثم تشهد، ثم قال: أما بعد فإننا قد بايعنا هذا الرجل على بيعه الله ورسوله، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الغادر يُنصب له لواء يوم القيامة فيقال: هذه غدرة فلان، وإن من أعظم الغدر - إلا أن يكون الإشرak بالله - أن يُبايع رجل رجلاً على بيعه الله ورسوله، ثم ينكث بيعته، فلا يخلعن أحد منكم يداً ولا يسرفن أحد منكم في هذا الأمر، فيكون صيلم بيني وبينه» وسنده صحيح والمرفوع منه في الصحيحين.

شرح الحديث :

الغدر: ضد الوفاء أي الخائن لإنسان عاهده أو أمته. أي: المغتال لذي عهد أو أمان (يُنصب) وفي رواية يرفع (له لواء) أي علم (يوم القيامة) خلفه تشهيرا له بالغدر وإخزاء وتفضيحا على رؤوس الأشهاد (فيقال) أي: ينادي عليه في ذلك المحفل العظيم (ألا) إن (هذه غدرة فلان) أي علامة على غدرة فلان (ابن فلان) ويرفع في نسبه حتى يتميز عن غيره تمييزا تاما وظاهره أن لكل غدرة لواء فيكون للواحد ألوية بعدد غدراته وحكمة نصب اللواء أن العقوبة تقع غالبا بضد الذنب والعذر خفي فاشتهرت عقوبته بإشهار اللواء.

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية (٤/ ٥١٣)

لَقَالَ المناوي : وما أصعب هذا التشهير بالغادر على رؤوس الأشهاد يوم القيامة ! حيث العالم كله مجتمع ، ويرون حالته ، وما هو عليه من التشنيع ، والحزني ، والتوبيخ ، والتعذيب . ولا ريب أن هذه الحالة ، هي أفظع حالة يراها الخلق ؛ لأن الغدر أكبر جريمة ترتكب ، وصاحبه مهان ، ذليل ، حقير ، تستنفر منه الطباع الحساسة ، وتستقبحه العقول السليمة الراقية . (١)

❦ قوله : "أربع من كن فيه كَانَ منافقا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خُصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خُصْلَةٌ مِنَ النَّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ"

قوله : "إِذَا عَاهَدَ غَدَرَ" ، وَلَمْ يَفِ بِالْعَهْدِ ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ ، فَقَالَ : { إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَتْيَا ٩٩ مِنْهُمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أَوْ لَيْتًا لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ }

وَالْغَدْرُ حَرَامٌ فِي كُلِّ عَهْدٍ بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَغَيْرِهِ ، وَلَوْ كَانَ الْمُعَاهِدُ كَافِرًا ، وَلِهَذَا فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدًا بِغَيْرِ حَقِّهَا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ ، وَإِنْ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا » أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ . وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ بِالْوَفَاءِ بِعُهُودِ الْمُشْرِكِينَ إِذَا أَقَامُوا عَلَى عُهُودِهِمْ وَلَمْ يَنْقُضُوا مِنْهَا شَيْئًا . وَأَمَّا عُهُودُ الْمُسْلِمِينَ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، فَالْوَفَاءُ بِهَا أَشَدُّ ، وَنَقْضُهَا أَعْظَمُ إِثْمًا . وَمِنْ أَعْظَمِهَا : نَقْضُ عَهْدِ الْإِمَامِ عَلَى مَنْ تَابَعَهُ ، وَرَضِيَ بِهِ ، وَفِي " الصَّحِيحَيْنِ " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، قَالَ : « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ، فَذَكَرَ مِنْهُمْ : وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا ، فَإِنْ أَعْطَاهُ مَا يُرِيدُ وَفَى لَهُ ، وَإِلَّا لَمْ يَفِ لَهُ » . وَيَدْخُلُ فِي الْعُهُودِ الَّتِي يَجِبُ الْوَفَاءُ بِهَا ، وَيَحْرُمُ الْغَدْرُ فِيهَا : جَمِيعُ عُقُودِ الْمُسْلِمِينَ فِيمَا بَيْنَهُمْ إِذَا تَرَاضَوْا عَلَيْهَا مِنَ الْمُبَايَعَاتِ وَالْمُنَاكَحَاتِ وَغَيْرِهَا مِنْ

(١) فيض القدير - لإتحافات السنية بالأحاديث القدسية . (ص : ٢٣١)

الْعُقُودِ اللَّازِمَةِ الَّتِي يَجِبُ الْوَفَاءُ بِهَا، وَكَذَلِكَ مَا يَجِبُ الْوَفَاءُ بِهِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِمَّا يُعَاهِدُ الْعَبْدُ رَبَّهُ عَلَيْهِ مِنْ نَذْرٍ وَنَحْوِهِ.

❧ وَحَدِيثُ عَقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: "إِنْ أَحَقَّ الشَّرْطُ أَنْ يُوفَى بِهِ مَا اسْتَحْلَلْتُمْ بِهِ الْفُرُوجَ" وَقَالَ الْمُسَوِّدُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ذَكَرَ صَهْرًا لَهُ، فَأَتْنِي عَلَيْهِ فِي مُصَاهَرَتِهِ، فَأَحْسَنَ، وَقَالَ: حَدَّثَنِي فَصَدَّقَنِي وَوَعَدَنِي فَوَفَّى لِي.

❧ قَالَ الصَّنْعَانِي:

أَيُّ أَحَقَّ الشَّرْطُ بِالْوَفَاءِ شُرُوطِ النِّكَاحِ لِأَنَّ أَمْرَهُ أَحْوْطُ، وَبَابُهُ أَضْيَقُ، وَالْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الشَّرْطَ الْمَذْكُورَةَ فِي عَقْدِ النِّكَاحِ يَتَعَيَّنُ الْوَفَاءُ بِهَا سَوَاءً كَانَ الشَّرْطُ عَرْضًا أَوْ مَالًا حَيْثُ كَانَ الشَّرْطُ لِلْمَرْأَةِ لِأَنَّ اسْتِحْلَالَ الْبُضْعِ إِنَّمَا يَكُونُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا أَوْ تَرْضَاهُ لِغَيْرِهَا، وَلِلْعَلْمَاءِ فِي الْمَسْأَلَةِ أَقْوَالٌ.

قَالَ الْخُطَّابِيُّ: الشَّرْطُ فِي النِّكَاحِ مُخْتَلَفٌ فِيهَا، فَمِنْهَا مَا يَجِبُ الْوَفَاءُ بِهِ اتِّفَاقًا، وَهُوَ مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ إِمْسَاكِ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ، وَعَلَيْهِ حَمَلَ بَعْضُهُمْ هَذَا الْحَدِيثَ، وَمِنْهَا مَا لَا يُوفَى بِهِ اتِّفَاقًا كَطَلَاقِ أُخْتِهَا لَمَّا وَرَدَ مِنَ النِّهْيِ عَنْهُ، وَمِنْهَا مَا اخْتَلَفَ فِيهِ كَاشْتِرَاطِ أَنْ لَا يَتَزَوَّجَ عَلَيْهَا وَلَا يَتَسَرَّى، وَلَا يَنْقُلَهَا مِنْ مَنْزِلِهَا إِلَى مَنْزِلِهِ

وَالْمَعْرُوفُ عَنِ الشَّافِعِيِّ أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الشَّرْطِ: الَّتِي لَا تُنَافِي النِّكَاحَ بَلْ تَكُونُ مِنْ مُقْتَضِيَاتِهِ، وَمَقَاصِدِهِ كَاشْتِرَاطِ حُسْنِ الْعِشْرَةِ وَالْإِنْفَاقِ وَالْكِسُوفَةِ وَالسُّكْنَى، وَأَنْ لَا يُقْصَرَ فِي شَيْءٍ مِنْ حَقِّهَا مِنْ قِسْمَةٍ وَنَفَقَةٍ، وَأَنْ لَا يُخْرِجَهَا مِنْ مَنْزِلِهَا. فَهَذَا شَرْطٌ غَيْرُ مَنْهِيٍّ عَنْهُ فَيَتَعَيَّنُ الْوَفَاءُ بِهِ. وَكَشَرَطِهِ عَلَيْهَا إِلَّا تَخْرُجَ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَأَنْ لَا تَتَصَرَّفَ فِي مَتَاعِهِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

وَالْمُرَادُ فِي الْحَدِيثِ الشَّرْطُ الْجَائِزَةُ لَا الْمَنْهِيَّةُ عَنْهَا. (١)

(١) (جامع العلوم والحكم ت الأرنبوط (٢/ ٤٨٧) سبل السلام (٢/ ١٨٣)

الثالث والثلاثون من شعب الإيمان

تعدد نعم الله عز وجل وما يجب من شكرها

لَقَوْلِهِ تَعَالَى: { قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ {الإسراء ١١١

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا {النحل ١٨

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: { وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ { الضحى ١١

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: { فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ { البقرة ١٥٢

وَلِحَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ: "قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ بِاسْمِكَ أَمُوتَ وَأَحْيَا وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانِي بَعْدَ مَا أَمَاتَنِي وَإِلَيْهِ النُّشُورُ"

وَحَدِيثِ صُهَيْبٍ، فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلُّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»

وَبِهِ قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: قَالَ أَنَشِدَ أَبُو الْحَسَنِ الْكِنْدِيُّ الْقَاضِي:

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَاهَا *** فَإِنَّ الْمَعَاصِيَ تَزِيلُ النِّعَمَ

وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي أَوَّلِ كِتَابِ الرِّسَالَةِ:

"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُؤَدِّي شُكْرَ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِهِ إِلَّا بِنِعْمَةٍ مِنْهُ تُوْجِبُ عَلَى مُؤَدِّي ذَلِكَ الشُّكْرَ"

وَبِهِ أَنَبَانَا الْبَيْهَقِيُّ قَالَ أَنَبَانَا أَبُو الْقَاسِمِ أَنَبَا أَحْمَدَ بْنَ سَلْمَانَ.. قَالَ فَأَنَشَدْنَا مُحَمَّدُودَ الْوَرَّاقَ:

لَئِنْ كَانَ شُكْرِي نِعْمَةَ اللَّهِ نِعْمَةً *** عَلَيَّ لَهُ فِي مِثْلِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ

فَكَيْفَ يَصِحُّ الشُّكْرُ إِلَّا بِفَضْلِهِ *** وَإِنْ طَالَتِ الْإِيَّامُ وَاتَّصَلَ الْعُمُرُ

وَأَخْبَرَنَا مِنْ غَيْرِ رِوَايَةِ الْبَيْهَقِيِّ جَمَاعَةٌ بَيِّنِينَ فَقَطَّ:

إِذَا كَانَ شُكْرِي نِعْمَةَ اللَّهِ نِعْمَةً * * عَلَيَّ لَهُ فِي مِثْلِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ
فَمَا لِي عَذْرَ أَنِّي مُقْصِرٌ * * وَعَذْرِي إِقْرَارِي بِأَنْ لَيْسَ لِي عَذْرٌ

◀ قوله تعالى: ((وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ - وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ))

✎ قال ابن كثير:

قَوْلُهُ: "وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ" بقول هيا لكم ما تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكُمْ مِمَّا تَسْأَلُونَهُ بِحَالِكُمْ. وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَمَا لَمْ تَسْأَلُوهُ، وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَقَوْلُهُ: "وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا" يخبر تعالى عن عجز العباد عَنْ تَعْدَادِ النِّعَمِ فَضْلاً عَنِ الْقِيَامِ بِشُكْرِهَا، كَمَا قَالَ طَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: "إِنَّ حَقَّ اللَّهِ أَنْ تُقُومَ بِهِ الْعِبَادُ، وَإِنَّ نِعَمَ اللَّهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصِيَهَا الْعِبَادُ، (١)

◀ وقوله تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ} .

✎ قال ابن القيم:

أنه ما استجلبت نعم الله عز وجل واستدفعت نقمة بمثل ذكر الله تعالى. فالذكر جلاب للنعم، دافع للنقم. قال سبحانه وتعالى {إن الله يدافع عن الذين آمنوا} وفي القراءة الأخرى {إن الله يدفع} فدفعه ودفاعه عنهم بحسب قوة إيمانهم وكمالهم. ومادة الإيمان وقوته بذكر الله تعالى، فمن كان أكمل إيماناً وأكثر ذكراً كان دفع الله تعالى عنه ودفاعه أعظم، ومن نقص نقص، ذكراً بذكر ونسياناً بنسيان.

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية (٤ / ٤٤٠)

وقال سبحانه وتعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} ، والذكر رأس الشكر ، والشكر جلاب النعم وموجب للمزيد.

قال بعض السلف رحمة الله عليهم: "ما أقبح الغفلة عن ذكر من لا يغفل عن ذكرك".
كان علي بن أبي طالب إذا خرج من الخلاء مسح بطنه وقال: "يا لها نعمة، لو يعلم الناس قدرها".
وكان بعض السلف يقول: "الحمد لله الذي أذاقني لذته، وأبقى في منفعته وأذهب عني مضرتة".
فإذا ذكر نعمة الله تعالى عليه بها هاج من قلبه هائج الشكر، فالذكر رأس الشكر.
وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمعاذ «والله يا معاذ إني لأحبك، فلا تنس أن تقول دبر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» فجمع بين الذكر والشكر كما جمع سبحانه وتعالى بينهما في قوله تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ، واشكروا لي ولا تكفرون} فالذكر والشكر جماع السعادة والفلاح. (١)

◀ قوله: ((فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ))

قَالَ الْحُسَيْنُ الْبَصْرِيُّ فِي قَوْلِهِ: فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ قَالَ: أَذْكُرُونِي فِيمَا افْتَرَضْتُ عَلَيْكُمْ أَذْكُرْكُمْ فِيمَا أَوْجَبْتُ لَكُمْ عَلَى نَفْسِي، وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: أَذْكُرُونِي بِطَاعَتِي أَذْكُرْكُمْ بِمَغْفِرَتِي، وَفِي رِوَايَةٍ بِرَحْمَتِي. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ قَالَ: ذَكَّرَ اللَّهُ إِيَّاكُمْ أَكْبَرُ مِنْ ذِكْرِكُمْ إِيَّاهُ. وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنْ ذَكَرْتَنِي فِي نَفْسِكَ ذَكَرْتُكَ فِي نَفْسِي، إِنْ ذَكَرْتَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُكَ فِي مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ...» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ .

وَقَوْلُهُ: "وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ" أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِشُكْرِهِ وَوَعَدَ عَلَى شُكْرِهِ بِمَزِيدٍ خَيْرٍ فَقَالَ: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} حَدَّثَنَا أَبُو رَجَاءٍ الْغَطَارِدِيُّ،

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٧٢)

قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا عُمَرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ وَعَلَيْهِ مِطْرٌ مِنْ خَرٍّ لَمْ تَرَهُ عَلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ وَلَا بَعْدَهُ، فَقَالَ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ، «مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ نِعْمَةً فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى خَلْقِهِ». "وَلَيْتَ كَفَرْتُمْ" أَيِ كَفَرْتُمْ النِّعَمَ وَسَتَرْتُمُوهَا وَجَحَدْتُمُوهَا إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ، وَذَلِكَ بِسَلْبِهَا عَنْهُمْ وَعِقَابِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى كُفْرِهَا، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ «إِنَّ الْعَبْدَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقُ بِالدَّنْبِ يُصِيبُهُ» صححه الألباني في سنن ابن ماجه .

❦ قوله عليه السلام «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»

❧ في هذا الحديث: فَضَّلَ الشكر على السَّراء والصبر على الضَّراء، فمن فعل ذلك حصل له خير الدارين، ومن لم يشكر على النعمة، ولم يصبر على المصيبة، فاته الأجر، وحصل له الوزر. (١)

❧ قال القاري: وفيه إشارة إلى أن الإيمان نصفه صبر، ونصفه شكر،

قال تعالى: {إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} . وقال ابن الملك: قوله "إِنْ أَصَابَتْهُ مصيبة حمد الله" أي حمده عندها لعلمه بها يثاب عليه من الثواب العظيم، والثواب نعمة، فحمد الله لذلك يدل على أن الحمد محمود عند النعمة وعند المصيبة-انتهى.

❧ وقد يقال: معناه حمده على سائر نعمه، ولذلك ذكره في الحالين لقوله تعالى: {وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها}. أو حمده على أن المصيبة ليست في دينه، أو على أنه ما دفع أكبر أو أكثر منها. قال المظهر: وتحقق الحمد عند المصيبة؛ لأنه يحصل بسببها ثواب عظيم، وهو نعمة تستوجب الشكر عليها.

(والمؤمن يؤجر) بالهمزة ويبدل فيها، أي المؤمن الكامل يثاب. (في كل أمره) أي شأنه من الصبر والشكر وغيرهما حتى في أمور المباح. قيل: المراد بالأمر هنا الخير، فالمباح ينقلب خيراً بالنية والقصد. (حتى اللقمة يرفعها إلى في امرأته) أي فمها.

(١) تطريز رياض الصالحين (ص: ٣٧)

وفي الحديث دليل : على أن المباحات وإن كان يرى كل واحد منها في الظاهر من قبيل حظ النفس، لكنها باشتغالها على نية التقريب إلى الله تصير عبادات، ويؤجر فاعلها على حسب نيته ببركة إيمانه.

قال الطيبي: يعني إذا أصابته نعمة فحمد أجر، وإذا أصابته مصيبة فصبر أجر، فهو مأجور في كل أموره حتى في الشهوانية ببركة إيمانه، وإذا قصد بالنوم زوال التعب للقيام إلى العبادة عن نشاط كان النوم طاعة، وعلى هذا الأكل وجميع المباحات. (١)

الرَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ مِنْ شُعْبِ الْإِيمَانِ

حَفِظَ اللِّسَانَ عَمَّا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَيَدْخُلُ فِيهِ الْكَذِبُ وَالْغِيبةُ وَالنَّمِيمةُ وَالْفُحْشُ
إِذْ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ مَشْحُونَانِ بِذَلِكَ

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ} الأحزاب ٣٥

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} التَّوْبَةِ ١١٩

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} الإسراء ٣٦

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى

لِلْكَافِرِينَ} الزمر

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} الزمر ٣٢

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ} النحل ١١٦

وَلِحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ

الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا. وَإِنَّ

الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ

كَذَابًا»

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١٧٣٥ / ٥)

وَحَدِيثُ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ : "مَنْ يَضْمَنُ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ فَخْذَيْهِ أَضْمَنَ لَهُ الْجَنَّةَ"

وَحَدِيثُ أَبِي شُرَيْحٍ الْخَزَاعِيِّ فِيهِ أَيْضًا : «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»

← حفظ اللسان اصطلاحاً:

أن يصون المرء لسانه عن الكذب، والغيبة والتّهمة، وقول الزّور، وغير ذلك ممّا نهى عنه الشّارع الحكيم.

⚡ خطر اللسان:

إِنَّ اللّٰسَانَ مِنْ نَعَمِ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ، وَلَطَائِفِ صَنْعِهِ الْغَرِيبَةِ. فَإِنَّهُ صَغِيرٌ جَرْمُهُ، عَظِيمٌ طَاعَتُهُ وَجَرْمُهُ، إِذْ لَا يَسْتَتِينُ الْكُفْرَ وَالْإِيمَانَ إِلَّا بِشَهَادَةِ اللّٰسَانِ، وَهُمَا غَايَةُ الطّاعَةِ وَالْعَصِيَانِ. وَأَعْصَى الْأَعْضَاءُ عَلَى الْإِنْسَانِ اللّٰسَانُ، فَإِنَّهُ لَا تَعَبَ فِي إِطْلَاقِهِ وَلَا مَوْنَةَ فِي تَحْرِيكِهِ. وَقَدْ تَسَاهَلَ الْخَلْقُ فِي الْإِحْتِرَازِ عَنْ آفَاتِهِ وَغَوَائِلِهِ، وَالْحَذَرِ مِنْ مَصَائِدِهِ وَحَبَائِلِهِ. وَإِنَّهُ أَعْظَمُ آلَةٍ لِلشَّيْطَانِ فِي اسْتِغْوَاءِ الْإِنْسَانِ. لِذَلِكَ أَنَّ خَطَرَ اللّٰسَانِ عَظِيمٌ، وَلَا نَجَاةَ مِنْ خَطَرِهِ إِلَّا بِالصَّمْتِ، فَلِذَلِكَ مَدَحَ الشَّرْعُ الصَّمْتَ وَحَثَّ عَلَيْهِ. فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَمِتَ نَجَا» صححه الألباني .

⚡ تعريف الكذب:

الكذب لغة : وهو مأخوذ من مادّة (ك ذ ب) الّتي تدلّ على خلاف الصّدق،
الكذب اصطلاحاً: وقال ابن حجر: الكذب: هو الإخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه سواء كان عمداً أم خطأ .

⚡ أنواع الكذب: الكذب قد يكون بالأفعال والأقوال:

يقول الشّيخ الميّدانيّ: وكما يكون الصّدق والكذب في الأقوال يكونان في الأفعال. فقد يفعل الإنسان فعلاً يوهّم به حدوث شيء لم يحدث، أو يعبرّ به عن وجود شيء غير موجود، وذلك على

سبيل المخادعة بالفعل مثلما تكون المخادعة بالقول، وربّما يكون الكذب في الأفعال أشدّ خطراً وأقوى تأثيراً من الكذب في الأقوال. ومن أمثلة ذلك ما حكاه الله لنا من أقوال وأفعال إخوة يوسف - عليه السّلام - إذ جاءوا أباهم عشاءً ليكون بكاء كاذباً، وقالوا - كذبا - : يا أبانا إنّنا ذهبنا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ (يوسف / ١٧) ، وجاءوا على قميص يوسف بدم كذب، فجمعوا بين كذب القول وكذب الفعل .

حكم الكذب:

ذكر الإمامان ابن حجر والذهبيّ الكذب (الذي لا رخصة فيه) من الكبائر، وأفحش الكذب ما كان كذباً على الله عزّ وجلّ أو رسوله صلى الله عليه وسلّم، وقد صرح العلماء بعدّ هذين النوعين (الكذب على الله والكذب على الرّسول) من الكبائر، وذهب بعضهم إلى أنّ الكذب على الرّسول صلى الله عليه وسلّم كفر، قال ابن حجر: ولا ريب أنّ تعمّد الكذب على الله ورسوله في تحليل حرام أو تحریم حلال كفر محض.

من معاني كلمة «الكذب» في القرآن الكريم:

- ١ - بمعنى النّفاق: "وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ" (البقرة / ١٠) أي ينافقون.
- ٢ - بمعنى الإنكار: "مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى" (النجم / ١١) أي ما أنكر.
- ٣ - بمعنى خلف الوعد: "كَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةً" (الواقعة / ٢) أي ردّ وخلف.
- ٤ - بمعنى الكذب اللّغوي: "بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ" (ق / ٥). (١)

الأدلة على التحذير من أشد أنواع الكذب والأمر بالصدق :

﴿كَفَّوْهُ تَعَالَى : ((فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصُّدُقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ))﴾

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرّسول الكريم (١١ / ٥٦٦٥)

وَقَوْلُهُ : ((وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)) وَقَوْلُهُ ((إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يَفْلَحُونَ)) وَقَوْلُهُ ((وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ)) وَقَوْلُهُ ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)) وَقَوْلُهُ : ((وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ))

فمن أشد أنواع الكذب وأشنعه الكذب على الله تعالى أو الكذب على رسوله صلى الله عليه وسلم لأنه افتراء في الدين، وتلاعب بشرائع الله لعباده، وتجروء عظيم على النار. ولهذا أجمع العلماء على تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه من الكبائر وأن من كذب عليه متعمدا مستجيزا لذلك فهو كافر.

عقوبة الكاذب :

١/ حرمان الهداية : الدليل قال تعالى : ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ))

ولم يقل "كذاب" والكذاب هو كثير الكذب .

٢/ أنه يكتب عند الله كذابا وهو طريق للفجور وسبب لدخوله النار الدليل :

◀ قوله ﷺ " وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور. وإن الفجور يهدي إلى النار. "

٣/ تعجيل العقوبة للكاذب في الدنيا الدليل : تعجيل إنزال العذاب على الأمم السابقة بسبب تكذيبهم .

وما جاء عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أن أروى خاصمته في بعض داره فقال: دعوها وإياها؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من أخذ شبرا من الأرض بغير حقه طوّقه في سبع أرضين يوم القيامة» .

اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها واجعل قبرها في دارها. قال: فرأيتها عمياء تتلمس الجدر. تقول: أصابني دعوة سعيد بن زيد. فبينما هي تمشي في الدار مرّت على بئر في الدار فوقعت فيها، فكانت قبرها». رواه البخاري.

٤ / أنه يعذب في قبره إلى قيام الساعة :

كما جاء في صحيح البخاري من حديث سَمُرَةُ بِنْتُ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا يُكْثَرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا» قَالَ: فَيَقْصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقْصُصَ، وَإِنَّهُ قَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ أَتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَانِي، قَالَ: " قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ " قَالَ: " فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِكُلُوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شَقِيٍّ وَجْهَهُ فَيُشْرِشُرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخَرُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، - قَالَ: وَرُبَّمَا قَالَ أَبُو رَجَاءٍ: فَيَشُقُّ - " قَالَ: «ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى» قَالَ: " قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَا؟ " قَالَ: وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ، يُشْرِشُرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخَرُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ، فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ.....))فسره أهل العلم أنه مر على أصحاب القبور وهم يعذبون .

◀ تعريف الغيبة :

الغيبة لغة: الغيبة هي الاسم من الإغتيال وهو مأخوذ من مادة (غ ي ب) التي تدل على الستر .
واصطلاحاً: قال المناوي: الغيبة: أن تذكر أخاك بما يكرهه فإن كان فيه فقد اغتبتة . ومن أحسن

تعاريفها «ذكر العيب بظهر الغيب»

∇ الفرق بين الغيبة والبهتان والشتم :

قال الجرجاني: الغيبة: ذكر مساوئ الإنسان التي فيه في غيبة.

والبهتان: ذكر مساوئ الإنسان، وهي ليست فيه .

والشتم: ذكر المساوئ في مواجهة المقول فيه .

حكم الغيبة:

عدّ الإمام ابن حجر الغيبة من الكبائر وقال: الذي دلّت عليه الدلائل الكثيرة الصّحيحة الظّاهرة أنّها كبيرة: لكنّها تختلف عظمًا وضدّه بحسب اختلاف مفسدتها. وقد جعلها "من أوتي جوامع الكلم": "عذيلة غصب المال، وقتل النفس بقوله صلى الله عليه وسلّم «كلّ المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه» والغصب والقتل كبيرتان إجماعاً.

متى تحل الغيبة؟

قال النووي - رحمه الله -: اعلم أنّ الغيبة تباح لغرض صحيح شرعيّ لا يمكن الوصول إليه إلّا بها، وهو ستّة أسباب:

الأول: المتظلم، فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممّن له ولاية، أو قدرة على إنصافه من ظالمه، فيقول: ظلمني فلان بكذا.

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر، وردّ العاصي إلى الصّواب، فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا.

الثالث: الاستفتاء، فيقول للمفتي: ظلمني أي، أو أخي، أو زوجي، أو فلان بكذا، فهل له ذلك؟ الرابع: تحذير المسلمين من الشرّ ونصيحتهم. وذلك من وجوه:

١- منها: جرح المجروحين من الرّواة والشّهود، وذلك جائز بإجماع المسلمين،

٢- ومنها: المشاورة في مصاهرة إنسان، أو مشاركته، أو إيداعه، أو معاملته، أو غير ذلك.

٣- ومنها: إذا رأى متفقّها يتردّد إلى مبتدع، أو فاسق يأخذ عنه العلم، وخاف أن يتضرّر المتفقّه بذلك، فعليه نصيحتته ببيان حاله، بشرط أن يقصد النصيحة

الخامس: أن يكون مجاهرًا بفسقه أو بدعته كالمجاهر بشرب الخمر، ومصادرة أموال النّاس يحذر

السادس: التعريف، فإذا كان الإنسان معروفاً بقلب؛ كالأعمش والأعرج والأصم، والأعمى والأحول، وغيرهم جاز تعريفهم بذلك؛ ويحرم إطلاقه على جهة النقص؛ ولو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى. «١».

عقوبة المغتاب :

١/ تشبيهه بأكل لحم أخيه ميتاً :

قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ))
ولحديث قيس قال: كَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ يَسِيرُ مَعَ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَمَرَّ عَلَى بَغْلٍ مَيِّتٍ قَدْ انْتَفَخَ، فَقَالَ: " وَاللَّهِ! لَأَنْ يَأْكُلَ أَحَدُكُمْ [مِنْ] هَذَا حَتَّى يَمْلَأَ بَطْنَهُ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ مُسْلِمٍ".
صححه الألباني.

٢/ خروج منه ريح متنة يشمه أهل الإيمان.

(عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَارْتَفَعَتْ رِيحٌ مَتْنَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَدْرُونَ مَا هَذِهِ الرِّيحُ؟ هَذِهِ رِيحُ الَّذِينَ يَغْتَابُونَ الْمُؤْمِنِينَ» حسنه الألباني .

٤/ أنهم يأكلون لحومهم يوم القيامة :

لحديث أنس رضي الله عنه لما عُرِجَ بِى مَرَرْتُ بِقَوْمٍ هُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُسُونَ بِهَا وُجُوهَهُمْ وَصُدُورُهُمْ قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لَحْمَ النَّاسِ وَيَقْعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ
أخرجه أبو داود

(^١) انظر رياض الصالحين (٤٥٠ - ٤٥١)، والزواجر لابن حجر الهيتمي (٣٨٣ - ٣٨٤).

تعريف النَمِمة :

وقال ابن منظور: النَّم: التحريش والإغراء ورفع الحديث على وجه الإشاعة والإفساد، ويقال للنَّمّام: القَتّات، يقال: قَتَّ إذا مشى بالنَمِمة، ويقال للنَّمّام قَسّاس ودِرّاج وغمّاز وهمّاز ومائس وممّاس .

واصطلاحاً: هي نقل كلام النَّاس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد.

حكم النَمِمة:

قال الذهبي: النَمِمة من الكبائر، وهي حرام بإجماع المسلمين، وقد تظاهرت على تحريمها الدلائل الشرعية من الكتاب والسنة، كقوله تعالى ((هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ)) وما جاء في صحيح مسلم: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: إِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا أُنبِّئُكُمْ مَا الْعُصَةُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ»

(العصبة) هذه اللفظة رُوها على وجهين أحدهما العصبة بكسر العين وفتح الضاد المعجمة على وزن العدة والزنة والثاني: العصبة بفتح العين وإسكان الضاد على وزن الوجه ، والأول أشهر في كتب اللغة وتقدير الحديث والله أعلم .

قوله: "ألا أنبئكم ما العصبة " الفاحش الغليظ التحريم.

*كيف تتعامل مع النمام؟

قال الإمام الذهبي: كل من حملت إليه نَمِمة وقيل له: قال فيك فلان، كذا وكذا لزمه ستّة أحوال:

الأول: ألا يصدّقه؛ لأنّه تمام فاسق، وهو مردود الخبر.

الثاني: أن ينهائه عن ذلك وينصحه ويقبّح فعله.

الثالث: أن يبغضه في الله - عزّ وجلّ - والبغض واجب، فإنّه بغيض عند الله.

الرابع: ألا يظنّ في المنقول عنه السوء لقوله تعالى: "اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ".

الخامس: ألا يحمله ما حكى له على التجسس والبحث عن تحقق ذلك مصداقا لقوله تعالى: "وَلَا تَجَسَّسُوا".

السادس: ألا يرضى لنفسه ما نهى النّام عنه، فلا يحكي نميمته. (١)

عقوبة النّام :

١/ تعذيبه في قبره الدليل : عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنّه قال: «مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَبْرَيْنِ، فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ. ثُمَّ قَالَ: «بَلَى، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَسْعَى بِالنَّمِيمَةِ. وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ»

٢/ حرمانه من دخول الجنة الدليل : عن حذيفة - رضي الله عنه - أنّه بلغه أنّ رجلا ينمّ الحديث، فقال حذيفة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يدخل الجنة تّام» متفق عليه .
◀ قوله " الفحش " :

الفحش لغة : والفحش كلّ ما يشتدّ قبحه من الذّنوب والمعاصي وقيل كلّ ما نهى الله - عزّ وجلّ - عنه، وقيل كلّ خصلة قبيحة من الأقوال والأفعال، وقيل: كلّ أمر لا يكون موافقا للحقّ والقدر لله واصطلاحا: ما ينفر عنه الطّبع السّليم ويستنقصه العقل المستقيم .
وقال الرّاعب: الفحش والفحشاء: ما عظم قبحه من الأقوال والأفعال .

الأحاديث الواردة في ذمّ (الفحش)

ما جاء عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «اأذنوا له، بئس أخو العشيرة أو ابن العشيرة» ، فلمّا دخل ألان له الكلام. قلت: يا رسول الله، قلت الذي قلت ثمّ ألنت له الكلام. قال: «أي عائشة، إنّ شرّ النّاس من تركه النّاس - أو ودعه النّاس - اتّقاء فحشه» متفق عليه .

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (١١/ ٥٦٦٧) الكبائر للذهبي (١٦١) ، وانظر الزواجر لابن حجر (٣٩٦)

وروي عن عائشة - رضي الله عنها - أن يهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: السام عليكم، فقالت عائشة: عليكم، ولعنكم الله، وغضب الله عليكم. قال: «مهلا يا عائشة، عليك بالرفق، وإياك والعنف والفحش» قالت: أو لم تسمع ما قالوا. قال: «أو لم تسمعي ما قلت، رددت عليهم فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم في» متفق عليه .

وروي عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُحْشَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ وَإِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ فَإِنَّهَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الشُّحُّ أَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَفَجَرُوا وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا وَأَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخَلُوا) صححه الألباني .

وروي عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذيء» سنده صحيح.

حكم الفحش:

ذكر ابن حجر: أن ملازمة الشر والفحش من الكبائر. وبها روي عن أحمد بن حنبل: "من أن الفحش والتفحش ليس من الإسلام في شيء، وأن أحسن الناس إسلاماً أحسنهم خلقاً"

تمت: علاج الكذب والغيبة والنميمة والفحش :

وعلاج هذه الأمراض لا يكون إلا بالعلم والعمل، فإذا عرف العبد أن هذه الأمور تعرض لسخط الله يوم القيامة بإحباط عمله وإعطاء حسناته من يغتابه أو من يكذب عليه وأنه يحمل عنه أوزاره، وأنه يتعرض لعذاب الله وقد يسلطه الله عليه، إذا علم هذا وعمل بمقتضاه من خير فقد وفق للعلاج لحديث ابن أم عبد [ابن مسعود] قال: "مَنْ اغْتَيْبَ عَنْهُ مُؤْمِنٌ فَنَصَرَهُ، جَزَاهُ اللَّهُ بِهَا خَيْرًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ" (قال الألباني: صحيح الإسناد). (١)أهد بتصرف يسير.

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (١١ / ٥٦٦٦)

◀ قوله: وَحَدِيثُ أَبِي شُرَيْحٍ الْخَزَاعِيِّ فِيهِ أَيْضًا: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمِتْ"

☞ قال ابن بطلال: يعنى من كان يؤمن بالله واليوم الآخر الإيـان التام فإنه ستبعثه قوة إيمانه على محاسبة نفسه فى الدنيا والصمت عما يعود عليه ندامةً يوم القيامة، وكان الحسن يقول: "ابن آدم، نهارك ضيفك فأحسن إليه، فإنك إن أحسنت إليه ارتحل يحمذك، وإن أسأت إليه ارتحل يذمك". وروى أسد عن الحسن البصرى قال: "لا يبلغ أحد حقيقة الإيمان حتى لا يعيب أحدًا بعيب هو فيه، وحتى يبتدئ بصلاح ذلك العيب من نفسه، فإنه إن فعل ذلك لم يصلح عيبًا إلا وجد فى نفسه عيبًا آخر، فينبغى له أن يصلحه، فإذا كان المرء كذلك شغله فى خاصته واجبًا، وأحب العباد إلى الله من كان كذلك".

◀ قوله: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ حَيِّهِ...)

☞ قال ابن بطلال: وقوله: (من ضمن لى ما بين حىيه) يعنى لسانه فلم يتكلم بما يكتبه عليه صاحب الشمال (وما بين رجليه) يعنى فرجه فلم يستعمله فيما لا يحله قوله: (ضمنت له الجنة) ودل بهذا الحديث أن أعظم البلاء على العبد فى الدنيا اللسان والفرج، فمن وقى شرهما فقد وقى أعظم الشر. (١)

▽ فائدة: بوب الإمام البخارى: "بَابُ حِفْظِ اللِّسَانِ" وذكر جملة أحاديث فى هذا الباب منها: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لَا يُلْقَى هَا بَالَا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يُلْقَى هَا بَالَا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ).

ثم قال الإمام البخارى: ما أحق من علم أن عليه حفظاً موكلين به، يحصون عليه سقط كلامه وعثرات لسانه، أن يحزنه ويقل كلامه فيها لا يعنيه.

(١) شرح صحيح البخارى لابن بطلال (١٠ / ١٨٦) شرح النووي لصحيح مسلم.

الخامس والثلاثون من شعب الإيمان

الأمانات وما يجب فيها من أدائها إلى أهلها

لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا)) النِّسَاء ٥٨
وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ((فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ)) الْبَقَرَة ٢٨٣
وَلِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ : " أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ "
وَلِحَدِيثِهِ فِي الصَّحِيحَيْنِ : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ :
إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ "

تعريف الأمانة :

الأمانة لغة : قال ابن منظور: الأمان والأمانة بمعنى، والأمانة: ضدّ الخيانة.
اصطلاحاً : قال الكفويّ: الأمانة: كلّ ما افترض الله على العباد فهو أمانة كالصّلاة والزّكاة والصّيام وأداء الدّين، وأوكدها الودائع، وأوكده الودائع كتم الأسرار، وقال في موضع آخر: كلّ ما يؤتمن عليه من أموال وحرّم وأسرار فهو أمانة .
وقال القرطبيّ: «الأمانة تعمّ جميع وظائف الدّين، ونسب هذا القول لجمهور المفسّرين، فالأمانة هي الفرائض التي اتّمتن الله عليها العباد،
فتعريف الأمانة تشتمل على ثلاثة عناصر.
الأوّل: عفة الأمين عمّا ليس له به حقّ.
الثّاني: تأدية الأمين ما يجب عليه من حقّ لغيره.
الثّالث: اهتمام الأمين بحفظ ما استؤمّن عليه، وعدم التّفريط بالأمانة.

معاني الأمانة في القرآن :

ذكر ابن الجوزي - نقلا عن بعض المفسرين أنّ الأمانة في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:
أحدها: الفرائض ومنه قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ)) (الأنفال / ٢٧) .

الثاني: الودعة، ومنه قوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا)) (النساء / ٥٨) .
الثالث: العفة (والصيانة) ، ومنه قوله تعالى: ((إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ)) (القصص / ٢٦) «١» .

◀ قوله ((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا))

◀ قوله ﷺ: «أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَىٰ مَنْ اتَّيَمَّنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ»

قال ابن كثير :

يُخْبِرُ تَعَالَىٰ أَنَّهُ يَأْمُرُ بِأَدَاءِ الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا. وَفِي حَدِيثِ الْحُسَيْنِ عَنْ سَمُرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ «أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَىٰ مَنْ اتَّيَمَّنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ» رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَهْلُ السُّنَنِ، وَهَذَا يَعُمُّ جَمِيعَ الْأَمَانَاتِ الْوَاجِبَةِ عَلَى الْإِنْسَانِ وَهِيَ :

١/ مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عِبَادِهِ: مِنَ الصَّلَوَاتِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْكَفَارَاتِ وَالنَّذْرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مَا هُوَ مُؤْتَمِنٌ عَلَيْهِ وَلَا يَطْلُعُ عَلَيْهِ الْعِبَادُ،

٢/ وَمِنْ حُقُوقِ الْعِبَادِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ: كَالْوَدَائِعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَأْتُمُّونَ بِهِ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْ غَيْرِ إِطْلَاعِ بَيْنَةٍ عَلَى ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَدَائِهَا، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا أُخِذَ مِنْهُ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ «لَتُؤَدَّنَّ الْحُقُوقُ إِلَىٰ أَهْلِهَا حَتَّى يُقْتَصَّ لِلشَّاةِ الْجَمَاءِ مِنَ الْقَرَنَاءِ» (٢)

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٣ / ٥١١)

(٢) تفسير ابن كثير ط العلمية (١ / ٥٦٤)

«عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ "

قال النووي رحمه الله :

الْحَدِيثُ لَيْسَ فِيهِ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى إِشْكَالٌ وَلَكِنْ اِخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي مَعْنَاهُ فَالَّذِي قَالَهُ الْمُحَقِّقُونَ وَالْأَكْثَرُونَ وَهُوَ الصَّحِيحُ الْمُخْتَارُ أَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّ هَذِهِ الْخِصَالَ خِصَالُ نِفَاقٍ وَصَاحِبُهَا شَبِيهُهُ بِالْمُنَافِقِينَ فِي هَذِهِ الْخِصَالِ وَمُتَخَلِّقٌ بِأَخْلَاقِهِمْ فَإِنَّ النِّفَاقَ هُوَ إِظْهَارُ مَا يُبْطِنُ خِلَافَهُ وَهَذَا الْمَعْنَى مَوْجُودٌ فِي صَاحِبِ هَذِهِ الْخِصَالِ وَيَكُونُ نِفَاقُهُ فِي حَقِّ مَنْ حَدَّثَهُ وَوَعَدَهُ وَاتَّمَنَّهُ وَخَاصَمَهُ وَعَاوَدَهُ مِنَ النَّاسِ لَا أَنَّهُ مُنَافِقٌ فِي الْإِسْلَامِ فَيُظْهِرُهُ وَهُوَ يُبْطِنُ الْكُفْرَ وَلَمْ يَرِدِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذَا أَنَّهُ مُنَافِقٌ نِفَاقَ الْكُفَّارِ الْمُخَلَّدِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا مَعْنَاهُ شَدِيدُ الشَّبهِ بِالْمُنَافِقِينَ بِسَبَبِ هَذِهِ الْخِصَالِ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ وَهَذَا فِيمَنْ كَانَتْ هَذِهِ الْخِصَالُ غَالِبَةً عَلَيْهِ فَأَمَّا مَنْ يَنْدِرُ ذَلِكَ مِنْهُ فَلَيْسَ دَاخِلًا فِيهِ فَهَذَا هُوَ الْمُخْتَارُ فِي مَعْنَى الْحَدِيثِ. (١)

مسألة :

كيفية رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب؟

ما جاء في الصحيحين : "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا ضُبِعَتِ الْأَمَانَةُ فَاَنْتَظِرِ السَّاعَةَ» قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِذَا أُسْنِدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَاَنْتَظِرِ السَّاعَةَ»

وعن حذيفة، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَيْنِ، رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ: حَدَّثَنَا: «أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذَرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ

السُّنَّةِ» وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا قَالَ: "يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيُظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ، كَجَمْرِ دَخَرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَفَنِطَ، فَتَرَاهُ مُتَبَرِّقًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ، فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فَلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلُهُ وَمَا أَظْرَفُهُ وَمَا أَجْلَدُهُ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرَدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ" وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أَبَالِي أَيْكُمْ بَايَعْتُ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا رَدَّهْ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ، وَإِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا رَدَّهْ عَلَيَّ سَاعِيهِ، فَأَمَّا الْيَوْمَ: فَمَا كُنْتُ أَبَايَعُ إِلَّا فَلَانًا وَفُلَانًا)) متفق عليه .

رحمهم قال الشيخ العثيمين :

قوله: " جذر " بفتح الجيم وإسكان الذال المعجمة: وهو أصل الشيء. و "الوقت" بالتاء المثناة من فوق: الأثر اليسير، " والمجل " بفتح الميم وإسكان الجيم، وهو تنفط في اليد ونحوها من أثر عمل وغيره "يعني ارتفاح الجلد ولا شيء تحته". قوله: " متبرا " مرتفعاً قوله: " ساعيه " الوالي عليه. "الظريف" يكون حسن الوجه وحسن اللسان.

أن هذه الأمانة سوف تنزع من قلوب الرجال والعياذ بالله، تنزع فيصبح الناس يتحدثون أن في بني فلان رجلاً أميناً، يعني أنك لا تكاد تجد في القبيلة رجلاً واحداً أميناً، والباقي كلهم على خيانة، لم يؤدوا الأمانة.

ولقد شاهد الناس اليوم مصداق هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنك تستعرض الناس رجلاً رجلاً حتى تبلغ إلى حدّ المائة أو المئات، لا تجد الرجل الأمين الذي أدى الأمانة كما ينبغي في حق الله ولا في حق الناس.

قد تجد رجلاً أميناً في حق الله، ويؤدي الصلاة، ويؤدي الزكاة، ويصوم، يحج، يذكر الله كثيراً، يسبح، لكنه في المال ليس أميناً، إن وكل إليه عملٌ حكومي فرط وصار لا يأتي للدوام إلا متأخراً، ويخرج قبل انتهاء الوقت، ويضيع الأيام الكثيرة في أشغاله الخاصة. (١)

(١) شرح رياض الصالحين (٢/ ٤٧١)

السَّادِسُ وَالثَّلَاثُونَ مِنْ شُعْبِ الْإِيمَانِ

تَحْرِيمُ قَتْلِ النَّفْسِ وَالْجَنَايَاتِ عَلَيْهَا

لَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} . السَّاء ٩٣

وَلَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} السَّاء ٢٩

وَلِحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ: "قَتَلَ الْمُسْلِمُ كُفْرًا وَسَبَابَهُ فَسَوْقٌ" وَحَدِيثِهِ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ: "أَوَّلُ مَا يَقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ" وَلِحَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ: "لَا يَزَالُ الْمُسْلِمُ فِي فَسْحِهِ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يَصِبْ دَمًا حَرَامًا"

◀ قَوْلُهُ: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} .

قال السعدي: وذكر هنا وعيد القاتل عمداً، وعيدا ترجف له القلوب وتنصدع له الأفئدة، وتنزع منه أولو العقول.

فلم يرد في أنواع الكبائر أعظم من هذا الوعيد، بل ولا مثله، ألا وهو الإخبار بأن جزاء جهنم، أي: فهذا الذنب العظيم قد انتهض وحده أن يجازى صاحبه بجهنم، بما فيها من العذاب العظيم، والخزي المهين، وسخط الجبار، وفوات الفوز والفلاح، وحصول الخيبة والخسار.

للقوله: {فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا} أي ما كثر؛ والمراد بذلك المكث الطويل، وليس المكث الدائم الأبدي؛ وقد ذكر المكث الدائم الأبدي في ثلاث آيات في كتاب الله؛ آية في النساء، وآية في الأحزاب، وآية في الجن؛

﴿أما آية النساء: فقلوله تعالى: {إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً} [النساء: ١٦٨، ١٦٩]؛

﴿وأما آية الأحزاب: فقلوله تعالى: {إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً} * خالدين فيها أبداً [الأحزاب: ٦٤، ٦٥]؛

﴿وأما آية الجن: فقلوله تعالى: {ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً} [الجن: ٢٣]. (١)

﴿وَلَحْدِيث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ : "قَتَلَ الْمُسْلِمُ كُفْرًا وَسَبَابَهُ فَسُوقٌ"

المراد بالكفر والفسق في الحديث الكفر والفسق الأصغر .

❦ فالكفر ينقسم إلى قسمين:

كفر أكبر، وكفر أصغر.

الكفر الأكبر: قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

الكفر الأصغر: كما في حديث ابن مسعود مرفوعاً: (سباب المسلم فسوق؛ وقتاله كفر). متفق عليه

❦ وقد اختلف العلماء في القاتل هل له توبة لاختلافهم في تأويل هذه الآية،؟

١/ فروى عن زيد بن ثابت، وابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر أنه لا توبة له، ٢/ وروى عن علي ابن أبي طالب وابن عباس، وابن عمر أن القاتل له توبة ، وقاله جماعة من التابعين. وجماعة أهل السنة وفقهاء الأمصار على هذا القول راجين له التوبة؛ لأنه تعالى يقبل التوبة عن عباده، وإنما أراد أن يكون المسلم في كل الأمور خائفاً راجياً.

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٩٣)- وابن كثير تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١ / ١٤١)

❖ لما نزلت: (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم)

قال المهاجرون والأنصار: وجبت لمن فعل هذا النار. حتى نزلت: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) [النساء: ٤٨، ١١٦]. واحتج أهل السنة أن القاتل في مشيئة الله بحديث عبادة بن الصامت: (أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أخذ عليهم في بيعة العقبة: أن من أصاب ذنباً فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له). وكل ذنب دون الشرك فهو تحت مشيئة الله تعالى. (١)

❖ أما قوله: "أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء"

يعنى أول ما يحاسب عليه العبد فيما بينه وبين العباد في الدماء "لعظم القتل عند الله وشدته".

❖ قوله: عن ابن عمر رضي الله عنهما في الصحيحين: "لا يزال المسلم في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً"

قال الشيخ العثيمين:

لا يزال (المؤمن في فسحة) بضم الفاء وسكون السين وفتح الحاء المهملتين.

لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً" لا يزال المؤمن في فسحة: أي في سعة من دينه، "ما لم يصب دماً حراماً" يعني ما لم يقتل مؤمناً أو ذمياً أو معاهدةً أو مستأئناً، فهذه هي الدماء المحرمة، هي أربعة أصناف: دم المسلم، ودم الذمي، ودم المعاهد، ودم المستأمن، وأشدها وأعظمها دم المؤمن، أما الكافر الحربي فهذا دمه غير حرام، فإذا أصاب الإنسان دماً حراماً فإنه يضيق عليه دينه، أي أن صدره يضيق به حتى يخرج منه والعياذ بالله ويموت كافراً. (٢)

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٨/ ٤٩٢) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (المقدمة/ ٥٠)

(٢) شرح رياض الصالحين (٢/ ٥٣٤)

السَّابِعِ وَالثَّلَاثُونَ مِنْ شَعْبِ الْإِيمَانِ

تَحْرِيمُ الْفُرُوجِ وَمَا يَجِبُ فِيهَا مِنَ التَّعَفُّفِ

لَقَوْلِهِ تَعَالَى: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ}

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ} النُّور ٣٢

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ} الْمُؤْمِنُونَ ٥ والمعارج .

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا}

وَلِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ " فِي الصَّحِيحَيْنِ " : ((لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا

يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ لَا يَنْتَهَبُ نَهْبَةً

ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ إِلَيْهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ)) .

﴿تعريف الحفظ لغة: حفظ الأيمان.﴾

"أما الفرج " :فهو في اللغة مأخوذ من مادة (ف رج) التي تدل على تفتح في الشيء، من ذلك

الفرجة في الحائط وغيره ومعناها الشق.

واصطلاحاً: قال البغوي - رحمه الله - الفرج اسم يجمع سواة الرجل والمرأة، "وحفظ الفرج ":

التعفف عن الحرام .

﴿لَقَوْلِهِ تَعَالَى: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ}﴾

لله قال ابن كثير: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَلَمَّا كَانَ النَّظَرُ دَاعِيَةً إِلَى فَسَادِ الْقَلْبِ، كَمَا قَالَ

بَعْضُ السَّلَفِ: النَّظَرُ سَهَامٌ سُمِّ إِلَى الْقَلْبِ، وَلِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ بِحِفْظِ الْفُرُوجِ كَمَا أَمَرَ بِحِفْظِ الْأَبْصَارِ

الَّتِي هِيَ بَوَاعِثُ إِلَى ذَلِكَ، فَقَالَ تَعَالَى: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ

لله وحفظ الفرج تارة يكون بمنعه من الزنا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: " وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ "،

لَهُ وَتَارَةً يَكُونُ بِحِفْظِهِ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ :

كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَالسُّنَنِ «احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوْجَتِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ» ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ أَيْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِهِمْ وَأَنْقَى لِدِينِهِمْ.

❖ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : {وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ} وَهَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِلنِّسَاءِ الْمُؤْمِنَاتِ وَغَيْرَةٍ مِنْهُ لِأَزْوَاجِهِنَّ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَمَيِّزُ لَهْنٍ عَنْ صِفَةِ نِسَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ وَفِعَالِ الْمُشْرِكِينَ ، قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ "وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ" عَنِ الْفَوَاحِشِ . وَقَالَ قَتَادَةُ وَسُفْيَانُ : عَمَّا لَا يَحِلُّ لهن . وقال مقاتل : عن الزنا ، وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ : كُلُّ آيَةٍ نَزَلَتْ فِي الْقُرْآنِ يُذَكِّرُ فِيهَا حِفْظُ الْفُرُوجِ فَهُوَ مِنَ الزَّنا إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ أَنْ لَا يَرَاهَا أَحَدٌ . (١)

❖ فائدة :

قال ابن القيم في الداء والدواء : أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر المؤمنين بغض أبصارهم وحفظ فروجهم ، ولما كان مبدأ ذلك من قبل البصر جعل الأمر بغضه مقدماً على حفظ الفرج ، فإنَّ الحوادث مبدؤها من النظر ، فتكون نظرة ثم خطرة ثم خطوة ثم خطيئة . ولهذا قيل : من حفظ هذه الأربعة أحرز دينه : اللحظات والخطرات واللفظات والخطوات .

❖ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ}

لَهُ قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ - رحمه الله تعالى - :

أَيُّ الَّذِينَ قَدْ حَفَظُوا فُرُوجَهُمْ مِنَ الْحَرَامِ فَلَا يَقَعُونَ فِيهَا نَهَاهُمُ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ زَنَا وَلُوطًا . لَا يَقْرَبُونَ سِوَى أَزْوَاجِهِمُ الَّتِي أَحَلَّهَا اللَّهُ لَهُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمُ مِنَ السَّرَّارِيِّ . وَمَنْ تَعَاطَى مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُ فَلَا لُومَ عَلَيْهِ وَلَا حَرَجَ . وَلِهَذَا قَالَ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ .

وقيل : أَيُّ يَكْتُمُونَهَا عَنِ الْحَرَامِ وَيَمْنَعُونَهَا أَنْ تَوْضِعَ فِي غَيْرِ مَا أذنَ اللَّهُ فِيهِ .

* وَقَدْ اسْتَدَلَّ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَمَنْ وَافَقَهُ : عَلَى تَحْرِيمِ الْإِسْتِمْنَاءِ بِالْيَدِ بِهَذِهِ الْآيَةِ .

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية (٦ / ٤١)

﴿قوله تعالى : {وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا}

يَقُولُ تَعَالَى نَاهِيَا عِبَادَهُ عَنِ الزَّانَا وَعَنِ مَقَارِبَتِهِ وَمَخَالِطَةِ أَسْبَابِهِ وَدَوَاعِيهِ وَلَا تَقْرُبُوا

الزَّانِي إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً : أي ذنبا عظيما . "وَسَاءَ سَبِيلًا" : أي بئس طريقا وَمَسْلَكًا . (١)

﴿قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يُسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يُسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ.. "﴾

هَذَا الْحَدِيثُ مِمَّا اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي مَعْنَاهُ فَالْقَوْلُ الصَّحِيحُ الَّذِي قَالَهُ الْمُحَقِّقُونَ : أَنَّ مَعْنَاهُ لَا يَفْعَلْ هَذِهِ الْمُعَاصِي وَهُوَ كَامِلُ الْإِيمَانِ وَهَذَا مِنَ الْأَلْفَافِ الَّتِي تُطْلَقُ عَلَى نَفْيِ الشَّيْءِ وَيُرَادُ نَفْيُ كَمَالِهِ مَعَ إِجْمَاعِ أَهْلِ الْحَقِّ عَلَى أَنَّ الزَّانِيَّ وَالسَّارِقَ وَالْقَاتِلَ وَغَيْرَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْكِبَايِرِ غَيْرُ الشُّرَكَ لَا يَكْفُرُونَ بِذَلِكَ بَلْ هُمْ مُؤْمِنُونَ نَاقِصُوا الْإِيمَانَ إِنْ تَابُوا سَقَطَتْ عُقُوبَتُهُمْ وَإِنْ مَاتُوا مُصْرِينَ عَلَى الْكِبَايِرِ كَانُوا فِي مَشِيئَتِهِ .

﴿وَتَأْوَلُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ هَذَا الْحَدِيثَ عَلَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مُسْتَحِلًّا لَهُ مَعَ عِلْمِهِ بِوُرُودِ الشَّرْعِ

بِتَحْرِيمِهِ

تنبيه : بم تحفظ الفروج ؟

إذا كان الإسلام قد أمر بحفظ الفروج من الزَّانَا وما يشبهه ويلحق به من سفاح ، وبغاء ، ولواط ، ومساحقة ، واستمناء ، وعهارة ، فإنه قد أوضح بجلاء لا ريب فيه الطرق الكفيلة بحماية الفرد والمجتمع من هذه الآفات المهلكة، فحثَّ على العِفَّة والطَّهارة، وأمر بغَضِّ البصر ونهى عن التَّبَرُّج وغلظ عقوبة الزَّانَا ، ليس ذلك فحسب، ولكنَّه حثَّ على الزَّواج لمن يقدر عليه تحصينا لفرجه، وبالصَّوم لمن لا يقدر على الزَّواج، (٢)

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية (٥ / ٦٧)

(٢) شرح النووي على مسلم (٢ / ٤١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٥ / ١٦٥٥)

الثَّامِنُ وَالثَّلَاثُونَ مِنْ شُعْبِ الْإِيمَانِ

قَبْضُ الْيَدِ عَنِ الْأَمْوَالِ وَيَدْخُلُ فِيهَا

تَحْرِيمُ السَّرْقَةِ وَقَطْعُ الطَّرِيقِ وَأَكْلُ الرِّشَا وَأَكْلُ مَا لَا يَسْتَحِقُّهُ شَرَعًا

لِقَوْلِهِ تَعَالَى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ }

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: { فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا }. النِّسَاء ١٦٠ - ١٦١

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: { وَيَلٌَّ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ } .

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: { وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ } .

وَلِحَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: " عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْى فَقَالَ: " أَنْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ " الْحَدِيثُ

◀ قوله السرقة :

قال الكفوي: السرقة: أخذ مال معتبر من حرز أجنبي لا شبهة فيه خفية وهو قاصد للحفظ، في نومه أو غفلته.

◀ قوله الرشوة: وقال الجرجاني: الرشوة: ما يعطى لإبطال حق أو إحقاق باطل .

❧ مسألة: حكم السرقة والرشوة وقطع الطريق ؟

عدها أهل العلم من الكبائر التي يجب فيها الحد. وذكرها الذهبي في كتابه الكبائر

◀ قوله تعالى: { وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ }

قال ابن كثير: نَهَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ أَنْ يَأْكُلُوا أَمْوَالَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا بِالْبَاطِلِ، أَي: بِأَنْوَاعِ الْمَكَاَسِبِ الَّتِي هِيَ غَيْرُ شَرْعِيَّةٍ، كَأَنْوَاعِ الرِّبَا وَالْقِمَارِ، وَمَا جَرَى مَجْرَى ذَلِكَ مِنْ سَائِرِ

صُنُوفِ الْحَيْلِ، وَإِنْ ظَهَرَتْ فِي غَالِبِ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ مِمَّا يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّ مُتَعَاطِيَهَا إِنَّمَا يُرِيدُ الْحَيْلَةَ عَلَى الرَّبِّ، حَتَّى قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ:.. عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - فِي الرَّجُلِ يَشْتَرِي مِنَ الرَّجُلِ الثَّوبَ يَقُولُ: إِنْ رَضِيتُهُ أَخَذْتُهُ وَإِلَّا رَدَدْتُهُ وَرَدَدْتُ مَعَهُ ذِرْهَمًا - قَالَ: هُوَ الَّذِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ}

◀ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ} .

◀ وَقَوْلُهُ {وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ} .

❦ قال الامام السعدي :

وإذا كان هذا الوعيد على الذين يبخسون الناس بالمكيال والميزان، فالذي يأخذ أموالهم قهراً أو سرقة، أولى بهذا الوعيد من المطففين. وهذا أمر بالعدل وإيفاء المكايل والموازين بالقسط من غير بخس ولا نقص. ويؤخذ من عموم المعنى النهي عن كل غش في ثمن أو مئتمن أو معقود عليه والأمر بالنصح والصدق في المعاملة.

{ذَلِكَ خَيْرٌ} من عدمه {وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} أي: أحسن عاقبة به يسلم العبد من التبعات وبه تنزل البركة. (١)

◀ وَلِحَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: "عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْى فَقَالَ: "إِنْ دِمَاءُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ وَأَعْرَاضُكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ"

❦ قال الشيخ العثيمين : كان صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يخطب الناس. فخطبهم في عرفة، وخطبهم في منى، وتضمن هذا الحديث إعلان رسول الله صلى الله عليه وسلم تحريم الدماء والأموال والأعراض في حجة الوداع في أكبر مجتمع حصل بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين الصحابة لأن الذين حجوا معه قريب من مائة ألف.

(١) (تفسير ابن كثير - وتفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٥٧)

● وظاهر هذا الحديث أنه يجب على الإنسان أن يتحلل من ظلم أخيه وذلك كأن المظالم إما أن تكون بالنفس، أو بالمال، أو بالعرض؛

➤ فإن كانت بالنفس: مثل أن يكون قد جني عليه، أو ضربه حتى جرحه، أو قطع عضواً من أعضائه، أو قتل له قتيلاً، فإنه يتحلل منه بأن يمكن صاحب الحق من القصاص، أو من بذل الدية إذا لم يكن القصاص.

➤ أما إن كانت في المال: فإنه يعطيه ماله، إذا كان عنده مال لأحد، فالواجب أن يعطيه صاحبه، فإن غاب عنه ولم يعرف مكانه وأيس منه فإنه يتصدق به عنه، والله سبحانه وتعالى يعلم ويؤدي إلى صاحب الحق حقه، وإن كان قد مات أي صاحب الحق، فإنه يوصله إلى ورثته؛ لأن المال بعد الموت ينتقل إلى الورثة، فلا بد أن يسلمه للورثة، فإن لم يعلمهم بأن جهلهم ولم يدر عنهم تصدق به عنهم، والله تعالى يعلمهم ويعطيهم حقهم.

➤ أما إن كانت في العرض: مثل أن يكون قد سب شخصاً في مجلس أو اغتابه، فلا بد أن يتحلل منه إذا كان قد علم بأنه سبه، فيذهب إليه ويقول: إنا فعلت كذا وفعلت كذا، وأنا جئتكم معذراً، فإن عذره فهذا من نعمة الله على الجميع؛ لأن الله يقول: (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)، وإن لم يعف فليعطه مالاً، ليشبعه من المال حتى يحلله، فإن أبى فإن الله تعالى إذا علم أن توبة الظالم توبة حقيقية، فإنه سبحانه وتعالى يرضي المظلوم يوم القيامة.

وقال بعض العلماء في مسألة العرض: أن كان المظلوم لم يعلم فلا حاجة أن يعلمه، مثل أن يكون قد سبه في مجلس من المجالس، وتاب فإنه لا حاجة أن يعلمه، ولكن يستغفر له ويدعو له، ويشي عليه بالخير في المجالس التي كان يسبه فيها، وبذلك يتحلل منه.

ألا إن الأمر خطير، وحقوق الناس لا بد أن تعطى لهم، إما في الدنيا وإما في الآخرة. (١)

(١) شرح رياض الصالحين (٦/ ١٢٧)

التاسع والثلاثون من شعب الإيمان

وجوب التورع في المطاعم والمشارب والإجتناب عما لا يحل منها

لَقَوْلِهِ تَعَالَى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ} المائدة: ٣

وقوله تَعَالَى: {قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ} الأنعام

وقوله تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} الآيات [المائدة: ٩٠-٩٢]

وقوله تَعَالَى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ} [البقرة: ٢١٩]
(فَأُثْبِتَ فِيهَا الْإِثْمَ)

وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ..} [سورة الأعراف: ٣٣]. (فَحَرَّمَ الْإِثْمَ نَصًا).

وَلِحَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي "الصَّحِيحَيْنِ": "سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْبَتَعِ؟ فَقَالَ: "كُلُّ شَرَابٍ أَسْكِرَ فَهُوَ حَرَامٌ".

وَحَدِيثُهُ فِي "الصَّحِيحَيْنِ": "مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا، حُرِّمَ فِي الْآخِرَةِ"

وَفِي "الصَّحِيحَيْنِ" مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيهَا: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَسَلَّمَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ بِإِيلِيَاءَ بَقْدَحِينَ مِنْ خَمْرٍ وَلَبَنٍ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا ثُمَّ أَخَذَ اللَّبَنَ، فَقَالَ لَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَذَاكَ لِلْفِطْرَةِ لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ لَغَوَتْ أُمَّتُكَ"

وَقِيلَ لِبَعْضِ الْعَرَبِ: "لَمْ لَا تَشْرَبِ النَّبِيذَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَرْضَى عَقْلِي صَحِيحًا فَكَيْفَ أَدْخَلَ إِلَيْهِ

مَا يُفْسِدُهُ؟"

وَفِي "الصَّحِيحَيْنِ" مِنْ حَدِيثِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : "إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ وَبَيْنَ ذَلِكَ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِعَرْضِهِ وَدِينِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ أَلَا وَإِنْ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى وَحِمَى اللَّهِ فِي الْأَرْضِ حِمَارَهُ"

وَفِي "الصَّحِيحَيْنِ" مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ : "إِنِّي لَأَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِي ، فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً عَلَى فِرَاشِي ، أَوْ فِي بَيْتِي ، فَأَرْفَعُهَا لِأَكْلِهَا ، ثُمَّ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ ، فَأَلْقِيهَا".

وَفِي "صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ" عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : "كَانَ لِابْنِي بَكْرٍ غُلَامٌ يُخْرِجُ لَهُ الْخُرَاجَ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خُرَاجِهِ ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ : أَتَدْرِي مَا هَذَا ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ كُنْتُ تَكْهَنُ لِلنَّاسِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَمَا أَحْسَنَ الْكِهَانَةَ ، إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ فَلَقِينِي فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ ، فَهَذَا الَّذِي أَكَلْتُ مِنْهُ قَالَ : فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ"

وَعَنْ الْفَضِيلِ بْنِ عِيَّاضٍ قَالَ : "سُئِلَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ عَنْ فَضْلِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ ، فَقَالَ : انْظُرْ كَسْرَتَكَ الَّتِي تَأْكُلُ مِنْ أَيْنَ تَأْكُلُهَا وَصَلِ فِي الصَّفِّ الْآخِرِ". (إسناده حسن)

وَعَنْ سُرِيِّ السَّقَطِيِّ : "أَنَّهُ كَانَ لَا يَأْكُلُ مِنْ بَقْلِ السَّوَادِ ، وَلَا مِنْ ثَمَرِهِ ، وَلَا مِنْ شَيْءٍ يَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْهُ ، وَيَشْدُدُ فِي ذَلِكَ ، وَكَانَ غَايَةً فِي الْوَرَعِ ، وَمَعَ ذَلِكَ قَالَ : كُنْتُ بِطَرَسُوسَ ، وَكَانَ مَعِيَ فِي الدَّارِ فَتَيَانٌ يَتَعَبَّدُونَ ، وَكَانَ فِي الدَّارِ تَنُورٌ يُخْبِزُونَ فِيهِ ، فَانْكَسَرَ التَّنُورُ ، فَعَمَلْتُ بَدْلَهُ مِنْ مَالِي ، فَتَوَرَعُوا أَنْ يُخْبِزُوا فِيهِ" (صحيح)

◀ وَعَنْهُ قَالَ : "كَانَ أَبُو يُوسُفَ الْغَسُولِي يُلْزَمُ الشَّجَرَ وَيَغْزُو ، فَكَانَ إِذَا غَزَا مَعَ النَّاسِ وَدَخَلُوا بِلَادَ الرُّومِ أَكَلَ أَصْحَابَهُ مِنْ ذَبَائِحِهِمْ وَفَوَاكِهِمْ ، وَهُوَ لَا يَأْكُلُ فَيُقَالُ لَهُ : يَا أَبَا يُوسُفَ أَتَشْكُ أَنَّهُ حَلَالٌ ؟ فَيَقُولُ لَا . فَيُقَالُ لَهُ : فَكُلْ مِنَ الْحَلَالِ فَيَقُولُ : إِنَّهَا الرِّهْدُ فِي الْحَلَالِ" (صحيح الإسناد)

وَعَنْ بَشْرِ بْنِ الْحَارِثِ الْخَافِيِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: (سَمِعْتُ الْمُعَاوِيَةَ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْقُرَيْشِ يَقُولُ: "كَانَ عَشْرَةٌ فِيمَنْ مَضَى مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَنْظُرُونَ الْحَلَالَ الشَّدِيدَ لَا يَدْخُلُونَ بَطُونَهُمْ إِلَّا مَا يَعْرِفُونَ أَنَّهُ مِنَ الْحَلَالِ، وَإِلَّا اسْتَفْوَا الثُّرَابَ، ثُمَّ عَدَّ بَشَرٌ، إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدَهَمَ، وَسَلِيمَانَ الْخَوَاصَّ، وَعَلِيَّ بْنَ فَضِيلِ بْنِ عِيَّاضٍ، وَأَبَا مُعَاوِيَةَ الْأَسْوَدَ، وَيُوسُفَ بْنَ أَسْبَاطٍ، وَوَهَّابَ بْنَ الْوُرْدِ، وَحُدَيْفَةَ شَيْخَا مِنْ أَهْلِ حِرَانَ، وَدَاوُدَ الطَّائِيَّ، وَعَدَّ بَشَرٌ عَشْرَةً). (إسناده حسن)

وَعَنْ يَحْيَى بْنِ مَعِينٍ الْمُحَدِّثُ :

يَوْمًا وَتَبَقِيَ فِي عَدِّ أَتَامِهِ	✱	الْمَالُ يَذْهَبُ حَلَّةً وَحَرَامَةً
حَتَّى يَطِيبَ شَرَابَهُ وَطَعَامَهُ	✱	لَيْسَ التَّقِيُّ بِمَتَّقٍ لِإِلَهِهِ
وَيَكُونُ فِي حَسَنِ الْحَدِيثِ كَلَامُهُ	✱	وَيَطِيبُ مَا تَحْوِي وَتَكْسِبُ كَفَّهُ

تعريف الورع :

الورع لغة: مصدر قولهم: ورع يروع وهو مأخوذ من مادة (ورع) التي تدل على الكف والانتقاض، قال ابن فارس: ومنه (أي من هذا المعنى) الورع: العفة، وهي الكف عما لا ينبغي. واصطلاحاً: قال ابن تيمية: هو الورع عما قد تخاف عاقبته وهو ما يعلم تحريمه وما يشك في تحريمه، وليس في تركه مفسدة أعظم من فعله، وكذلك الاحتياط بفعل ما يشك في وجوبه لكن على هذا الوجه.

وقال ابن القيم: ترك ما يخشى ضرره في الآخرة .

كمال الورع:

قال الجرجاني: هو اجتناب الشبهات خوفاً من الوقوع في المحرمات.

قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى - الواجبات والمستحبات لا يصلح فيها زهد ولا ورع، وأما المحرمات والمكروهات فيصلح فيها الزهد والورع .

أنواع الورع ودرجاته:

قسّم الرّاعب الأصفهايّ الورع إلى ثلاث مراتب:

- ١ - واجب: وهو الإحجام عن المحارم، وذلك للنّاس كافّة.
- ٢ - مندوب: وهو الوقوف عن الشّبّهات، وذلك للأواسط.
- ٣ - فضيلة: وهو الكفّ عن كثير من المباحات والاقتصار على أقلّ الضّرورات، وذلك للنبّيين والصّدّيقين والشّهداء والصّالحين.

❦ وفي "الصّحيحين" من حدّث النّعمان بن بشير رضي الله عنه: "إنّ الحلال بين وإنّ الحرام بين وبين ذلك مُشْتَبّهات لا يعلمها كثير من النّاس فمن اتقى الشُّبّهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ((..))

وقوله: "فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه" مما يشتهه.

وأما قوله: "ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام" فذلك يكون بوجهين أحدهما:

أن من لم يتق الله وتجراً على الشبهات أفضت به إلى المحرمات ويحمله التساهل في أمرها على الجرأة على الحرام كما قال بعضهم: الصغيرة تجر الكبيرة والكبيرة تجر الكفر وكما روي "المعاصي بريد الكفر".

الوجه الثاني: أن من أكثر من مواجهة الشبهات أظلم عليه قلبه لفقدان نور العلم ونور الورع فيقع في الحرام وهو لا يشعر به وقد يآثم بذلك إذا تسبب منه إلى تقصير.

فإن شك في شيء فلا يدري أحلال أم حرام ويحتمل الأمرين جميعاً ولا دلالة على أحدهما فالأحسن التنزه كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم في التمرة الساقطة حين وجدها في بيته فقال: "لولا أي أخشى أن تكون من الصدقة لأكلتها" (١).

(١) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص: ٤٧)

﴿ وَفِي "صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ" عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: "كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ غُلَامٌ يُخْرِجُ لَهُ الْخُرَاجَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خُرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ: أَتَدْرِي مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ كُنْتُ تَكْهَنْتُ لِلنَّاسِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَا أَحْسَنَ الْكُهَانَةَ، إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ فَلَقِينِي فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ، فَهَذَا الَّذِي أَكَلْتُ مِنْهُ قَالَتْ: فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ" ﴾

﴿ قَالَ الشَّيْخُ الْعِثْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَعَلَ أَبُو بَكْرٍ أَنَّهُ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي فَمِهِ فَقَاءَ، كُلَّ مَا أَكَلَ قَاءَهُ وَأَخْرَجَهُ مِنْ بَطْنِهِ لِمَاذَا؟ لثَلَا يَتَغَذَى بِطْنِهِ بِحَرَامٍ. وَهَذَا مَالٌ حَرَامٌ؛ لِأَنَّهُ عَوِضٌ عَنْ حَرَامٍ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ اللَّهَ إِذَا حَرَّمَ شَيْئًا حَرَّمَ ثَمَنَهُ)). فَالْأَجْرَةُ عَلَى فِعْلِ الْحَرَامِ حَرَامٌ، وَمِنْ ذَلِكَ تَأْجِيرُ بَعْضِ النَّاسِ دَكَائِنَهُمْ عَلَى الْحَلَاقِينَ الَّذِينَ يَخْلُقُونَ اللَّحَى، فَإِنْ هَذِهِ الْأَجْرَةُ حَرَامٌ وَلَا تَحِلُّ لِمَالِكٍ الدَّكَانَ؛ لِأَنَّهُ اسْتَوْجَرَ مِنْهُ لِعَمَلٍ مُحَرَّمٍ. وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا: تَأْجِيرُ الْبَنُوكِ فِي الْمَحَلَّاتِ، فَإِنْ تَأْجِيرُ الْبَنُوكِ حَرَامٌ؛ لِأَنَّ الْبَنِكَ مَعَامَلَتُهُ كُلُّهَا أَوْ غَالِبُهَا حَرَامٌ، وَإِذَا وَجَدَ فِيهِ مَعَامَلَةً حَلَالًا؛ فَهِيَ خِلَافُ الْأَصْلِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ أَنْشِئَ هَذَا الْبَنِكَ، الْأَصْلُ فِي إِنْشَاءِ الْبَنُوكِ أَنَّهَا لِلرَّبِّ، فَإِذَا أُجِّرَ الْإِنْسَانُ بَيْتَهُ أَوْ دَكَانَهُ لِلْبَنِكَ فَتَعَامَلَ فِيهِ بِالرَّبِّ فَإِنْ الْأَجْرَةُ حَرَامٌ وَلَا تَحِلُّ لِمَالِكٍ الْبَيْتِ أَوْ صَاحِبِ الدَّكَانِ. وَكَذَلِكَ مَنْ أُجِّرَ شَخْصًا بِبَيْعِ الْمَجَلَّاتِ الْخَلِيعَةِ أَوْ الْمَفْسَدَةِ فِي الْأَفْكَارِ الرَّدِيئَةِ وَمَصَادِمَةِ الشَّرْعِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ تَأْجِيرُ الْمَحَلَّاتِ لِمَنْ يَبِيعُ هَذِهِ الْمَجَلَّاتِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ (وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) (المائدة: ٢)، وَتَأْجِيرُ الْمَحَلَّاتِ لَهُؤُلَاءِ مَعُونَةٌ لَهُمْ، فَإِذَا اشْتَبَهَ مَبَاحٌ بِمُحَرَّمٍ وَتَعَذَّرَ التَّمْيِيزُ، فَإِنَّهُ مِنْ تَمَامِ الْيَقِينِ وَالتَّقْوَى أَنْ تَدَعَ الْحَلَالَ خَوْفًا مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْحَرَامِ. وَهَذَا أَمْرٌ وَاجِبٌ، كَمَا قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: إِنَّهُ إِذَا اشْتَبَهَ مَبَاحٌ بِمُحَرَّمٍ وَجِبَ اجْتِنَابُ الْجَمِيعِ؛ لِأَنَّ اجْتِنَابَ الْمُحَرَّمِ وَاجِبٌ، وَلَا يَتِمُّ إِلَّا بِاجْتِنَابِ الْمَبَاحِ، وَمَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ. (١)

(١) شرح رياض الصالحين (٣/ ٥٠٥)

الأربعون من شعب الإيمان

تَحْرِيمُ الْمَلَابِسِ وَالزِّي وَالْأَوَانِي وَمَا يَكْرَهُ مِنْهَا

لَحَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فِي "الصَّحِيحَيْنِ": (مَنْ لَبَسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا فَلَنْ يَلْبَسَهُ فِي الْآخِرَةِ) وَلَحَدِيثِ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ وَلَا الدِّيَابِجَ وَلَا تَشْرَبُوا فِي آتِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَلَا تَأْكُلُوا فِي صَحَافِهَا فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهِيَ لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ) وَحَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي "صَحِيحِ مُسْلِمٍ" (إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ))

وَحَدِيثِ أَبِي بَرْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي "الصَّحِيحَيْنِ" قَالَ: (أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ كَسَاءً مَلْبَدًا وَإِزَارًا غَلِيظًا فَقَالَتْ قَبِضْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَيْنِ)) وَحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ فِيهِمَا: (لَا يَنْظُرُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلًا).

◀ قوله : تحريم الملابس .

من النعم التي أنعم الله بها على عباده فقال تعالى (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ) .

✽ أحكام الباس :

فمنه ما هو واجب، ومنه ما هو مندوب، ومنه ما هو حرام، ومنه ما هو مباح.

لله أما اللباس الواجب: كما قال ابن جُرَيٍّ ما يستر العورة، ويقي الحر والبرد، ويستدفع به الضرر في الحرب وغيرها.

حَدَّثَنَا بِهِزُّ بْنُ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ عَوْرَاتُنَا مَا نَأْتِي مِنْهَا وَمَا نَذَرُ قَالَ احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوْجَتِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَدُنَا إِذَا كَانَ خَالِيًا قَالَ: "اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَى مِنْهُ مِنَ النَّاسِ". صححه الألباني في السنن .

لللباس المندوب والمستحب : اللباس الساتر للجسد، والتجمل بالثياب في الجمعة والعيدين. ولبس الثياب البيض للرجال لكونها من سنته، ومن أحب الثياب إلى نفسه الشريفة.

لللباس الحرام : كما قال ابن قدامة نوعان :

أحدهما : ما يحرم على الرجال والنساء معاً، وهو النجس والمغصوب وما كان من ألبسة المشركين خاصة حتى صارت سمة لهم كالبرنيطة، والجنز .

وكذلك ما يحرم على الرجال والنساء لبس ثياب التشبه كالبنطال وغيره...، لقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، ولعن المتشبهات من النساء بالرجال "

* ولباس ثوب الشهرة : فعن ابن عمر قال رضي الله عنهما : « مَنْ لَبَسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ فِي الدُّنْيَا، أَلْبَسَهُ اللَّهُ ذُلًّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » حسنه الالباني.

وثانيهما : ما يحرم على الرجال خاصة، وهو الحرير والمنسوج بالذهب والمموه به، وهو حرام لبسه عليهم، وافتراشه في الصلاة وغيرها.

أيضاً " ما كان أسفل الكعبين " قال ابن عبد البر : هذا بالإجماع.

* ويحرم على النساء ما كان يصف مفاتن المرأة وجسدها، أو يظهر شيء من عورتها :

لحديث أبي هريرة، قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَا أَرَاهُمَا بَعْدُ، نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مَائِلَاتٌ، مُمِيلَاتٌ، عَلَى رُءُوسِهِنَّ أَمْثَالُ أَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَرَيْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا .. " أخرجه مسلم

قوله : " كاسيات عاريات " قال البغوي في " شرح السنة " :

يريد اللائي يلبسن ثياباً رقاقاً تصف ما تحتها، فهن كاسيات في الظاهر، عاريات في الحقيقة.

وقد سئل الشيخ الفوزان في المنتقى من الفتاوى - (٦١ / ١).

هل لبس الملابس الضيقة للنساء أمام النساء تدخل في حديث الرسول ﷺ الذي يقول فيه : (نساء كاسيات عاريات ..؟)

لا شك أن لبس المرأة للشيء الضيق الذي يبين مفتن جسمها لا يجوز، لا يجوز إلا عند زوجها فقط، أما عند غير زوجها؛ فلا يجوز، حتى ولو كان بحضرة نساء؛ لأنها تكون قدوة سيئة لغيرها، إذا رأيها تلبس هذا؛ يقتدين بها، وأيضاً؛ هي مأمورة بستر عورتها والساتر عن كل أحد؛ إلا عن زوجها، تستر عورتها عن النساء كما تسترها عن الرجال؛ إلا ما جرت العادة بكشفه عن النساء؛ كالوجه واليدين والقدمين؛ مما تدعو الحاجة إلى كشفه.

وسئل الشيخ العثيمين رحمه الله في لقاء الباب المفتوح (٩٥ / ٢٠):

- هل يجوز لبس البنطلون بالنسبة للمرأة أو للتزين لزوجها؟

وأما لبس البنطلان للمرأة : فهو حرام فيما نرى؛ لأن الرسول ﷺ: (لعن المتشبهات من النساء بالرجال)، ولأنه ذريعة إلى أن تلبس المرأة بنطال ضيقاً يصف حجم أفخاذها وعجزتها، ولا يغرنك قول بعض النساء: أنا ألبس بنطال واسعاً فضفاضاً، فإن هذا وإن صح في امرأة من عشر نساء فإنه في المستقبل سوف لا يصح في أي امرأة، ثم إن علة التشبه توجب المنع سواء كان ذلك البنطلون واسعاً أو غير واسع .

وأما لبس البنطلان أمام الزوج محرم أيضاً ومن العجب أن بعض النساء يقلن: إن هذا هو رغبة الزوج، وإني لأعجب من الزوج أن يختار هذا اللباس لامرأته وهو لبس رجل، وأقول للزوج: إنه يباح لك ما تقضي به وطرك وتقوى به شهوتك يباح لك ما هو أعظم من هذا، اجعلها تلبس ثوباً خفيفاً رهيفاً وهذا أدعى إلى جماعها والرغبة فيها من لبس هذا البنطلون، لكن الشيطان يزين للناس بعض الأعمال المنكرة نسأل الله السلامة .

§ وقد رجع تحريم لبس البنطال حتى أمام الزوج الشيخ بن باز، وشيخنا يحيى الحجوري رحمهم الله، والفوزان حفظه الله .

وأما الثياب الضيقة التي تصف أعضاء الجسم وتصف جسم المرأة وعجزتها وتقاطيع أعضائها : لا يجوز لبسها، والثياب الضيقة لا يجوز لبسها للرجال ولا للنساء، ولكن النساء أشد؛ لأن الفتنة بهن أشد

أما الثياب القصيرة : بالنسبة للذكور فليس فيها شيء، بل إن النبي ﷺ قال : (أزرة المؤمن إلى نصف الساق)، وأما بالنسبة للنساء فهذا لا شك أنه خلاف المشروع، وأن نساء الصحابة كن يلبسن الثياب إلى الكعب، وإذا خرجن إلى السوق يرخينه إلى ذراع؛ حتى لا تنكشف أقدامهن . ومن أنواع اللباس المحرم :

وسئل فضيلة الشيخ العثيمين ما حكم إلباس الصبي الثياب التي فيها صور لذوات الأرواح ؟ أجاب : لا يجوز شراء الملابس التي فيها صور ورسوم ذوات الأرواح من الآدميين أو البهائم أو الطيور؛ لأنه يحرم التصوير واستعماله؛ للأحاديث الصحيحة التي تنهى عن ذلك وتتوعد عليه بأشد الوعيد؛ فقد "لعن رسول الله المصورين"

وأخبر أنهم "أشد الناس عذاباً يوم القيامة ؛ فلا يجوز لبس الثوب الذي فيه صورة، ولا يجوز إلباسه الصبي الصغير، والواجب شراء الملابس الخالية من الصور، وهي كثيرة . والذي ينبغي للمسلمين أن يقاطعوا مثل هذه الثياب وهذه الأحذية حتى لا يدخل علينا أهل الشر والفساد من هذه النواحي ، وهي إذا قوطعت فلن يجدوا سبيلاً إلى إيصالها إلى هذه البلاد وتهوين أمرها بينهم . والله الحمد .

لللباس المباح: جميع أنواع اللباس مباحة عدا ما جاء الدليل بتحريمه . (١)

(١) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (٥ / ٢٣١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين - (١٢ / ١٣٠٢٧٤)

◀ قوله : (لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ وَلَا الدِّيَابَجَ وَلَا تَشْرَبُوا فِي آتِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَلَا تَأْكُلُوا فِي صَحَافِهَا فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهِيَ لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ)

✎ قال النووي :

لبس الحرير والذهب إن هذين حراماً على ذكور أمتي حلٍ لإناثها وأما لبس الحرير والإستبرق والديباج والقسي وهو نوع من الحرير فكله حرام على الرجال سواء لبسه للخيل أو غيرها إلا أن يلبسه للحكة فيجوز في السفر والحضر .
وأما النساء فيباح هن لبس الحرير وجميع أنواعه .
سواء العجوز والغنيمة والفقيرة وهو مذهب الجماهير ثم انعقد الإجماع على إباحته للنساء وتحريمه على الرجال (١)

▼ تنبيه :

لكن إذا كان لبس الحرير للتداوي كالحكة ونحوها فلا بأس في حق الرجل ؛ « لأن النبي صلى الله عليه وسلم رخص للزبير وطلحة في لبس الحرير ؛ لأجل حكمة كانت بهما » متفق عليه .
قال ابن بطال : العلماء متفقون أنه لا يجوز الأكل والشرب في آتية الذهب والفضة ؛ لأن ذلك من باب السرف ، إذ جعل الله الذهب والفضة قواماً للناس وأثماناً لمعايشهم وقياً للأشياء .
وقوله : (هن لهم في الدنيا وهن لكم في الآخرة) وهو مثل قوله عليه السلام في الحرير : (إنما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة) وهم الكفار ؛ لأنه لما كان الحرير من لباسهم في الدنيا ، وآثروه على ما أعد الله في الآخرة لأوليائه ، وأحبوا العاجلة ؛ ذمهم النبي بذلك ، ونهى المسلمين أن يتشبهوا بالكفار المؤثرين الدنيا على الآخرة ، ولئلا يدخلوا تحت قوله تعالى : (أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا)

(١) شرح النووي على مسلم (١٤ / ٦٠)

❖ قوله: (وَلَا تَشْرَبُوا فِي آتِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَلَا تَأْكُلُوا فِي صَحَافِهَا فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهِيَ لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ)

العلماء متفقون أنه لا يجوز الأكل والشرب في آتية الذهب والفضة؛ لأن ذلك من باب السرف، إذ جعل الله الذهب والفضة قواماً للناس وأثماناً لمعايشهم وقيماً للأشياء، فكره استعمالها في غير ذلك إلا ما أباحته السنة للرجال من السيف والخاتم والمصحف، والحلى للنساء. (١)

❖ وَحَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ فِيهِمَا: (لَا يَنْظُرُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلًا)

قال النووي رحمه الله: وفي رواية "أَنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى مَنْ يَجُرُّ إِزَارَهُ بَطَرًا"

وَفِي رِوَايَةٍ "عَنْ ابْنِ عُمَرَ مَرَرْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي إِزَارِي اسْتِرْخَاءً فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ ارْفَعْ إِزَارَكَ فَرَفَعْتُهُ ثُمَّ قَالَ زِدْ فَزِدْتُ فَمَا زِلْتُ أَحْمَرَاهَا بَعْدُ فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ أَيْنَ فَقَالَ أَنْصَافُ السَّاقَيْنِ"

قَالَ الْعُلَمَاءُ الْخِيَلُ بِالْمَدِّ "وَالْمَخِيلَةُ وَالْبَطَرُ وَالْكِبَرُ وَالزَّهْوُ وَالتَّبَخُّرُ" كُلُّهَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ وَهُوَ حَرَامٌ. قال الشيخ العثيمين رحمه الله:

❖ وهذه مسألة خطيرة: وذلك أن الرجل منهي عن أن ينزل ثوبه أو سرواله أو مشلحه أو إزاره عن الكعب، لا بد أن يكون من الكعب فما فوق، فمن نزل عن الكعب؛ فإن فعله هذا من الكبائر والعياذ بالله.

لأنه إن نزل كبراً وخيلاً فإنه لا ينظر الله إليه يوم القيامة، ولا يكلمه، ولا يزكيه، وله عذابٌ أليم، وإن كان نزل لغير ذلك كأن يكون طويلاً ولم يلاحظه، فإنه ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((ما أسفل الكعبين من الإزار ففي النار)) فكانت العقوبة حاصلة على كل حال فيما نزل عن الكعبين، لكن إن كان بطراً وخيلاً فالعقوبة أعظم؛ لا يكلم الله صاحبه يوم القيامة، ولا ينظر إليه، ولا يزكيه، وله عذابٌ أليم،

(١) شرح صحيح البخارى لابن بطال (٦ / ٨١)

❦ وإن كان غير خيلاء، فإنه يعذب بالنار والعياذ بالله. فإذا قال قائل: ما هي السنة؟ قلنا: من الكعب إلى نصف الساق هذه هي السنة، نصف الساق سنة، وما دونه سنة، وما كان إلى الكعبين فهو سنة؛ لأن هذا هو لبس النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فإنهم كانوا لا يتجاوز لباسهم الكعبين، ولكن يكون إلى نصف الساق أو يرتفع قليلاً. (١)



الحادي والأربعون من شعب الإيمان

تحريم الملاعب والملاهي المخالفة للشريعة

قال تعالى: {قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التَّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} . الجمعة ١١
ولحديث سليمان بن بريدة في "صحيح مسلم" عن أبيه بريدة بن الحصيب رضي الله عنه: "من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه".

❦ اللهو واللعب:

هو أن يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه ويبارس من الأفعال ما لا فائدة فيه مما لا يقصد به مقصد صحيح شرعاً، ويكون ذلك بالإعراض عن الحق والإقبال على الباطل.

❦ الفرق بين اللهو واللعب:

قال الكفوي: اللهو فيه صرف الهمم بما لا يحسن أن يصرف به. واللعب فيه طلب للفرح (أو اللذة) بما لا يحسن أن يطلب به.

وقيل: اللهو: الميل من الجد إلى الهزل، واللعب: ترك ما ينفع إلى ما لا ينفع.

وقيل: اللهو: الإعراض عن الحق، واللعب: الإقبال على الباطل «راجع الفروق»

(١) شرح رياض الصالحين (٣/ ٥٤٨)

﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِّ وَمِنَ التَّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ .

جاء من أسباب نزول هذه الآية :

ما جاء عن جابر، قال: بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) إِذْ أَقْبَلَتْ مِنَ الشَّامِ عِيرٌ تَحْمِلُ طَعَامًا، فَالْتَفَتُوا إِلَيْهَا حَتَّى مَا بَقِيَ مَعَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) إِلَّا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، فَتَزَلَّتْ: (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا .) تقدير الآية عند المبرد: وإذا رأوا تجارة انفضوا إليها، وإذا رأوا لهوًا انفضوا إليه، ثم حذف ضمير الثانى، وآخر ضمير الأول، والمعنى وإذا رأوا ذلك أسرعوا إليه.

واللهو ما يصنع عند النكاح من الدف، وقيل: هو الطبل. وقال قتادة: (وتركوك قائما). قال الحسن: قال النبي - عليه السلام -: (لو اتبع آخرهم أولهم التهب الوادى عليهم نارا) وقال قتادة: لم يبق مع النبي إلا اثنا عشر رجلا وامرأة. وقال الحسن: إن أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء سعر، فلذلك خرجوا إلى العير حين قدمت. (قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة (أى ما عند الله من الثواب والأجر خير من ذلك لمن جلس واستمع الخطبة) والله خير الرازيين

﴿قوله ﷺ: (مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدِ شَبِيرٍ فَكَأَنَّمَا صَبَغَ يَدَهُ فِي لَحْمِ خَنْزِيرٍ وَدَمِهِ)

للهم قال النووي: قَالَ الْعُلَمَاءُ النَرْدَشِيرُ هُوَ النَرْدُ فَالنَرْدُ عَجْمِي مَعْرَب .

"وشير" مَعْنَاهُ حُلُوٌّ وَهَذَا الْحَدِيثُ حُجَّةٌ لِلشَّافِعِيِّ وَالْجُمْهُورِ فِي تَحْرِيمِ اللَّعِبِ بِالنَّرْدِ وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الْمُرُوزِيُّ مِنْ أَصْحَابِنَا يُكْرَهُ وَلَا يَحْرُمُ.

وَأَمَّا السُّطْرُنُجُ: فَمَذْهَبُنَا أَنَّهُ مَكْرُوهٌ لَيْسَ بِحَرَامٍ وَهُوَ مَرْوِيُّ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ التَّابِعِينَ وَقَالَ مَالِكٌ وَأَحْمَدُ حَرَامٌ قَالَ مَالِكٌ هُوَ شَرٌّ مِنَ النَّرْدِ وَأَهْلَى عَنِ الْخَيْرِ وَقَاسُوهُ عَلَى النَّرْدِ.

"وَمَعْنَى صَبَغَ يَدَهُ فِي لَحْمِ الْخَنْزِيرِ وَدَمِهِ" فِي حَالِ أَكْلِهِ مِنْهُمَا وَهُوَ تَشْبِيهُ لِتَحْرِيمِهِ بِتَحْرِيمِ أَكْلِهَا

وَاللَّهُ أَعْلَمُ

وسئل العلامة ابن باز في مجموع فتاوى (١٩ / ٣٩١)

هل يجوز لعب الورق - البلوت -؟ وما حكم لعب الشطرنج؟ مع العلم أنها لا يلهيان عن الصلاة وكان القصد من لعبها التسلية واختبار الذكاء؟

ج: لا تجوز هاتان اللعبتان وما أشبههما لكونهما من آلات اللهو لأي غرض كان، ولما فيهما من البعد عن ذكر الله وعن الصلاة، وإضاعة الأوقات في غير حق، ولما قد تفضي إليه من الشحناء والعداوة، هذا إذا كانت هذه اللعبة ليس فيها عوض، أما إن كان فيها عوض مالي، فإن التحريم يكون أشد؛ لأنها بذلك تكون من أنواع القمار الذي لا شك في تحريمه ولا خلاف فيه.

❖ ومن أنواع اللهو المحرم:

ذهب أكثر علماء الإسلام، وجمهور أئمة الهدى، إلى تحريم الأغاني، وجميع المعازف - وهي آلات اللهو كلها - وأوجبوا كسر آلات المعازف، وقالوا: لا ضمان على متلفها.

وقالوا: إن الغناء إذا انضم إليه آلات المعازف، كالطبل، والمزمار، والعود، وأشباه ذلك، وأنه حرم بالقرآن والسنة والإجماع، ومن الأدلة من القرآن:

قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي هُوَ الْحَدِيثُ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ}

❖ قال ابن كثير:

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى حَالَ السُّعْدَاءِ، وَهُمْ الَّذِينَ يَهْتَدُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَنَفَّعُونَ بِسَمَاعِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: "اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ" [الزمر: ٢٣] الآية، عَطَفَ بِذِكْرِ حَالِ الْأَشْقِيَاءِ الَّذِينَ أَعْرَضُوا عَنِ الْإِنْتِفَاعِ بِسَمَاعِ كَلَامِ اللَّهِ وَأَقْبَلُوا عَلَى اسْتِجَاعِ الْمَزَامِيرِ وَالْغِنَاءِ بِالْأَلْحَانِ وَالْآلَاتِ الطَّرَبِ، كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ((وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي هُوَ الْحَدِيثُ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ)) قال: هو والله الغناء.

❖ فقال عبد الله بن مسعود: الْغِنَاءُ وَاللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، يُرَدِّدُهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ

ومن الأدلة: قال الله عز وجل {وَأَسْتَفْزِزُ مَنِ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ}

[سورة الإسراء آية: ٦٤]: فسرّه مجاهد: "بالغناء والمزامير".

وأما الأدلة من السنة:

فقد ورد عن السلف من الصحابة والتابعين آثار كثيرة بدم الغناء وآلات الملاهي والتحذير من ذلك،

لما جاء في "صحيح البخاري": حَدَّثَنِي أَبُو مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ، وَاللَّهُ مَا كَذَّبَنِي: سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الْحَرَ وَالْحَرِيرَ، وَالْحَمْرَ وَالْمَعَارِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عِلْمٍ، يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ هُمْ، يَأْتِيهِمْ - يَعْنِي الْفَقِيرَ - لِحَاجَةٍ فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا، فَيَبِيتُهُمُ اللَّهُ، وَيَصْعُ الْعِلْمُ، وَيَمْسُخُ آخَرِينَ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ" "والحر" هو الفرج الحرام والمراد بذلك الزنا، "وأما المعازف" فهي آلات الملاهي كلها

كالموسيقى والطبل والعود والرباب والأوتار وغير ذلك.

قال: العلامة ابن القيم رحمه الله في كتاب: [الإغاثة] لا خلاف بين أهل اللغة في (تفسير المعازف بآلات اللهو كلها)

وأخرج الترمذي عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يكون في أمتي قذف وخسف ومسح فقال: رجل من المسلمين متى ذلك يا رسول الله؟ قال: إذا ظهرت القيان والمعارف وشربت الخمر» صححه الألباني.

لما وقوله عليه السلام: «ليكونن في أمتي أقواماً يستحلون الحرا والحريير والخمر والمعارف، يمسون في هو ولعب، ويصبحون وقد مسخوا قردة وخنزير». صححه الألباني.

لما وعن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ الْحَمْرَ وَالْمَيْسِرَ وَالْكُوبَةَ وَقَالَ: كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ". صححه الألباني.

والكوبة هي: الطبل، قاله سفيان أحد رواة الحديث.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة: مزمار عند نعمة، وورثة عند مصيبة".

❦ وأما الإجماع :

حكى الحافظ العلامة: أبو عمرو بن الصلاح، عن جميع العلماء: تحريم الغناء، المشتغل على شيء من آلات الملاهي، كالعود ونحوه.

❧ من الأدلة على جواز اللعب واللهو المباح :

❦ ضرب الدف لإعلان النكاح :

لما جاء في "صحيح البخاري" عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا زَفَّتْ امْرَأَةً إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَائِشَةُ، مَا كَانَ مَعَكُمْ هَؤُلَاءِ؟ فَإِنَّ الْأَنْصَارَ يُعْجِبُهُمُ اللَّهُ»

❦ الضرب بالدف ليوم العيد: وما جاء في "صحيح مسلم" عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ، دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا جَارِيَتَانِ فِي أَيَّامٍ مِنِّي، تُغَنِّيَانِ وَتَضْرِبَانِ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسَجًى بِثَوْبِهِ، فَانْتَهَرَهُمَا أَبُو بَكْرٍ، فَكَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ، وَقَالَ: «دَعِيهِمَا يَا أَبَا بَكْرٍ فَإِنَّهُمَا أَيَّامُ عِيدٍ»

❦ تنبيه :

وقد سئل فضيلة الشيخ العثيمين: ما حكم الضرب بالدف والأناشيد والرقص في الاعراس ؟ فأجاب رحمه الله: الطق في الدف أيام العرس جائز أو سنة إذا كان في ذلك إعلان النكاح؛ ولكن بشروط:

* الشرط الأول: أن يكون الضرب بالدف، وهو ما يسمى عند بعض الناس بالطار وهو المختوم من وجه واحد؛ لأن المختوم من الوجهين يسمى (الطبل) وهو غير جائز؛ لأنه من آلات العزف، والمعاذف كلها حرام، إلا ما دل الدليل على حله وهو الدف حال أيام العرس .

* الشرط الثاني: أن لا يصحبه محرم كالغناء الهابط المثير للشهوة، فإن هذا ممنوع؛ سواء كان معه أم لا، وسواء كان في أيام العرس أم لا ؟

* الشرط الثالث: أن لا يحصل بذلك فتنة كظهور الأصوات الجميلة للرجال، فإن حصل بذلك فتنة كان ممنوعاً .

* الشرط الرابع: أن لا يكون في ذلك أذية على أحد، فإن كان فيه أذية كان ممنوعاً؛ مثل أن تظهر الأصوات عبر مكبرات الصوت، فإن في ذلك أذية على الجيران وغيرهم ممن ينزعج بهذه الأصوات، ولا يخلو من فتنة أيضاً، وقد نهى النبي ﷺ أن يجهر بعضهم على بعض في القراءة؛ لما في ذلك من التشويش والايذاء .. فكيف بأصوات الدفوف والغناء؟!

* الشرط الخامس: الرقص مكروه في الأصل؛ ولكن إذا كان على الرقصات الغريبة وتقليد الكافرات صار حراماً، لقول النبي ﷺ: (مَنْ تشبه بقوم فهو منهم) مع أنه أحياناً تحصل به فتنة، فقد تكون الراقصة امرأةً رشيقةً جميلةً شابةً فتفتن النساء، وإن كانت في وسط النساء، فتحصل من النساء أفعالاً تدل على أنهن افتتنَ بها، وما كان سبباً للفتنة فإنه يُنهى عنه. وأما مجرد الحركة اليسيرة فهذه لا بأس به.

❦ وهي فتوى اللجنة الدائمة، والشيخ الفوزان .

وأما رقص المرأة أمام بنات جنسها فبه صورتان -أيضاً- كما ذكرت أنفاً بالنسبة لرقص المرأة أمام زوجها: إن كان رقصاً غير مقرون بمهنة وإنما هو عبارة عن ترويح وتلويح باليدين ليس فيه هز للأرداف ونحو ذلك مما يحرص النفوس، أو يثير الشبهات، وأيضاً لا بأس بهذا الرقص إن صح تسميته رقصاً !

أما إذا وجد شيء من ذلك فالمنع منه هو الاصل.

حكم التصفيق :

سئل الشيخ بن باز في فتاوى اللجنة الدائمة :- (١٩ / ١٢) : ما حكم التصفيق في المناسبات والاحتفالات ؟ .

فأجاب رحمه الله : التصفيق في الحفلات من أعمال الجاهلية وأقل ما يقال فيه الكراهة ، والأظهر في الدليل تحريمه ، لأن المسلمين منهيون عن التشبه بالكفرة . وقد قال سبحانه في وصف الكفار من أهل مكة { وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية } قال العلماء المكاء الصغير والتصدية التصفيق . ، وبهذا يعلم أن التصفيق من الرجال فيه تشبه بالكفرة والنساء وكل ذلك منهى عنه والله ولي التوفيق .

وسئل شيخنا مقبل رحمه الله عن التصفيق في الأعراس ؟

فأجاب رحمه الله : التصفيق جائز بين النساء بشرط ألا يسمع الرجال صوت التصفيق .

❁ مسألة : سئل فضيلة الشيخ العثيمين رحمه الله ما حكم الشرع في نظركم في الأناشيد الإسلامية ؟

فأجاب رحمه الله : الأناشيد الإسلامية لا يمكن الحكم عليها حتى تسمع وينظر ما موضوع الأنشودة ؟ ، فيجب ثلاثة شروط في جواز استعمالها :

❁ الشرط الأول : أن يكون موضوع الأناشيد موضوعاً جيداً غير محظور ويلتحق بهذا الشرط أن لا تلحن تلحين الأغاني الماجنة السافلة وألا تكون بأصوات فاتنة .

❁ الشرط الثاني : ألا يكب عليها كثيراً .

❁ الشرط الثالث : أن لا يجعلها هي الواعظ الوحيد لقلبه بحيث يعرض عن موعظة القرآن .

فإذا تمت هذه الشروط الثلاثة فأرى أنه لا بأس بها أما إذا اختل شرط واحد منها فليُعدل عنها .

وإذا خشي أن لا يتعظ قلبه إلا بها وصارت هي ديدنه فلا يستمع لها . فهذه الأناشيد التي سأل

عنها السائل وتسمى بالأناشيد الإسلامية دخل فيها بعض ما نحذر منها : أنها تغنى كغناء

المطربين الذين يغنون بالأغاني الهابطة . فتاوى نور على الدرب (٥٦٣ / ٢١)

الثاني والأربعون من شعب الإيمان

الإقتصاد في النفقة وتحريم أكل المال بالباطل

لَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا} .
الإسراء: ٢٩.

وَلَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ إِذَا انْفَقُوا لَا يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} الفرقان ٦٧
وَلِحَدِيثِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي "صَحِيحِ مُسْلِمٍ": (وَنَهَى عَنْ ثَلَاثٍ قِيلَ وَقَالَ
وَإِضَاعَةُ الْمَالِ وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ)

◀ قَوْلُهُ: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا} .

لَهُ قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: يَقُولُ تَعَالَى أَمْرًا بِالْإِقْتِسَادِ فِي الْعَيْشِ دَامًا لِلْبُخْلِ نَاهِيًا عَنِ السَّرَفِ: {وَلَا تَجْعَلْ
يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ} أَيُّ: لَا تَكُنْ بَخِيلًا مَنُوعًا، لَا تُعْطِي أَحَدًا شَيْئًا، كَمَا قَالَتِ الْيَهُودُ عَلَيْهِمْ
لَعَائِنُ اللَّهِ: {يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ} [المائدة: ٦٤] أَيُّ نَسَبُوهُ إِلَى الْبُخْلِ، تَعَالَى وَتَقَدَّسَ الْكَرِيمُ الْوَهَّابُ.
وَقَوْلُهُ: {وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ} أَيُّ: وَلَا تُسْرِفْ فِي الْإِنْفَاقِ فَتُعْطِيَ فَوْقَ طَاقَتِكَ، وَتُخْرِجَ أَكْثَرَ
مِنْ دَخْلِكَ، فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا.

وَفِي "الصَّحِيحَيْنِ"، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنْفَقِي
هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا، وَلَا تُوعِي فَيُوعِيَ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَلَا تُوكِي فَيُوكِي اللَّهُ عَلَيْكَ" وَفِي لَفْظٍ: "وَلَا
تُحْصِي فَيُحْصِي اللَّهُ عَلَيْكَ" .

وَفِي "صَحِيحِ مُسْلِمٍ" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
"إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِي: أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ" .

"وَرَوَى مُسْلِمٌ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: "مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا وَمَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ".

❖ وَقَوْلُهُ: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا}

❖ قال ابن كثير: أي: لَيْسُوا بِمُبْذِرِينَ فِي انْفَاقِهِمْ فَيَصْرِفُونَ فَوْقَ الْحَاجَةِ، وَلَا بُخْلَاءَ عَلَى أَهْلِيهِمْ فَيَقْصُرُونَ فِي حَقِّهِمْ فَلَا يَكْفُونَهُمْ، بَلْ عَدْلًا خَيْرًا، وَخَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا، لَا هَذَا وَلَا هَذَا، {وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} وَقَالَ إِيَّاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ: مَا جَاوَزَتْ بِهِ أَمْرُ اللَّهِ فَهُوَ سَرَفٌ. وَقَالَ غَيْرُهُ: السَّرَفُ النَّفَقَةُ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ.

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: لَيْسَ النَّفَقَةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ سَرَفًا. (١)

❖ قوله: صلى الله عليه وسلم: (وَكِرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ). اختلف العلماء في إضاعة المال؛ فقال سعيد بن جبير: إضاعة المال أن يرزقك الله رزقا فتنفقه فيما حرم الله عليك، وكذلك قال مالك.

قال المهلب: وقيل: إضاعة المال: السرف في إنفاقه وإن كان فيما يحل.

❖ قال الشيخ العثيمين:

مما حرم الله الإسراف هو مجاوزة الحد لأن الله لا يحب المرففين وقد امتدح الله عباده الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكانوا بين ذلك قواما.

* ومن الإسراف تعدد الملابس بدون حاجة كثير من النساء الآن كلما ظهر شكل من أشكال اللباس ذهبت تشتريه حتى تملأ بيتها من الثياب بدون حاجة لكن ظهر شيء يختلف عن الأول بشيء بسيط نقول خلاص لا ألبسه وألبس الثوب الجديد، والرجل يجب أن يكون رجلا يمنع زوجته من الإسراف سواء من مالها أو من ماله.

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٦/ ١٢٣)

* وما لا يجوز بذل المال فيه أن يبذله في محرم كهؤلاء الذين يشترون الدخان بالمال فإن هذا حرام عليه وهو مما نهى الله عنه لأنه إضاعة للمال واضحة يبذل الإنسان ماله في شيء يحرقه لأن الدخان لا يشرب إلا إذا أحرق فكأنما الرجل أحرق الدراهم وأتلفها في أمر، فالمسألة خطيرة .
* ومن إضاعة المال أيضا : أن يصرفها الإنسان في شيء لا فائدة منه في ألعاب وما أشبه ذلك ومن هذه الألعاب الألعاب النارية وغيرها .

* وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى النَّهْيِ عَنِ الْإِسْرَافِ فِي الْمَاءِ وَلَوْ كَانَ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ. (١)

الثالث والأربعون من شعب الإيمان

ترك الغل والحسد ونحوهما

لَقَوْلُهُ تَعَالَى: { مَنْ شَرَّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ } الفلق ٥

وَلَقَوْلُهُ تَعَالَى: { أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ } النساء ٤٤

وَحَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي "صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ": " لَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا

تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا وَلَا يَجُلُ مُسْلِمٌ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ "

وَعَنِ الْمُبَرَّدِ أَنَّهُ أَنْشَدَ :-

تبدي المساوي والإحسان تخفيه

عين الحسود عليك الدَّهر حارسة

وَالْقَلْبُ مِنْكُمْ فِيهِ الَّذِي فِيهِ

يلقاك بالبشر بيديه مكاشرة

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٦ / ٥٢٨) - شرح رياض الصالحين (٦ / ٥٥١) شرح النووي على مسلم

الحسد لغة:

أصله القشر وهو مأخوذ من الحسد وهو القراد، فالحسد يقشر القلب، كما تقشر القراد الجلد فتمتصّ دمه.

الحسد اصطلاحاً: - كراهة النعمة وحبّ زوالها عن المنعم عليه.

وقال الراغب: الحسد تمنّي زوال نعمة من مستحقّ لها، وربّما كان مع ذلك سعي في إزالتها.

الغل لغة: الغلّ - بالكسر - مصدر غلّ يغلّ بمعنى غشّ وحقد، قال: القرطبيّ في تفسيره، الغلّ هو الحقد والحسد .

الغل اصطلاحاً: قال الكفويّ: الغلّ: أخذ الخيانة في القلب على الخلق.

قوله تعالى: { من شرّ حاسدٍ إذا حسد }

قال الشيخ العثيمين: الحاسد هو الذي يكره نعمة الله على غيره، فتجده يضيق ذرعاً إذا أنعم الله على هذا الإنسان بمال، أو جاه، أو علم أو غير ذلك. فيحسده ولكن الحساد نوعان: نوع يحسد ويكره في قلبه نعمة الله على غيره، لكن لا يتعرض للمحسود بشيء، تجده مهموماً مغموماً من نعم الله على غيره، لكنه لا يعتدي على صاحبه. والشر والبلاء إنما هو بالحاسد إذا حسد. ولهذا قال: { إذا حسد } .

ومن حسد الحاسد العين التي تصيب المعان يكون هذا الرجل عنده كراهة لنعم الله على الغير فإذا أحس بنفسه أن الله أنعم على فلان بنعمة خرج من نفسه الخبيثة (معنى) لا نستطيع أن نصفه لأنه مجهول، فيصيب بالعين، ومن تسلط عليه أحياناً يموت، وأحياناً يمرض، وأحياناً يُجن، حتى الحاسد يتسلط على الحديد فيوقف اشتغاله، وربما يصيب السيارة بالعين وتنكسر أو تتعطل، وربما يصيب رقاعة الماء، أو حراثة الأرض، فالعين حق تصيب بإذن الله عز وجل.

وَحَدِيثُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي "صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ": " لَا تَبَاغُضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا.. " فِي هَذَا الْحَدِيثِ النَّهْيُ عَنِ التَّحَاسُدِ وَعَنِ الْحَسَدِ فِي كُلِّ شَيْءٍ عَلَى ظَاهِرِهِ وَعُمُومِهِ.

قال ابن القيم - رحمه الله - : «ويندفع شرّ الحاسد عن المحسود بعشرة أسباب :

❦ السبب الأول: التعوّذ بالله من شرّه، والتحصّن به واللجوء إليه.

❦ السبب الثاني: تقوى الله، وحفظه عند أمره ونهيه. فمن اتقى الله تولى الله حفظه، ولم يكله إلى غيره.

❦ السبب الثالث: الصبر على عدوّه، وأن لا يقاتله ولا يشكوه.

❦ السبب الرابع: التوكّل على الله. فمن توكّل على الله فهو حسبه، والتوكّل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم .

❦ السبب الخامس: فراغ القلب من الاشتغال به والفكر فيه، ولا يخافه، ولا يملأ قلبه بالفكر فيه. وهذا من أنفع الأدوية، وأقوى الأسباب المعينة على اندفاع شرّه.

❦ السبب السادس: وهو الإقبال على الله، والإخلاص له وجعل محبّته ورضاه والإنابة إليه، فتبقى خواطره وهواجسه وأمانيه كلّها في محابّ الربّ، والتقرب إليه.

❦ السبب السابع: تجريد التوبة إلى الله من الذنوب التي سلّطت عليه أعداءه.

❦ السبب الثامن: الصدقة والإحسان ما أمكنه، فإنّ لذلك تأثيرا عجيبا في دفع البلاء، ودفع العين، وشرّ الحاسد ولو لم يكن في هذا إلّا بتجارب الأمم قديما .

❦ السبب التاسع: إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه. وهو من أصعب الأسباب على النفس، ولا يوفّق له إلّا من عظم حظّه من الله.

❦ السبب العاشر: والعلم بأنّ هذه الآلات بمنزلة حركات الرّياح، وهي بيد محرّكها، وفاطرها وبارئها، ولا تضرّ ولا تنفع إلّا بإذنه. وهو الجامع لذلك كلّ، وعليه مدار هذه الأسباب، وهو

تجريد التوحيد، والترخّل بالفكر في الأسباب إلى المسبّب العزيز الحكيم. (١)

(١) (التفسير القيم، لابن القيم (٥٨٥، ٥٩٣) .

مسألة: الفرق بين الحسد والغبطة :

في قوله عليه السلام " لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيَعْلَمُهَا " .

قال النووي :

قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ قَالَ الْعُلَمَاءُ الْحَسَدُ قِسْمَانِ حَقِيقِيٌّ وَمَجَازِيٌّ فَالْحَقِيقِيُّ تَمَنِّي زَوَالِ النِّعْمَةِ عَنْ صَاحِبِهَا وَهَذَا حَرَامٌ بِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ مَعَ النَّصِّ الصَّحِيحِ ، وَأَمَّا الْمَجَازِيُّ فَهُوَ الْغِبْطَةُ وَهُوَ أَنْ يَتَمَنَّيَ مِثْلَ النِّعْمَةِ الَّتِي عَلَى غَيْرِهِ مِنْ غَيْرِ زَوَالِهَا عَنْ صَاحِبِهَا فَإِنْ كَانَتْ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا كَانَتْ مُبَاحَةً وَإِنْ كَانَتْ طَاعَةً فَهِيَ مُسْتَحَبَّةٌ وَالْمُرَادُ بِالْحَدِيثِ لَا غِبْطَةَ مُحِبَّةٍ إِلَّا فِي هَاتَيْنِ الْخَصْلَتَيْنِ

١/ " رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ " أَيُّ إِنْفَاقِهِ فِي الطَّاعَاتِ .

٢/ " وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا يَعْلَمُهَا " مَعْنَاهُ يَعْمَلُ بِهَا وَيُعَلِّمُهَا اخْتِسَابًا ، وَالْحِكْمَةُ كُلُّ مَا مَنَعَ مِنَ الْجَهْلِ وَزَجَرَ عَنِ الْقَبِيحِ . (١)



الرَّابِعُ وَالْأَرْبَعُونَ مِنْ شُعْبِ الْإِيمَانِ

تَحْرِيمُ أَعْرَاضِ النَّاسِ وَمَا يَجِبُ مِنْ تَرْكِ الْوَقِيعَةِ فِيهَا

لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} النُّور ١٩

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} النُّور ٢٣ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ الْكَثِيرَةِ.

(١) شرح النووي على مسلم (٦/ ٩٧)

وَحَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "فِي الصَّحِيحِ" : (لَا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالْفُسْقِ وَلَا يَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ إِلَّا أَرْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبَهُ كَذَلِكَ).

◀ قوله: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}

قال ابن كثير:

وَهَذَا تَأْدِيبٌ ثَالِثٌ لِمَنْ سَمِعَ شَيْئًا مِنَ الْكَلَامِ السَّيِّئِ، فَقَامَ بِذَهْنِهِ مِنْهُ شَيْءٌ، وَتَكَلَّمَ بِهِ، فَلَا يُكْثِرُ مِنْهُ وَيُشِيعُهُ وَيُذِيعُهُ، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا} أَيْ: يُخْتَارُونَ ظُهُورَ الْكَلَامِ عَنْهُمْ بِالْفَحِيحِ، {هُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا} أَيْ: بِالْحَدِّ، وَفِي الْآخِرَةِ بِالْعَذَابِ. (١)

◀ وَقَوْلُهُ: {إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ}

قوله: "يرمون المحصنات" والمراد به هنا الرمي بالزنا،

"والمحصنات" هنا الحرائر، وهو الصحيح، وقيل: العفيفات عن الزنا. "والغافلات": وهن:

العفيفات عن الزنا البعيدات عنه، اللاتي لا يخطر على بالهن هذا الأمر.

"والمؤمنات" احترازا من الكافرات، فمن قذف امرأة هذه صفاتها.

لله قال ابن كثير: هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ فِيهَا بَيَانُ حُكْمِ جَلْدِ الْقَازِفِ لِلْمُحْصَنَةِ، وَهِيَ الْحُرَّةُ الْبَالِغَةُ الْعَفِيفَةُ، فَإِذَا كَانَ الْمُقْدُوفُ رَجُلًا فَكَذَلِكَ يُجْلَدُ قَازِفُهُ أَيْضًا، لَيْسَ فِي هَذَا نِزَاعٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ. فَأَمَّا إِنْ

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٦ / ٢٩)

أَقَامَ الْقَازِفُ بَيِّنَةً عَلَى صِحَّةِ مَا قَالَهُ، رُدَّ عَنْهُ الْحَدُّ؛ وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: {ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} .

فَأَوْجَبَ عَلَى الْقَازِفِ إِذَا لَمْ يُقِمَّ بَيِّنَةً عَلَى صِحَّةِ مَا قَالَهُ ثَلَاثَةَ أَحْكَامٍ:
أَحَدُهَا: أَنْ يُجْلَدَ ثَمَانِينَ جَلْدَةً.

الثَّانِي: أَنَّهُ تُرَدُّ شَهَادَتُهُ دَائِمًا.

الثَّلَاثُ: أَنْ يَكُونَ فَاسِقًا لَيْسَ بِعَدْلٍ، لَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَا عِنْدَ النَّاسِ.

«وَحَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "فِي الصَّحِيحِ" : (لَا يَزْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالْفُسْقِ وَلَا يَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبَهُ كَذَلِكَ). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

❦ قال الشيخ العثيمين :

من دعى أخاه بكفر أو فسق عاد عليه ما لم يكن صاحبه كذلك يعني إذا قلت لإنسان أنت فاسق أو يا فاسق صرت أنت الفاسق إلا إذا كان هو كذلك وهكذا من كفر أحدا وقال أنت كافر أو يا كافر وليس كذلك صار القائل هو الكافر وفي هذا دليل على أن هذا من كبائر الذنوب لأن النبي صلى الله عليه وسلم تواعد هذا القائل أن يكون هو الذي يتصف بهذه الصفة وعلى هذا فلا يحل للإنسان أن يقول لأخيه المؤمن يا فاسق أو يقول فلان فاسق إلا إذا كان كذلك وأراد أن يحذر منه فلا بأس. (١)

^(١) (القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٥٠٥) تفسير ابن كثير ت سلامة (٦/ ١٣)

الخامس والأربعون من شعب الإيمان

إخلاص العمل لله عز وجل وترك الرِّياء

وَلَقَوْلُهُ تَعَالَى : { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ }

وقوله تَعَالَى : { مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوفٌ إِلَيْهِمْ أَعْمَاهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُنْحَسُونَ }
(١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
{ (١٦) }

وَلِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي "صَحِيحِ مُسْلِمٍ" : (قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي ، تَرَكَتُهُ وَشِرْكُهُ ")
وَلِحَدِيثِ جُنْدُبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ " فِي الصَّحِيحَيْنِ " : (مَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهِ بِهِ وَمَنْ يَرَاهُ يَرَاهُ اللَّهُ بِهِ) .

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ الْحَارِثِ الْيَامِيِّ : (يَسْرَنِي أَنْ يَكُونَ لِي فِي كُلِّ شَيْءٍ نِيَّةٌ حَتَّى فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالنَّوْمِ) .

وَعَنْ سُفْيَانَ : (يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ ارْفَعُوا رُؤُوسَكُمْ لَا تَزِيدُوا الْخُشُوعَ عَلَى مَا فِي الْقَلْبِ فَقَدْ وَضَحَ الطَّرِيقَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ وَلَا تَكُونُوا عِيَالًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ)

❦ الإخلاص لغة:

مصدر أخلص يخلص وهو مأخوذ من مادة (خ ل ص) التي تدلّ على تنقية الشيء وتهذيبه .

شرعا : الإخلاص لله ؛ هو أن لا يفعل المخلص فعلا إلا لله تعالى .

والمقصود به هنا : إخلاص الاعتقاد والتوجه والقول والعمل لله تعالى وحده ؛ وذلك بتمحيص

النيات والأقوال والأعمال لله تعالى ؛ بأن تكون صادرة عن نيّة يَراد بها وجه الله تعالى .

◀ قوله: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَتَهَا نُوفَّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ} (١٥)

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (١٦)

قَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي هَذِهِ الْآيَةِ: إِنَّ أَهْلَ الرِّيَاءِ يُعْطَوْنَ بِحَسَنَاتِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا، يَقُولُ: مَنْ عَمَلَ صَالِحًا التَّمَسَّ الدُّنْيَا، صَوْمًا أَوْ صَلَاةً أَوْ تَهَجُّدًا بِاللَّيْلِ، لَا يَعْمَلُهُ إِلَّا التَّمَسَّ الدُّنْيَا، يَقُولُ اللَّهُ: أُوَفِّيهِ الَّذِي التَّمَسَّ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْمُنَاقِبَةِ، وَحَبِطَ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ التَّمَسَّ الدُّنْيَا، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ. وَهَكَذَا رَوَى عَنْ مُجَاهِدٍ، وَالضَّحَّاكِ، وَغَيْرِ وَاحِدٍ. وَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، وَالْحَسَنُ: نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى. وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ: نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الرِّيَاءِ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ، وَطَلَبَتَهُ، وَزَيَّنَتْهُ، جَازَاهُ اللَّهُ بِحَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ يُفْضِي إِلَى الْآخِرَةِ وَلَيْسَ لَهُ حَسَنَةٌ يُعْطَى بِهَا جَزَاءٌ. وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيُجَازَى بِحَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا وَيُثَابُ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ. (١)

◀ وَلِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي "صَحِيحِ مُسْلِمٍ": (قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشَّرِّ، مَنْ عَمَلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ "

❧ قال الشيخ العثيمين :

قوله: "أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشَّرِّ" أي إذا كان بعض الشركاء يستغني عن شركته مع غيره؛

فالله أغنى الشركاء عن المشاركة، فالله لا يقبل عملاً له فيه شرك أبداً، ولا يقبل إلا العمل

الخالص له وحده، فكما أنه الخالق وحده؛ فكيف تصرف شيئاً من حقه إلى غيره؟!!

فهذا ليس عدلاً، ولهذا قال الله عن لقمان: {إِنَّ الشَّرَّكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} ، ، فالله الذي خلقك وأعدك

إعداداً كاملاً بكل مصالحك وأمدك بما تحتاج إليه، ثم تذهب وتصرف شيئاً من حقه إلى غيره؟!!

فلا شك أن هذا من أظلم الظلم.

(١) مدارج السالكين (٢ / ٩٢) تفسير بن كثير

قوله: "تركته وشركه": أي: لم أثبه على عمله الذي أشرك فيه.

وقد يصل هذا الشرك إلى حد الكفر، فيترك الله جميع أعماله؛ لأن الشرك يحبط الأعمال إذا مات عليه.

"والمراد بشركه": عمله الذي أشرك فيه وهو الرياء.

والرياء: أن يعبد الله ليراه الناس؛ فيمدحوه على كونه عابداً، وليس يريد أن تكون العبادة للناس؛ لأنه لو أراد ذلك؛ لكان شركاً أكبر، والظاهر أن هذا على سبيل التمثيل، وإلا؛ فقد يكون رياء، وقد يكون سماعاً، أي يقصد بعبادته أن يسمعه الناس فيثنوا عليه، فهذا داخل في الرياء؛ فالتعير بالرياء من باب التعير بالأغلب. أما إن أراد بعبادته أن يقتدي الناس به فيها؛ فليس هذا رياء، بل هذا من الدعوة إلى الله عز وجل، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "فعلت هذا لتأتموا بي وتعلموا صلاتي".

والرياء ينقسم باعتبار إبطاله للعبادة إلى قسمين:

الأول: أن يكون في أصل العبادة، أي ما قام يتعبد إلا للرياء؛ فهذا عمله باطل مردود عليه.

الثاني: أن يكون الرياء طارئاً على العبادة، أي: أن أصل العبادة لله، لكن طرأ عليها الرياء؛ فهذا ينقسم إلى قسمين:

الأول: أن يدافعه؛ فهذا لا يضره. مثاله: رجل صلى ركعة، ثم جاء أناس في الركعة الثانية، فحصل في قلبه شيء؛ بأن أطال الركوع أو السجود أو تباكى وما أشبه ذلك، فإن دافعه؛ فإنه لا يضره لأنه قام بالجهاد.

القسم الثاني: أن يسترسل معه؛ فكل عمل ينشأ عن الرياء، فهو باطل؛ كما لو أطال القيام، أو الركوع، أو السجود، أو تباكى؛ فهذا كل عمله حابط، ولكن هل هذا البطالان يمتد إلى جميع العبادة أم لا؟

نقول: لا يخلو هذا من حالين:

الحالة الأولى: أن يكون آخر العبادة مبنيًا على أولها، بحيث لا يصح أولها مع فساد آخرها؛ فهذه كلها فاسدة. وذلك مثل الصلاة؛ فالصلاة مثلاً لا يمكن أن يفسد آخرها ولا يفسد أولها، وحينئذ تبطل الصلاة كلها؛ إذا طرأ الرياء في أثنائها ولم يدافعه.

الحالة الثانية: أن يكون أول العبادة منفصلاً عن آخرها، بحيث يصح أولها دون آخرها، فما سبق الرياء فهو صحيح، وما كان بعده فهو باطل. مثال ذلك: رجل عنده مئة ريال، فتصدق بخمسين بنية خالصة، ثم تصدق بخمسين بقصد الرياء؛ فالأولى مقبولة، والثانية غير مقبولة؛ لأن آخرها منفق عن أولها.

❦ قوله: وَلَحْدِيثُ جُنْدُب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "فِي الصَّحِيحَيْنِ" : (من سمع سمع الله به ومن يرائي يرائي الله به).

❦ قال النووي: قَالَ الْعُلَمَاءُ مَعْنَاهُ مَنْ رَأَى بِعَمَلِهِ وَسَمِعَهُ النَّاسَ لِيُكْرِمُوهُ وَيُعَظِّمُوهُ وَيَعْتَقِدُوا خَيْرَهُ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ النَّاسَ وَفَضَّحَهُ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ مَنْ سَمِعَ بِعُيُوبِهِ وَأَذَاعَهَا أَظْهَرَ اللَّهُ عُيُوبَهُ، وَقِيلَ: أَسْمَعُهُ الْمَكْرُوهَ، وَقِيلَ: أَرَاهُ اللَّهُ ثَوَابَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُعْطِيَهُ إِيَّاهُ لِيَكُونَ حَسْرَةً عَلَيْهِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ مَنْ أَرَادَ بِعَمَلِهِ النَّاسَ أَسْمَعَهُ اللَّهُ النَّاسَ وَكَانَ ذَلِكَ حَظَّهُ مِنْهُ. (١)

❦ مسألة: شروط قبول العمل.

❦ قال ابن القيم: [أَعْمَالُ الْعِبَادِ أَرْبَعَةٌ أَنْوَاعُ الْمُقْبُولُ مِنْهَا نَوْعٌ وَاحِدٌ]

وَالْأَعْمَالُ أَرْبَعَةٌ: وَاحِدٌ مُقْبُولٌ، وَثَلَاثَةٌ مَرْدُودَةٌ؛ فَاَلْمُقْبُولُ مَا كَانَ لِلَّهِ خَالِصًا وَلِللَّسَنَةِ مُوَافِقًا، وَالْمَرْدُودُ مَا فَقَدَ مِنْهُ الْوُصْفَانِ أَوْ أَحَدُهُمَا، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعِبَادِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، مُوَافِقًا لِلْسَنَةِ.

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ١١٨) - شرح النووي على مسلم (١٨/ ١١٦)

ولقد سئل الفضيل عن العمل المقبول عند الله ؟

فقال: هُوَ أَخْلَصُ الْعَمَلِ وَأَصْوَبُهُ، فَسُئِلَ عَنْ مَعْنَى ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنَّ الْعَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ، وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يُقْبَلْ، حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا فَالْخَالِصُ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ، وَالصَّوَابُ أَنْ يَكُونَ عَلَى السُّنَّةِ.

وَمِنْ كَلَامِ الْفُضَيْلِ: تَرَكُ الْعَمَلِ مِنْ أَجْلِ النَّاسِ رِيَاءً. وَالْعَمَلُ مِنْ أَجْلِ النَّاسِ: شِرْكٌ. وَالْإِخْلَاصُ: أَنْ يُعَافِيكَ اللَّهُ مِنْهُمَا. (١)



السَّادِسُ وَالْأَرْبَعُونَ مِنْ شَعْبِ الْإِيمَانِ

السُّرُورُ بِالْحَسَنَةِ وَالِإِغْتِمَامُ بِالسَّيِّئَةِ

لَحْدِيثِ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي "سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ ((مَنْ سَرَّتَهُ حَسَنَتُهُ، وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ)).

◀ قوله : (وَمَنْ سَرَّتَهُ حَسَنَتُهُ) أَيُّ: إِذَا وَقَعَتْ مِنْهُ (وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ) أَيُّ: أَحْزَنْتَهُ إِذَا صَدَرَتْ عَنْهُ (فَهُوَ مُؤْمِنٌ)، أَيُّ كَامِلٌ ؛ لِأَنَّ الْمُنَافِقَ حَيْثُ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْحَسَنَةُ وَالسَّيِّئَةُ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ}

* فالإيمان لا يكمل فيه حتَّى تسره تلك وتسوء هذه ويصير متيقنا أنه لا يخفى على ربه حَبَّةٌ خَرْدَلٌ وَلَا مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فَيَجَازِيهِ بِعَمَلِهِ.

(فهو مؤمن) أي كامل الإيمان لأن من لا يرى للحسنة فائدة ولا للمعصية آفة فذلك يكون من استحكام الغفلة على قلبه فإيمانه ناقص بل ذلك يدل على استهانته بالدين فإنه يهون عظميا ويغفل عما لا يغفل الله عنه والمؤمن يرى ذنبه كالجليل والكافر يراه كذباب مر على أنفه فالمؤمن البالغ

(١) (إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/ ١٢٤)

الإيمان يندم على خطيئته ويأخذه القلق كاللديغ لإيقانه بنخر الآخرة وشرها بخلاف غير الكامل فإنه لا ينزعج لذلك لتراكم الظلمة في صدره وعلى قلبه فيحجبه عن ذلك .

❖ قال الشيخ العثيمين :

فإذا رأيت من نفسك أن صدرك ينشرح بالطاعة، وأنه يضيق بالمعصية فهذه بشرى لك، أنك من عباد الله المؤمنين ومن أوليائه المتقين، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: وجعلت قرعة عيني في الصلاة ،

ومن ذلك أيضاً أن أهل الخير يشنون عليه ويحبونه ويذكرونه بالخير، فإذا رأيت أن أهل الخير يحبونك ويشنون عليك بالخير، فهذه بشرى للإنسان أنه يشنى عليه من أهل الخير، ولا عبرة بثناء أهل الشر ولا قدحهم، لأنهم لا ميزان لهم ولا تقبل شهادتهم عند الله، لكن أهل الخير إذا رأيتهم يشنون عليك وأنهم يذكرونك بالخير ويقربون منك ويتجهون إليك فاعلم أن هذه بشرى من الله لك، ومن البشرى في الحياة الدنيا، ما يبشر به العبد عند فراق الدنيا، حيث تنزل عليه الملائكة {ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلاً من غفور رحيم} . (١)



السَّابِعُ والأربعون من شعب الإيمان

معالجة كل ذنبٍ بالتَّوْبَةِ

لَقَوْلِهِ تَعَالَى : ((وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) النُّور ٣١
وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا)) التَّحْرِيم ٨

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٣٨٧٩) فيض القدير (٦/ ١٥٢) شرح رياض الصالحين (٠ /)

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ((وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ)) الآيات الزمر ٥٤ الى ٥٨.

وَلِحَدِيثِ أَبِي بَرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ فِي "صَحِيحِ مُسْلِمٍ" عَنْ أَبِي بَرْدَةَ، عَنِ الْأَعْرَابِيِّ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّهُ لَيَغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَا أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»

التوبة لغة: التوبة مصدر قولك: تاب يتوب وهو مأخوذ من مادة (ت وب) التي تدل على الرجوع.

التوبة في الاصطلاح:

قال الراغب: التوبة في الشرع: ترك الذنب لقبحه والتدب على ما فرط منه والعزيمة على ترك المعادة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة.

❦ فائدة: وردت كلمة التوبة في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

- ١ - بمعنى التجاوز والعفو. وهذا مقيد بـ"على"، كقوله تعالى "فَتَابَ عَلَيْكُمْ"
- ٢ - بمعنى الرجوع والإنابة. وهذا مقيد بـ"إلى"، كقوله تعالى "وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا"
- ٣ - بمعنى الندامة. وهذا غير مقيد بـ"إلى" ولا بـ"(على)": كقوله تعالى: "فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ" (التوبة/ ٣).

❦ شروط التوبة: قال النووي - رحمه الله تعالى -: التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها شروط ثلاثة وهي:

- ١ - أن يقلع عن المعصية.
- ٢ - أن يندم على فعل المعصية .
- ٣ - أن يعزم على أن لا يعود إليها أبدا. فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته .

ويزاد شرط رابع إذا كان الذنب يتعلّق بحق آدمي: أن يبرأ من حق صاحبه؛ فإن كان مالا أو نحوه ردّه إليه، وإن كان حدّ قذف مكّنه منه أو طلب عفوّه، وإن كان غيبة استحلّه منها، هذا إذا لم يترتب على ذلك مفسدة أعظم. ويجب أن يتوب من جميع الذنوب، فإن تاب من بعضها صحّت توبته من ذلك الذنب.

❖ فائدة: التوبة من ترك المأمور أولى من التوبة من فعل المحظور:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: من تاب توبة عامّة كانت هذه التوبة مقتضية لغفران الذنوب، وإن لم يستحضر أعيان الذنوب إلّا أن يعارض هذا العامّ معارض يوجب التخصيص مثل أن يكون بعض الذنوب لو استحضره لم يتب منه، لقوّة حبه إيّاه، أو لاعتقاده أنّه حسن ليس بقبیح، فما كان من ذنب لو استحضره لم يتب منه لم يدخل في التوبة، وأمّا ما كان لو استحضره بعينه لكان ممّا يتوب منه؛ فإنّ التوبة العامّة شاملة له.

وأمّا التوبة المطلقة:

وهي أن يتوب توبة مجملة، فإنّها لا تستلزم التوبة من كلّ ذنب. فهذه لا توجب دخول كلّ فرد من أفراد الذنوب فيها ولا تمنع دخوله كاللفظ المطلق، لكن هذه تصلح أن تكون سببا لغفران المعين، كما تصلح سببا لغفران الجميع، بخلاف التوبة العامّة فإنّها مقتضية للغفران العامّ.

❖ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّهُ لَيَعَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ"

❖ قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ الْغَيْنُ بِالْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ وَالْغَيْمُ بِمَعْنَى وَالْمُرَادُ هُنَا "مَا يَتَغَشَّى الْقَلْبَ" قَالَ الْقَاضِي قِيلَ: "الْمُرَادُ الْفُتْرَاتُ وَالْغَفَلَاتُ عَنِ الذِّكْرِ الَّذِي كَانَ شَأْنُهُ الدَّوَامَ عَلَيْهِ فَإِذَا فُتِرَ عَنْهُ أَوْ غَفَلَ عَدَّ ذَلِكَ ذَنْبًا وَاسْتَغْفَرَ مِنْهُ.

❖ قال الشيخ العثيمين :

يحدث له شيء من الكتمة والغم وما أشبه ذلك وإنّي لأستغفر الله في اليوم مائة مرة يقول أستغفر الله في اليوم مائة مرة هذا وهو النبي صلى الله عليه وسلم الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

فكيف بنا ولكن قلوبنا قاسية ميتة لا يغان عليها بكثرة الذنوب ولا يهتم الواحد منا بما فعل ولذلك تجد الإنسان غير مبال بمثل هذا وقليل الاستغفار والذي ينبغي للإنسان أن يكون له أسوة حسنة في رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الاستغفار كما قال ابن عمر إننا نعد للنبي صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة أو أكثر رب أغفر لي وارحمني وكذلك أخبر صلى الله عليه وسلم أن من نعمة الله على العباد أنه إذا ابتلاهم بالذنوب فاستغفروا الله غفر لهم وأنه لو لم تذنبوا لذهب الله تعالى بكم ثم جاء يقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم وهذا حث على أن يستغفر الإنسان ربه ويكثر من الاستغفار لأنه ينال بذلك درجة المستغفرين الله عز وجل. (١)



الثامن والأربعون من شعب الإيمان

القرابين وجملتها الهدي والأضحية والعقيقة

لَقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} [الْكَوثر: ٢]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا حَيْرٌ} الْحَج ٣٦

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَنْ يَعْظُمُ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} الْحَج ٣٢ الى ٣٧

وَلِحَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي "الصَّحِيحَيْنِ" قَالَ: «صَحَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ، ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ، وَسَمَّى وَكَبَّرَ، وَوَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا» وَفِي رِوَايَةٍ "وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَذْبَحُهُمَا بِيَدِهِ".

◀ قوله: وجملتها الهدي والأضحية والعقيقة

(١) شرح رياض الصالحين (٦ / ٧١٥) شرح النووي على مسلم (١٧ / ٢٣)

الهدي: كل ما يهدى للحرم ويذبح فيه من نعم وغيرها، سمي بذلك لأنه يهدي إلى الله سبحانه تعالى.

والأضحية: بضم الهمزة وكسر ها: ما يذبح في البيوت يوم العيد وأيام التشريق تقرباً إلى الله. وأجمع المسلمون على مشروعيتها.

قال العلامة ابن القيم: "القربان للخالق يقوم مقام الفدية للنفس والمستحقة للتلف، وقال تعالى: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ} ، فلم يزل ذبح المناسك وإراقة الدماء على اسم الله مشروعاً في جميع الملل" انتهى.

وأفضل الهدي: الإبل، ثم البقر، إن أخرج كاملاً؛ لكثرة الثمن، ونفع الفقراء، ثم الغنم. ،
وأفضل كل جنس أسمنه ثم أغلاه ثمناً؛ لقوله تعالى: {وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} .

ولا يجزئ إلا جذع الضأن، وهو ما تم له ستة أشهر، والثني مما سواه من إبل وبقر ومعز، والثني من الإبل ما تم له خمس سنين، ومن البقر ما تم له سنتان ومن المعز ما تم له سنة. وتجزئ الشاة في الهدي عن واحد، وفي الأضحية تجزئ عن الواحد وأهل بيته، وتجزئ البدنة والبقرة في الهدي والأضحية عن سعة؛ لقول جابر: "أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نشترك في الإبل والبقر كل سبعة في واحد منهما"، رواه مسلم. والشاة أفضل من سبع البدنة والبقرة.

تنبيه: ولا يجزئ في الهدي والأضحية:

إلا السليم من المرض ونقص الأعضاء ومن الهزال؛ فلا تجزئ العوراء بينة العور، ولا العمياء، ولا العجفاء وهي الهزيلة التي لا مخ فيها، ولا العرجاء التي لا تطيق المشي مع الصحيحة، ولا اهتماء التي ذهب ثنائها من أصلها، ولا الجداء التي نشف ضرعها من اللبن بسبب كبر سنها، ولا تجزئ المريضة البين مرضها؛ لحديث البراء بن عازب؛ قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه

وسلم، فقال: "أربع لا تجوز في الأضاحي: العوراء البين عورها، والمريضة البين مرضها،

والعرجاء البين ظلعها، والعجفاء التي لا تنقي"، رواه أبو داود

لله ووقت ذبح هدي التمتع والأضاحي :

من بعد صلاة العيد إلى آخر أيام التشريق على الصحيح.

❦ فائدة :

ويستحب أن يأكل من هديه إذا كان هدي تمتع أن قران ومن أضحيته ويهدي ويتصدق؛ لقوله

تعالى: {فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا} .

❦ ومن أراد أن يضحي؛ فإنه إذا دخلت عشر ذي الحجة؛ لا يأخذ من شعره ولا من أظفاره شيئاً

إلى ذبح الأضحية لقوله صلى الله عليه وسلم: "إذا دخل العشر، وأراد أحدكم أن يضحي؛ فلا

يأخذ من شعره ولا من أظفاره شيئاً، حتى يضحي"، رواه مسلم.

لله فإن فعل شيئاً من ذلك؛ استغفر الله، ولا فدية عليه.

❦ قوله: «ضَحَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَيْنِ، ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ، وَسَمَّى وَكَبَّرَ،

وَوَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا»

قال النووي: "الْأَمْلَحُ" هُوَ الْأَبْيَضُ الْخَالِصُ الْبَيَاضِ وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ هُوَ الْأَبْيَضُ وَيَشُوبُهُ شَيْءٌ

مِنَ السَّوَادِ وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ هُوَ الَّذِي يُخَالِطُ بَيَاضَهُ حُمْرَةً.

"ذبح الرجل أضحيته بيده" هي السنة، والعلماء يستحبون ذلك، قال أبو إسحاق السبيعي: كان

أصحاب محمد يذبحون ضحاياهم بأيديهم. قال مالك: وذلك من التواضع لله - تعالى وأن

رسول الله كان يفعله، فإن أمر بذلك مسلماً أجزأته وبئس ما صنع. وكذلك الهدى، وقد كان أبو

موسى الأشعري يأمر بناته أن يذبحن نسكهن بأيديهن، وروى الزهري عن النبي - عليه السلام

- أنه قال لعائشة أو لفاطمة: (اشهدي نسيكتك، فإنه يغفر لك عند أول قطرة من دمها)

وَالْأَفْضَلُ لِمَنْ وَكَّلَ أَنْ يُوَكَّلَ مُسْلِمًا فَعِثَّهَا بَابِ الذَّبَائِحِ وَالضَّحَايَا لِأَنَّهُ أَعْرَفُ بِشُرُوطِهَا وَسُنَنِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قَوْلُهُ (وَسَمَّى) فِيهِ إِثْبَاتُ التَّسْمِيَةِ عَلَى الضَّحِيَّةِ وَسَائِرِ الذَّبَائِحِ وَهَذَا مُجْمَعٌ عَلَيْهِ لَكِنْ هَلْ هُوَ شَرْطٌ أَمْ مُسْتَحَبٌّ فِيهِ خِلَافٌ سَبَقَ إِیْضَاحُهُ فِي كِتَابِ الصَّيْدِ .

قَوْلُهُ (وَكَبَّرَ) فِيهِ اسْتِحْبَابُ التَّكْبِيرِ مَعَ التَّسْمِيَةِ فَيَقُولُ بِسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ .

قَوْلُهُ (وَوَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى صِفَاحِهَا) أَيُّ صَفْحَةِ الْعُنُقِ وَهِيَ جَانِبُهُ وَإِنَّمَا فَعَلَ هَذَا لِيَكُونَ أَثْبَتَ لَهُ وَأَمَّا لَثَلَا تَضْطَرُّبِ الذَّبِيحَةِ بِرَأْسِهَا فَتَمْنَعُهُمْ إِكْمَالِ الذَّبْحِ أَوْ تُؤْذِيهِ. "١"

◀ قَوْلُهُ : الْعَقِيقَةُ : وَهِيَ الذَّبِيحَةُ الَّتِي يَذْبَحُهَا عَنْهُ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مِنْ حَقِّ الْوَلَدِ

عَلَى وَالِدِهِ، فَهِيَ سَنَةٌ سَنَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَقَدْ عَقَّ عَنْ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ؛ كَمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ، وَفَعَلَ ذَلِكَ صَحَابَتُهُ الْكَرَامُ، فَكَانُوا يَذْبَحُونَ عَنْ أَوْلَادِهِمْ، وَفَعَلَهُ التَّابِعُونَ .

❦ وَذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى وَجُوبِهَا؛ لَمَا رَوَاهُ الْحَسَنُ عَنْ سَمُرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "كُلُّ غُلَامٍ مَرَّتَيْنِ بِعَقِيقَتِهِ"، قَالَ أَحْمَدُ: "مَعْنَاهُ: مَرَّتَيْنِ عَنِ الشَّفَاعَةِ لَوَالِدِيهِ"،

وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ: "إِنَّهَا سَبَبٌ فِي حَسَنِ سَجَايَاهُ وَأَخْلَاقِهِ إِنْ عَقَّ عَنْهُ".

❦ وَالرَّاجِعُ أَنَّهَا سَنَةٌ مُؤَكَّدَةٌ .

التَّاسِعُ وَالْأَرْبَعُونَ مِنْ شُعْبِ الْإِيمَانِ

طَاعَةُ وَليِّ الْأَمْرِ

لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} النَّسَاء ٥٩

(١) شرح النووي على مسلم (١٣/ ١١٩) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤/ ٢٢٥)

وَلِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي "الصَّحِيحَيْنِ" قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَمَنْ أَطَاعَ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي".

وَلِحَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ فِي "صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ" قَالَ: "إِنَّ خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأَطِعُ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ".

◀ قوله : ولي الأمر

تعريف ولي الأمر: ولي الأمر: يطلق على من تولى أمر الأمة وهو لفظ شرعي وسمي ولي الأمر لأن ما ينفذ من الأمور الشرعية والاجتهادية في الناس إنما يكون عن أمرهم. قال ابن تيمية / (أولوا الأمر صنفان: العلماء والأمرء)

وطاعة ولي الأمر : هو الامتثال لأمره ونهيه وعدم الخروج عنه إلا إذا أمر بمعصية.

◀ قوله تعالى : { أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ }

للإمام قال ابن كثير : عن ابن عباس : { وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ } يَعْنِي : أَهْلَ الْفِقْهِ وَالِدِّينِ . وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ ، وَعَطَاءٌ ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ : { وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ } يَعْنِي : الْعُلَمَاءُ . وَالظَّاهِرُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ الْآيَةَ فِي جَمِيعِ أُولِي الْأَمْرِ مِنَ الْأَمْرَاءِ وَالْعُلَمَاءِ .

◀ قوله : "مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَمَنْ أَطَاعَ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي".

فِيهِ وَجُوبُ طَاعَةِ وَلاَةِ الْأُمُورِ ، وَهَذَا مُجْمَعٌ عَلَيْهِ وَإِنَّمَا تَحِبُّ الطَّاعَةَ حَيْثُ لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ كَمَا قَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ «إِلَّا أَنْ يَأْمُرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أَمَرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ:»، وَهَذَا الْحَدِيثُ وَمَا فِي مَعْنَاهُ مُقَيَّدٌ لَوْجُوبِ طَاعَةِ الْأَمْرَاءِ وَالسَّبَبِ فِي الْأَمْرِ

بِطَاعَتِهِمْ اجْتِنَاعُ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ الْخِلَافَ سَبَبٌ لِفَسَادِ أَحْوَالِهِمْ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ وَيُسْتَنْجَجُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ؛ لِأَنَّهُ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَمَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ.

❧ مسألة: ما حكم طاعة ولي الأمر؟

❧ قوله: "اسْمَعْ وَأَطِعْ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ"

قال الشيخ العثيمين رحمه الله:

وقال ﷺ: ((وأطع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك)). وقال ﷺ: "على المسلم السمع والطاعة في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه".

فنحن علينا السمع والطاعة، وعلى الولاية النصح لنا، وأن يسيروا بنا على هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن لا نقول إذا استأثروا علينا وكانت لهم القصور الفخمة، والسيارات المريحة، والثياب الجميلة، وما أشبه ذلك، لا نقول: والله لا يمكن أن نسمع وهم في قصورهم وسياراتهم ونحن في بؤس وحاجة، والواحد منا لا يجد السكن وما أشبه ذلك. هذا حرامٌ علينا، يجب أن نسمع ونطيع حتى في حال الأثرة.

وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام لأصحابه للأَنْصار رضي الله عنهم: ((إنكم ستلقون بعدي أثره فاصبروا حتى تلقوني على الحوض)) يقول للأَنْصار ذلك منذ ألف وأربعمائة سنة: ستلقون بعدي أثره من ذاك الوقت والولاية يستأثرون على الرعية، ومع هذا يقول: ((اصبروا حتى تلقوني على الحوض)). فليس استئثار ولاية الأمور بما يستأثرون به مانعاً من السمع والطاعة لهم، الواجب السمع والطاعة في كل ما أمروا به ما لم يأمرُوا بمعصية.

فقد جاء عن زِيَادِ بْنِ كُسَيْبٍ الْعَدَوِيِّ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ أَبِي بَكْرَةَ تَحْتَ مِنْبَرِ ابْنِ عَامِرٍ وَهُوَ يَخْطُبُ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ رِقَاقٌ، فَقَالَ أَبُو بِلَالٍ: انْظُرُوا إِلَى أَمِيرِنَا يَلْبَسُ ثِيَابَ الْفُسَّاقِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرَةَ: اسْكُتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ أَهَانَهُ اللَّهُ».

حسنه الألباني

وقال (في فتاواه): تجب طاعته ولو كان فاسقاً، وهو كذلك، فتجب طاعة ولي الأمر ولو كان من أفسق عباد الله؛ وذلك لعموم الأدلة الدالة على وجوب طاعة ولاية الأمور، والصبر عليهم وإن رأينا منهم ما نكره في أديانهم وعدلهم واستثثارهم، فإننا نسمع ونطيع فنؤدي الحق الذي أوجب الله علينا، ونسأل الله الحق الذي لنا، هكذا أمر النبي ﷺ، وهكذا جرى عليه سلف هذه الأمة. فإن أمر بمعصية فإنه لا طاعة له؛ لأنه هو نفسه عبد الله مأمور لله، فكيف يأمر بما يخالف أمر الله، نقول: ربنا وربك الله، ولا طاعة لك في معصية الله أبداً، ويدل لهذا قصة السرية الذين بعثهم الرسول ﷺ وأمر عليهم رجلاً وأمرهم أن يطيعوا أميرهم، وفي يوم من الأيام أغضبوه فأمرهم أن يجمعوا خطباً، فقالوا:

سمعاً وطاعة فجمعوا الخطب، وأمرهم أن يوقدوا فيه النار، قالوا: سمعاً وطاعة وأوقدوا النار، قال: ألقوا أنفسكم فيها، فتردد القوم؛ لأن النبي ﷺ أمرهم أن يطيعوه، ولكن لماذا آمنوا؟ آمنوا خوفاً من النار، فقال بعضهم لبعض: كيف نلقي أنفسنا في النار، ونحن إنما آمنّا فراراً منها، وهذا قياس صحيح، فأبوا أن يلقوا أنفسهم في النار، فلما رجعوا إلى المدينة، وأخبروا النبي ﷺ بهذا، قال: «لو دخلوا فيها ما خرجوا منها»؛ لأنهم قتلوا أنفسهم، ومن قتل نفسه بالنار عُدَّ بها في نار جهنم؛ لأن كل من قتل نفسه بشيء فإنه يعذب به في نار جهنم.

❖ فائدة :

❖ قال الفوزان: أما أهل البدع والضلال فيرون الخروج على ولاية الأمور، وهذا مذهب الخوارج، ونحن نبرأ إلى الله من هذا المذهب. (١)

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة - طرح الثريب في شرح التقريب (٨ / ٨٢) شرح رياض الصالحين (٣ / ٦٥٩)

الْخُمْسُونَ مِنْ شَعْبِ الْإِيمَانِ

التَّمَسُّكُ بِمَا عَلَيْهِ الْجَمَاعَةُ

لَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} آل عمران ١٠٣
وَلِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي "صَحِيحِ مُسْلِمٍ": (مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ ثُمَّ مَاتَ مَاتَ مِيتَةَ
جَاهِلِيَّةٍ)

وَحَدِيثِ عَرْفَجَةَ بْنِ شُرَيْحٍ الْأَشْجَعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي "صَحِيحِ مُسْلِمٍ" أَيْضًا: «إِنَّهُ سَتَكُونُ
هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ، فَاضْرِبْهُ بِالسَّيْفِ كَأَنَّا مَنْ كَانَ»

◀ قَوْلُهُ: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} قِيلَ {بِحَبْلِ اللَّهِ} أَيُّ: بِعَهْدِ اللَّهِ،
كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ بَعْدَهَا: {ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا ثَقَفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ}
أَيُّ بِعَهْدٍ وَذِمَّةٍ . وَقِيلَ: {بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ} يَعْنِي: الْقُرْآنَ.
وَقَوْلُهُ: {وَلَا تَفَرَّقُوا} أَمَرُهُمُ بِالْجَمَاعَةِ وَنَهَاهُمْ عَنِ التَّفَرُّقَةِ وَقَدْ وَرَدَتْ الْأَحَادِيثُ الْمُتَعَدِّدَةُ بِالنَّهْيِ
عَنِ التَّفَرُّقِ وَالْأَمْرِ بِالْاجْتِمَاعِ وَالِاتِّتِلَافِ
وَقَدْ ضُمِنَتْ لَهُمُ الْعِصْمَةُ، عِنْدَ اتِّفَاقِهِمْ، مِنْ الْخَطَا، كَمَا وَرَدَتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الْمُتَعَدِّدَةُ أَيْضًا،
وَخِيفَ عَلَيْهِمُ الْإِفْتِرَاقُ، وَالِاخْتِلَافُ، وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ فَافْتَرَقُوا عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ
فِرْقَةً، مِنْهَا فِرْقَةٌ نَاجِيَةٌ إِلَى الْجَنَّةِ وَمُسْلِمَةٌ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَهُمْ الَّذِينَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ.

كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْمُرَوِّيِّ مِنْ طَرِيقٍ: "أَنَّ الْيَهُودَ اخْتَلَفُوا عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَأَنَّ النَّصَارَى اخْتَلَفُوا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً". قَالُوا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي". (١)

❖ قوله: "(من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات مات ميتة جاهلية)"

فيه التحذير الشديد من الخروج على إمام المسلمين، وكونه كبيرة من الكبائر، لقوله - صلى الله عليه وسلم -: "فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية" فإن هذا الوعيد الشديد لا يترتب إلا على مرتكب الكبيرة وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب، والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه، لا في ذلك من حقن الدماء.

❖ قوله: "إِنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ، فَاضْرِبْهُ بِالسَّيْفِ كَانَتْ مَنَ كَانَ"

"الْهَنَاتُ" جَمْعُ هَنَةٍ وَتُطْلَقُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا "الْفِتْنُ وَالْأُمُورُ الْحَادِثَةُ" قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ فَاضْرِبْهُ بِالسَّيْفِ كَانَتْ مَنَ كَانَ) فِيهِ الْأَمْرُ بِقِتَالِ مَنْ خَرَجَ عَلَى الْإِمَامِ أَوْ أَرَادَ تَفْرِيقَ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَنَحْوَ ذَلِكَ وَيُنْهَى عَنْ ذَلِكَ فَإِنْ لَمْ يَنْتَهِ قُوتِلَ وَإِنْ لَمْ يَنْدَفِعْ شُرُّهُ إِلَّا بِقِتَالِهِ فَقَتِلَ) كَانَ هَدْرًا فَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاضْرِبْهُ بِالسَّيْفِ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى فَاقْتُلُوهُ مَعْنَاهُ إِذَا لَمْ يَنْدَفِعْ إِلَّا بِذَلِكَ وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (يُرِيدُ أَنْ يَشَقَّ عَصَاكُمْ) مَعْنَاهُ يَفْرُقُ جَمَاعَتَكُمْ كَمَا تَفْرُقُ الْعَصَا الْمَشْقُوقَةَ وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ اخْتِلَافِ الْكَلِمَةِ وَتَنَافُرِ النُّفُوسِ. (٢)

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٢/ ٨٩)

(٢) شرح النووي على مسلم (١٢/ ٢٤١)

❁ مسألة : إذا رأينا كفرةً بواحاً فهل يجب الخروج أم لا؟

قال الشيخ مقبل الوادعي عليه رحمة الله: الخروج على الحاكم يعتبر فتنة فبسببه تسفك الدماء ويضعف المسلمون، حتى لو كان الحاكم كافراً فلا بد أن يكون لدى المسلمين القدرة على مواجهته، حتى لا تسفك دماء المسلمين، فإن الله عز وجل يقول: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} (النساء: ٩٣)، فتاريخ أهل السنة من زمن قديم لا يميزون الخروج على الحاكم المسلم، وفي هذا الزمن الخروج على الحاكم الكافر لا بد أن يكون بشروط، فإذا كان جاهلاً لا بد أن يعلم، وألا يؤدي المنكر إلى ما هو أنكر منه، ولا تسفك دماء المسلمين. أ.هـ

❁ قال الشيخ ابن عثيمين:

والأئمة لا يجوز الخروج عليهم إلا بشروط مغلظة؛ لأن أضرار الخروج عليهم أضعافاً مضاعفة ما يريد هؤلاء من الإصلاح، وهذه الشروط هي:

❁ الأول: أن نعلم علم اليقين أنهم أتوا كفراً.

❁ الثاني: أن نعلم أن هذا الكفر صريح ليس فيه تأويل، ولا يحتمل التأويل، صريح ظاهر واضح؛ لأن الصريح كما جاء في الحديث هو الشيء الظاهر بين العالي، كما قال الله تعالى عن فرعون أنه قال لهامان: {ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ۝ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ} (غافر: ٣٦-٣٧) فلا بد أن يكون صريحاً، أما ما يحتمل التأويل، فإنه لا يسوغ الخروج عن الإيمان.

❁ الثالث: أن يكون عندنا فيه من الله برهان ودليل قاطع مثل الشمس أن هذا كفر، فلا بد إذن أن نعلم أنه كفر، وأن نعلم أن مرتكبه كافر لعدم التأويل، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان، وقالوا: أفلا تنابذهم عند ذلك؟ قال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة، أي: ما داموا يصلون»

الرابع: القدرة على إزالته، أما إذا علمنا أننا لا نزيله إلا بقتال، تُراق في الدماء وتستباح فيه الحرمات، فلا يجوز أن نتكلم أبداً، ولكن نسأل الله أن يهديه أو يزيله؛ لأننا لو فعلنا وليس عندنا قدرة، فهل يمكن أن يتزحزح هذا الوالي الكافر عما هو عليه؟ لا، بل لا يزداد إلا تمسكاً بما هو عليه، وما أكثر الذين يناصرونه، إذاً يكون سعيها بالخروج عليه مفسدة عظيمة، لا يزول بها الباطل بل يقوى بها الباطل، ويكون الإثم علينا، فنحن الذين وضعنا رقابنا تحت سيوفه، ولا أحد أحكم من الله، ولم يفرض القتال على النبي ص وأصحابه ي إلا حين كان لهم دولة مستقلة، وإلا فإنهم كانوا يهانون في مكة، الذي يحبس، والذي يقتل، والذي توضع عليه الحجارة المحمية على بطنه، ومحمد رسول الله ص يرجع من الطائف، يرمونه بالحجارة حتى أدموا عقبه، ولم يؤمر بالقتال؛ لأن الله حكيم؛ ولذلك مع الأسف الشديد لا تجد أحداً عصى الرسول - عليه الصلاة والسلام - وخرج على الإمام بما للإمام فيه شبهة، إلا ندم وكان ضرراً على شعبه، ولم يزل الإمام، ولا أريد بالإمام الإمام الأعظم؛ لأن الإمام الأعظم ذهب من زمان، لكن إمام كل قوم من له سلطة عليهم. أ.هـ.

أنواع الخروج على الحكام: الخروج على الحكام ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: (خروج بالسيف) وهذا أشد أنواع الخروج إفساداً.

الثاني: (خروج بالاعتقاد) وذلك بعدم الاعتراف بولايتهم، واعتقاد أنه لا سمع لهم ولا طاعة، واعتقاد جواز الخروج عليهم.

الثالث: (خروج بالقول) وذلك بذكر مثالبهم، وتحريض الرعية على الخروج عليهم، وعدم السمع والطاعة لهم، والدعاء عليهم. (راجع هذه الأقسام في شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ)

قال الشيخ الفوزان حفظه الله: لا يجوز الدعاء عليهم: لأن هذا خروج معنوي، مثل الخروج عليهم بالسلاح، وكونه دعا عليهم؛ لأنه لا يرى ولايتهم، فالواجب الدعاء لهم بالهدى والصلاح، لا الدعاء عليهم، فهذا أصل من أصول أهل السنة والجماعة، فإذا رأيت أحداً يدعو

على ولاية الأمور، فاعلم أنه ضال في عقيدته، وليس على منهج السلف، وبعض الناس قد يتخذ هذا من باب الغيرة والغضب لله عز وجل، لكنها غيرة وغضب في غير محلها؛ لأنهم إذا زالوا حصلت المفاصد.

✽ قال الإمام الفضيل بن عياض / ويروي ذلك عن الإمام أحمد يقول: (لو أني أعلم أن لي دعوة مستجابة لصرفتها للسلطان).

والإمام أحمد صبر في المحنة، ولم يثبت عنه أنه دعا عليهم أو تكلم فيهم، بل صبر وكانت العاقبة له، هذا مذهب أهل السنة والجماعة. فالذين يدعون على ولاية أمور المسلمين ليسوا على مذهب أهل السنة والجماعة، وكذلك الذين لا يدعون لهم، وهذا علامة أن عندهم انحرافاً عن عقيدة أهل السنة والجماعة. (١)

الْحَادِي وَالْخُمْسُونَ مِنْ شَعْبِ الْإِيمَانِ

الْحُكْمُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْعَدْلِ

لَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ} النساء ٥٨

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}

وَلِحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "فِي الصَّحِيحَيْنِ": قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيَعْلَمُهَا"

◀ وَقَوْلُهُ: {وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ}

قال ابن كثير: أُمِرَ مِنْهُ تَعَالَى بِالْحُكْمِ بِالْعَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ؛ وَلِهَذَا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ وَرَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ وَشَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ: إِنَّمَا نَزَلَتْ فِي الْأَمْرَاءِ، يَعْنِي الْحُكَّامَ بَيْنَ النَّاسِ. وَفِي الْحَدِيثِ: "إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْحَاكِمِ مَا لَمْ يَجْرُ، فَإِذَا جَارَ وَكَلَهُ إِلَى نَفْسِهِ". وَفِي الْأَثَرِ: عَدَلَ يَوْمَ كَعْبَادَةَ أَرْبَعِينَ سَنَةً.

قال النووي رحمه الله تعالى في كتاب رياض الصالحين في باب الوالي العادل: والوالي هو الذي يتولى أمراً من أمور المسلمين الخاصة أو العامة، حتى الرجل في أهل بيته يُعتبر والياً عليهم؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم ((الرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته)) والعدل واجب حتى في معاملة الإنسان نفسه؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن لنفسك عليك حقاً، ولربك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، ولزورك - أي الزائر - عليك حقاً فأعط كل ذي حق حقه)).

فالعدل واجب في كل شيء، لكنه في حق ولاية الأمور أوكد وأولى وأعظم؛ لأن خلاف العدل إذا وقع من ولاية الأمور؛ حصلت الفوضى والكراهة لولي الأمر حيث لم يعدل.

﴿وَقَوْلُهُ: {فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} أَي: اْعْدِلُوا بَيْنَهُمْ فِيمَا كَانَ أَصَابَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، بِالْقِسْطِ، وَهُوَ الْعَدْلُ، {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الْمُقْسِطُونَ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَلَى يَمِينِ الْعَرْشِ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُّوا". رَوَاهُ مُسْلِمٌ. (١)

﴿قوله: "لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ، وَآخَرُ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا".

قَالَ بَنُ بَطَّالٍ: مَفْهُومُ الْآيَةِ أَنَّ مَنْ حَكَمَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ اسْتَحَقَّ جَزِيلَ الْأَجْرِ وَدَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى جَوَازِ مُنَافَسَتِهِ فَاقْتَضَى أَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَشْرَفِ الْأَعْمَالِ وَأَجَلُّ مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ.

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٢/ ٣٤١) - شرح رياض الصالحين (٣/ ٦٤١)

من صور العدل :

ما جاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اشترى رجل من رجل عقارا له، فوجد الرجل الذي اشترى العقار، في عقاره جرّة فيها ذهب. فقال له الذي اشترى العقار: خذ ذهبك مني، إنّما اشتريت منك الأرض، ولم أبتع منك الذهب. فقال الذي شري الأرض، إنّما بعثتك الأرض وما فيها. قال: فتحاكما إلى رجل، فقال الذي تحاكما إليه: ألكما ولد، فقال أحدهما: لي غلام، وقال الآخر: لي جارية، قال: أنكحوا الغلام الجارية، وأنفقوا على أنفسكما منه وتصدّقا» متفق عليه .

* عن عليّ - رضي الله عنه - قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فقلت: تبعثني إلى قوم ذوي أسنان، وأنا حديث السنّ. قال: «إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض لأحدهما حتّى تسمع من الآخر كما سمعت من الأوّل» قال عليّ: فما زلت قاضيا متفق عليه .

* (عن أبي موسى الأشعريّ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ الأشعريّين إذا أرملوا في الغزو، أو قلّ طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسويّة، فهم منّي، وأنا منهم») متفق عليه .



الثاني والخمسون من شعب الإيمان

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قَالَ تَعَالَى: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [آلِ عِمْرَانَ: ١٠٤]

وَقَالَ تَعَالَى: {لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [المائدة: ٧٨، ٧٩] .

والقرآن مشحون بهما

وَلَحْدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ" رَوَاهُ مُسْلِمٌ.
وَحَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِنَّمَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةٌ خَرْدَلٍ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: (قَالَ كَانَ يُقَالُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِذَنْبِ الْخَاصَّةِ وَلَكِنْ إِذَا عَمِلَ الْمُنْكَرَ جَهَارًا فَلَمْ يَنْكُرُوهُ اسْتَحَقُّوا الْعُقُوبَةَ كُلَّهُمْ).

◀ "تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"

فالمعروف: كل ما عرفه الشرع وأقره من العبادات القولية والفعلية، الظاهرة، والباطنة. والمنكر: كل ما أنكره الشرع ومنعه من أنواع المعاصي؛ من الكفر، والفسوق، والعصيان، والكذب، والغيبة، والنميمة، وغير ذلك.

▼ حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

واجب وفرض كفاية، إذا قام به من يكفي حصل المقصود، وإذا لم يقم به من يكفي؛ وجب على جميع المسلمين.

◀ قَالَ تَعَالَى: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}

قال الشيخ العثيمين: فبدأ بالدعوة إلى الخير، ثم ثنى بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وذلك لأن الدعوة إلى الخير قبل الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الخير هي بيان الخير

للناس، بأن يدعوهم إلى الصلاة وإلى الزكاة، وإلى الحج، وإلى الصيام، وإلى بر الوالدين، وإلى صلة الأرحام، وما أشبه ذلك،

ثم بعد هذا يأتي دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيأمر ويقول: صل، إما على سبيل العموم، أو على سبيل الخصوص، بأن يمسك برجل متهاون بالصلاة فيقول له: صل. قوله: (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) وهذه الجملة تفيد عند أهل العلم باللغة العربية الحصر، أي أن الفلاح إنما يكون هؤلاء الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويدعون إلى الخير.

﴿وَقَالَ تَعَالَى: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾

اللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله والعياذ بالله، ولا يستحقه إلا من فعل كبيرة من كبائر الذنوب.

وبنو إسرائيل: هم بنو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، فإسرائيل هذه لقب ليعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، إبراهيم له ولدان: إسماعيل وإسحاق، إسماعيل هو الولد الأكبر وهو الذي أمره الله بذبحه، ثم من الله عليهما جميعاً برفع هذا الأمر ونسخه، وفداه الله عز وجل بذبح عظيم، وأما إسحاق فهو الولد الثاني إبراهيم وهو من زوجته، وأما إسماعيل فهو من سريته هاجر - رضي الله عنها - فبنو إسرائيل هم من نسل يعقوب بن إسحاق، وأرسل الله إليهم الرسل الكثيرة، وكان منهم المعتدون الذين يقتلون الأنبياء بغير حق، والعياذ بالله.

وكانوا أيضاً لا ينهون عن منكر فعلوه، بل يرى بعضهم المنكر ولا ينهى عنه، وقصة القرية التي كانت حاضرة البحر مشهورة معلومة في القرآن الكريم، وهم قوم من اليهود حرم الله عليهم الصيد من البحر يوم السبت، فكان في يوم السبت تأتي الحيتان شرعاً على وجه الماء من كثرتها، ويوم لا يسبتون لا تأتيهم، فطال عليهم الأمد، فقالوا: لا بد أن نتخذ حيلة نتوصل بها إلى الصيد فقالوا: نضع شباكاً في البحر، فإذا جاءت الحيتان يوم السبت مسكتها الشباك، فإذا كان يوم

الأحد أخذناها ففعلوا ذلك، فكان منهم قومٌ يعظمون وينهون عن هذا المنكر، وقوم ساكتون، وقوم فاعلون، فعاقبهم الله عزّ وجلّ وقال: (كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ)، فكانوا - والعياذ بالله - قردة، بنو آدم انقلبوا قردة خاسئين أدلة.

وفي ذلك دليلٌ على وجوب النهي عن المنكر، وعلى أن تركه سبب للعن والطرد عن رحمة الله. (١)
"مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ" رَوَاهُ مُسْلِمٌ.
للشيخ العثيمين :

أنواع تغير المنكر فالمرحلة الأولى: وهي التغير باليد، الذي قال فيه الرسول عليه الصلاة والسلام: **"من رأى منكم منكراً فليغيره بيده"** ولم يقل فلينه عنه؛ لأن هذه مرحلة فوق النهي، **"فإن لم يستطع فبلسانه"** وإن لم يستطع فبقلمه **"اللسان هو مرحلة النهي عن المنكر الثانية، فإذا كان الإنسان لا يستطيع أن يتكلم فإنه ينكر بقلبه، بكرهته وبغضه لهذا المنكر.**
والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحتاج إلى أمور:

➤ **الأمر الأول:** أن يكون الإنسان عالماً بالمعروف والمنكر، فإن لم يكن عالماً بالمعروف فإنه لا يجوز أن يأمر به، لأنه يأمر بماذا؟ قد يأمر بأمر يظنه معروفاً وهو منكر ولا يدري، فلا بد أن يكون عالماً أن هذا من المعروف

➤ **الأمر الثاني:** أن تعلم بأن هذا الرجل تارك للمعروف أو فاعل للمنكر، ولا تأخذ الناس بالتهمة أو بالظن، فلا يجوز أن تنكر على شخص إلا إذا علمت أنه وقع في المنكر.

➤ **الأمر الثالث:** ينبغي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يكون رفيقاً بأمره في نهيهِ؛ لأنه إذا كان رفيقاً أعطاه الله سبحانه وتعالى ما لا يعطي على العنف، ويقول صلى الله عليه وسلم: **"ما**

(١) شرح رياض الصالحين (٢/ ٤٠٣) - تفسير ابن كثير .

كان الرفق في شيء إلا زانه، وما ينزع من شيء إلا شانه " فعلى الأمر أن يحرص على أن يكون أمره ونهيه رفيقاً.

➤ الأمر الرابع: أن لا يزول المنكر إلى ما هو أعظم منه، فإن كان هذا المنكر لو نهينا عنه، زال إلى ما هو أعظم منه، فإنه لا يجوز أن ننهي عنه، درءاً لكبرى المفسدتين بصغريهما؛ لأنه إذا تعارض عندنا مفسدتان وكان إحدهما أكبر من الأخرى؛ فإننا نتقي الكبرى بالصغرى.

مثال ذلك: لو أن رجلاً يشرب الدخان أمامك فأردت أن تنهاه وتقيمه من المجلس، ولكنك تعرف أنك لو فعلت لسب الدين، ومعلوم أن ذلك أعظم من شرب الدخان، فهنا لا ننهاه؛ بل نعالجه بالتي هي أحسن لئلا يؤول الأمر إلى ما هو أنكروا وأعظم.

❧ قوله: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ يَبِيدَهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةٌ خَرْدَلٍ». رواه مسلم.

الحواريون: الأصفياء، الناصرون. والحواري هو الناصر للرجل، والمختص به، والمعين، والمصافي.

❧ وفي الحديث: دليل على تفاوت مراتب الإيمان، وأن عدم إنكار القلب دليل على ذهاب الإيمان منه، ولهذا قال ابن مسعود: هلك إن لم يعرف قلبك المعروف، وينكر المنكر. (١)



الثالث والخمسون من شعب الإيمان

التعاون على البر والتقوى


لَقَوْلُهُ تَعَالَى {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} الْمَائِدَةُ ٢


(١) شرح رياض الصالحين (٢/ ٤٠٣) - تطريز رياض الصالحين (ص: ١٤٩)

وَلِحَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "فِي الصَّحِيحَيْنِ" ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَصْرُتُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ انْصَرُّهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: «تَكْفُهُ عَنِ الظُّلْمِ، فَذَاكَ نَصْرُكَ إِيَّاهُ»

◀ ومعنى البر والتقوى : يختلف معناها بحسب اجتماعها وافتراقها .


❧ يدخلان تحت القاعدة (إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا) .

قال ابن القيم : (البر والتقوى إذا أُفرد كل واحد منهما دخل في مسمى الآخر)  فالبر : كلمة لجميع أنواع الخير والكمال المطلوب من العبد .

 والتقوى : العمل بطاعة الله إيماناً واحتساباً ، أمراً ونهيّاً .. إلى أن قال ولا ريب أن هذا اسم لجميع أصول الإيمان وفروعه ، وأن البر داخل في هذا المسمى)

▼ (فإذا اجتمع البر والتقوى) :

قال ابن القيم : (إذا اقترنا فالفرق بينهما كالفرق بين السبب ، المقصود لغيره ، والغاية المقصودة لنفسها :

 فإن البر : مطلوب لذاته ؛ إذ هو كمال العبد وصلاحه الذي لا صلاح بدونه ،

وأما التقوى : فهي الطريق الموصلة إلى البر والوسيلة إليه) ١. هـ (١)

❧ وقال ابن رجب : " إذا اقترنا كان "

فالبر : معاملة الخلق بالإحسان ،

والتقوى : معاملة الحق بفعل طاعته واجتناب حرمانه .

وقد يكون المراد بالبر : فعل الواجبات ، وبالتقوى : اجتناب المحرمات . ١. هـ

❦ {الفرق بين الإثم والعدوان}.

قال ابن القيم : (الإثم والعدوان إذا افرد كل منهما تضمن الآخر فكل إثم عدوان ، إذ هو فعل ما نهى الله عنه وترك ما أمر الله به فهو عدوان على أمره ونهيه ، وكل عدوان إثم فإنه يأثم صاحبه)
 ❦ وعند الاقتران يكون كل منهما بمعنى مختلف عن الآخر :

{ فالإثم } وهو التجرد على المعاصي التي يأثم صاحبها، ويخرج .
 { وَالْعُدْوَانِ } وهو التعدي على الخلق في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، فكل معصية وظلم يجب على العبد كف نفسه عنه، ثم إعانة غيره على تركه . ١. هـ (١)

❦ قَوْلُهُ تَعَالَى {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}

❦ قال الإمام السعدي : يأمر الله عباده في هذه الآية أن يعين بعضهم بعضاً على فعل كل ما يحبه الله ورسوله ﷺ ، وترك كل ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ ، فإن العبد مأمور أن يحقق ذلك في نفسه ، وأن يعين غيره من المؤمنين على تحقيقها بكل قول يبعث على ذلك وبكل فعل .

❦ قوله : «انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»

(لَا يَظْلِمُهُ) نَفْيٌ بِمَعْنَى النَّهْيِ، وَالْمَعْنَى: لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَظْلِمَهُ، فَإِنَّ الظُّلْمَ لَا يَتَصَوَّرُ فِي حَقِّ الْكَافِرِ، فَإِنَّ الظَّالِمَ يَنْحَطُّ أَوَّلًا عَنْ رُتْبَةِ النَّبَوَّةِ: {لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ} وَثَانِيًا عَنْ دَرَجَةِ الْوَلَايَةِ: {أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ}، وَثَالِثًا: عَنْ نَظَرِ الْخَلَائِقِ: جُبِلَتِ الْقُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا وَبُغِضَ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهَا، وَخَامِسًا: عَنْ حِفْظِ نَفْسِهِ: "وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ".

لَا تَظْلِمَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا فَالظُّلْمُ آخِرُهُ يَأْتِيكَ بِالنَّدَمِ
 نَامَتْ عُيُونُكَ وَالْمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللَّهِ لَمْ تَنَمْ.

وفي رواية: "فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟
قَالَ: "تَحْجِزُهُ عَنِ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ".

❧ قال ابن حجر :

بُوب الإمام البخاري: (بَابُ نَصْرِ الْمَظْلُومِ هُوَ فَرَضُ كِفَايَةِ)
وَهُوَ عَامٌّ فِي الْمَظْلُومِينَ وَكَذَلِكَ فِي النَّاصِرِينَ بِنَاءً عَلَى أَنَّ فَرَضَ الْكِفَايَةِ مُحَاطَبٌ بِهِ الْجَمِيعُ وَهُوَ
الرَّاجِحُ وَيَتَعَيَّنُ أَحْيَانًا عَلَى مَنْ لَهُ الْقُدْرَةُ عَلَيْهِ وَحْدَهُ إِذَا لَمْ يَتَرَتَّبْ عَلَى انْكَارِهِ مَفْسَدَةٌ أَشَدُّ مِنْ
مَفْسَدَةِ الْمُنْكَرِ.. وَشَرَطُ النَّاصِرِ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِكَوْنِ الْفِعْلِ ظُلْمًا وَيَقَعِ النَّصْرُ مَعَ وَقُوعِ الظُّلْمِ وَهُوَ
حِينَئِذٍ حَقِيقَةٌ وَقَدْ يَقَعُ قَبْلَ وَقُوعِهِ كَمَنْ أَنْقَذَ إِنْسَانًا مِنْ يَدِ إِنْسَانٍ طَالَبَهُ بِهَالِ ظُلْمٍ وَهَدَدَهُ إِنْ لَمْ
يَبْذُلْهُ وَقَدْ يَقَعُ بَعْدَ وَهُوَ كَثِيرٌ. (١)



الرَّابِعُ وَالْخُمْسُونَ مِنْ شُعْبِ الْإِيمَانِ

الْحَيَاءُ

لَحْدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا "فِي الصَّحِيحِينَ"، مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى
رَجُلٍ، وَهُوَ يُعَاتِبُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ، يَقُولُ: إِنَّكَ لَتَسْتَحْيِي، حَتَّى كَأَنَّهُ يَقُولُ: قَدْ أَصْرَبَكَ، فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعُهُ، فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ».
وللبخاري عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «إِنَّ
مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»
"وفي الصحيحين" عن عُمَرَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ)

(١) راجع تفسير السعدي . مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٣١٠٤) فتح الباري لابن حجر (٥/ ٩٩)

وَلِحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "فِي الصَّحِيحِينَ" قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعُدْرَاءِ فِي خِدْرِهَا وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ»

◀ الحياء :

تعريف الحياء في اللغة: تَعَيَّرَ يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ مِنْ خَوْفٍ مَا يُعَابُ بِهِ. وَفِي الشَّرْعِ: خُلُقٌ يَبْعَثُ عَلَى اجْتِنَابِ الْقَبِيحِ وَيَمْنَعُ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي حَقِّ ذِي الْحَقِّ.

✎ قال الشيخ العثيمين :

الحياء هو صفة في النفس تحمل الإنسان على فعل ما يجمل ويزين، وترك ما يندس ويشين، فتجده إذا فعل شيئاً يخالف المروءة استحيا من الناس، وإذا فعل شيئاً محرماً استحيا من الله عز وجل وإذا ترك واجبا استحيا من الله وإذا ترك ما ينبغي فعله استحيا من الناس فالحياء من الإيمان.

◀ قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعُوهُ، فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ».

قال الصنعاني: وَمَعْنَى كَوْنِهِ مِنَ الْإِيمَانِ أَنَّ الْمُسْتَحْيَ يَنْقَطِعُ بِحَيَاتِهِ عَنِ الْمَعَاصِي فَيَصِيرُ كَالْإِيمَانِ الْقَاطِعِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَعَاصِي. وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: مَعْنَاهُ أَنَّ الْحَيَاءَ يَمْنَعُ صَاحِبَهُ مِنْ ارْتِكَابِ الْمَعَاصِي كَمَا يَمْنَعُ الْإِيمَانُ فَسْمِيَّ إِيْمَانًا كَمَا يُسَمَّى الشَّيْءُ بِاسْمِ مَا قَامَ مَقَامُهُ وَالْحَيَاءُ مُرَكَّبٌ مِنْ جُبْنٍ وَعِفَّةٍ.

◀ وقوله في الحديث «الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ وَلَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ»

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: من عقوبات المعاصي ذهاب الحياء الذي هو مادة حياة القلب، وهو أصل كل خير وذهابه ذهاب الخير أجمعه فقد جاء في الحديث الصحيح: "الحياء خير كله"

قال الصنعاني: فَإِنْ قُلْتُ: قَدْ يَمْنَعُ الْحَيَاءُ صَاحِبَهُ عَنْ انْكَارِ الْمُنْكَرِ وَهُوَ إِخْلَالٌ بِبَعْضِ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ، فَلَا يَتِمُّ عُمُومُ "إِنَّهُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ"؟

(قُلْتُ): قَدْ أُجِيبَ عَنْهُ بِأَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْحَيَاءِ فِي الْأَحَادِيثِ الْحَيَاءُ الشَّرْعِيُّ، وَالْحَيَاءُ الَّذِي يَنْشَأُ عَنْهُ تَرْكُ بَعْضِ مَا يَجِبُ لَيْسَ حَيَاءً شَرْعِيًّا بَلْ هُوَ عَجْزٌ وَمَهَانَةٌ وَإِنَّمَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ الْحَيَاءُ لِمُشَابَهَتِهِ الْحَيَاءَ الشَّرْعِيَّ. (١)

أنواع الحياء :

الحياء قسمان: غريزي، ومكتسب. والحياء المكتسب: هو الذي جعله الشارع من الإيمان، وهو المكلف به دون الغريزي، وقد ينطبع الشخص بالمكتسب حتى يصير كالغريزي.

لَمَّا قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي الْمُفْهِمِ شَرْحِ مُسْلِمٍ: وَكَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَدْ جُمِعَ لَهُ النَّوعَانِ مِنَ الْحَيَاءِ الْمُكْتَسَبِ وَالْغَرِيزِيِّ وَكَانَ فِي الْغَرِيزِيِّ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا وَكَانَ فِي الْمُكْتَسَبِ فِي الذُّرْوَةِ الْعُلْيَا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

◀ قوله: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ).

قال النووي: "الْعَذْرَاءُ" الْبِكْرُ لِأَنَّ عُدْرَتَهَا بَاقِيَةٌ وَهِيَ جِلْدَةُ الْبَكَارَةِ "والخدر" ستر يجعل للبكر في جَنْبِ الْبَيْتِ "وَمَعْنَى عَرَفْنَا الْكَرَاهَةَ فِي وَجْهِهِ" أَي لَا يَتَكَلَّمُ بِهِ لِحَيَائِهِ بَلْ يَتَغَيَّرُ وَجْهُهُ فَنَفْهَمُ نَحْنُ كَرَاهَتَهُ. فالمرأة التي لم تتزوج عاداتها أن تكون حيية فالرسول عليه الصلاة والسلام أشد حياء من العذراء في خدرها، ولكنه لا يستحي من الحق يتكلم بالحق ويصدق به لا يبالي بأحد.

◀ قوله (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت)

معنى قوله "النبوة الأولى" أن الحياء لم يزل أمره ثابتاً واستعماله واجباً منذ زمان النبوة الأولى وأنه ما من نبي إلا وقد ندب إلى الحياء وبعث عليه وأنه لم ينسخ فيما نسخ من شرائعهم ولم يبدل فيما بدل منها.

(١) سبل السلام (٢/ ٦٨٩) - الداء والدواء (١٣١ - ١٣٣). شرح رياض الصالحين .

قوله: {فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ} قَالَ الْخَطَايَا: الْأَمْرُ فِيهِ لِلتَّهْدِيدِ نَحْوُ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَإِنَّ اللَّهَ يُجْزِيكُمْ، أَوْ أَرَادَ بِهِ: اِفْعَلْ مَا شِئْتَ مِمَّا لَا يَسْتَحْيِي مِنْهُ وَلَا تَفْعَلْ مَا تَسْتَحْيِي مِنْهُ، أَوْ الْأَمْرُ بِمَعْنَى الْخَبَرِ أَيُّ: إِذَا لَمْ يَكُنْ لَكَ حَيَاءٌ يَمْنَعُكَ مِنَ الْقَبِيحِ صَنَعْتَ مَا شِئْتَ. (١)

الخامس والخمسون من شعب الإيمان

بر الوالدين

لَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا} الاحقاف ١٥
وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} إِمَّا يَلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّي ارْزُقْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤) {الإسراء ٢٣ الى ٢٥
وَلِحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ: (قَالَ سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ الصَّلَاةُ لَوْ قَتَلْتُهَا قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ قَالَ بَرُّ الْوَالِدَيْنِ قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ قَالَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنِي بِهِنَ وَلَوْ اسْتَرَدَّتْهُ لَزَادَنِي)

◀ قوله: بر بالوالدين:

تعريف البر بالوالدين بر الوالدين ضد العقوق، قال ابن منظور - رحمه الله -: والبر ضد العقوق، والمبرة مثله، وبررت والدي: بالكسر أبره برا.

◀ قوله: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا}

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأُولَى التَّوْحِيدَ لَهُ وَإِخْلَاصَ الْعِبَادَةِ وَالْإِسْتِقَامَةَ إِلَيْهِ، عَطَفَ بِالْوَصِيَّةِ بِالْوَالِدَيْنِ، كَمَا هُوَ مَقْرُونٌ فِي غَيْرِ مَا آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، كَقَوْلِهِ: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ}

(١) معالم السنن (٤ / ١٠٩) - عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٢ / ١٦٦) - شرح النووي على مسلم (١٥ / ٧٨).

وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} [الإِسْرَاءُ: ٢٣] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الْكَثِيرَةِ. وَقَالَ هَاهُنَا: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا} أَيُّ: أَمَرْنَاهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا وَالْحُنُوِّ عَلَيْهِمَا. عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ يُحَدِّثُ عَنْ سَعْدٍ قَالَ: قَالَتْ أُمُّ سَعْدٍ لِسَعْدٍ: أَلَيْسَ قَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِطَاعَةِ الْوَالِدَيْنِ، فَلَا أَكُلُ طَعَامًا، وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّى تَكْفُرَ بِاللَّهِ. فَاثْمَنَعْتُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، حَتَّى جَعَلُوا يَفْتَحُونَ فَاهَا بِالْعَصَا، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا} الْآيَةُ. رواه مسلم .

❧ وَقَوْلُهُ: {إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌّ}

أَيُّ: لَا تَسْمَعْهُمَا قَوْلًا سَيِّئًا، حَتَّى وَلَا التَّأْفِيفَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى مَرَاتِبِ الْقَوْلِ السَّيِّئِ {وَلَا تَنْهَرُهُمَا} أَيُّ: وَلَا يَصْدُرُ مِنْكَ إِلَيْهِمَا فِعْلٌ قَبِيحٌ، كَمَا قَالَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ فِي قَوْلِهِ: {وَلَا تَنْهَرُهُمَا} أَيُّ: لَا تَنْفُضَ يَدَكَ عَلَى وَالِدَيْكَ.

وَلَمَّا نَهَاهُ عَنِ الْقَوْلِ الْقَبِيحِ وَالْفِعْلِ الْقَبِيحِ، أَمَرَهُ بِالْقَوْلِ الْحَسَنِ وَالْفِعْلِ الْحَسَنِ فَقَالَ: {وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا} أَيُّ: لَيْتِنَا طَيِّبًا حَسَنًا بِتَأْدِيبٍ وَتَوْقِيرٍ وَتَعْظِيمٍ. {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ} أَيُّ: تَوَاضَعَ لَهُمَا بِفِعْلِكَ .

قال الإمام السعدي :

❧ {وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا} أَيُّ: فِي كِبَرِهِمَا وَعِنْدَ وَفَاتِهِمَا {كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}

أَيُّ: ادْعَ لَهُمَا بِالرَّحْمَةِ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا، جَزَاءً عَلَى تَرْبِيَّتِهِمَا إِيَّاكَ صَغِيرًا.

وفهم من هذا : أنه كلما ازدادت التربية ازداد الحق، وكذلك من تولى تربية الإنسان في دينه ودنياه تربية صالحة غير الأبوين فإن له على من رباه حق التربية

❧ قوله : ((أي العمل أحب إلى الله؟ قال ((الصلاة على وقتها)) قلت: ثم أي؟ قال ((بر

الوالدين)) ، قلت: ثم أي؟ قال: ((الجهاد في سبيل الله)).

❧ قال الشيخ العثيمين :

وبر الوالدين من أفضل الأعمال؛ بل هو الحق الثاني بعد حق الله ورسوله.

فجعل النبي صلى الله عليه وسلم مرتبة البر بالوالدين مقدمة على مرتبة الجهاد في سبيل الله، قال:
ولو استزددته لزادني، وفي هذا دليل على فضل بر الوالدين.

فإن قال قائل: ما هو البر؟

قلنا: هو الإحسان إليهما؛ بالقول والفعل والمال بقدر المستطاع، اتقوا الله ما استطعتم، وضد ذلك العقوق.

❧ فائدة: نماذج من البر بالأنبياء:

(١) نبي الله نوح - عليه السلام - يذكر لنا الله - عز وجل - نموذجا من بره بوالديه حيث كان يدعو ويستغفر لهما كما في قوله - تعالى - عنه: {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} [نوح: ٢٨]

٢ - إمام الموحدين إبراهيم الخليل - عليه السلام - كان يدعو لأبيه كما في قوله: {وَاعْفِرْ لَأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِينَ} وهذا الدعاء، بسبب الوعد الذي قال لأبيه: {سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا} قال تعالى: {وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ}

٣- إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - يضرب أروع أمثلة البر في تاريخ البشرية؛ وذلك عندما قال له أبوه: {يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ} [الصافات: ١٠٢] فماذا كان رد ذلك الولد الصالح؟ هل تباطأ أو تكاسل، أو تردد وتثاقل؟ لا، بل قال كما أخبر الله تعالى عنه: {يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} .

٤ - عيسى بن مريم - عليه وعلى أمه السلام - يأتيه الشاء العطر، والتبجيل العظيم من ربه وهو ما يزال في المهدي - بأنه بار بأمه، ويقرن هذا بعبوديته لربه - عز وجل - قال - سبحانه - عنه: {وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا}

❧ ومن نماذج بر الصحابة رضي الله عنهم :

١- بر ابن عمر بأبيه: ما جاء في صحيح مسلم: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ، وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ. وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً، كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ فَقَالَ ابْنُ دِينَارٍ: فَقُلْنَا لَهُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ إِيَّاهُمُ الْأَعْرَابُ وَإِيَّاهُمْ يَرْضَوْنَ بِالْيَسِيرِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وَدًّا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَبْرَ الْبَرِّ صَلََةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وَدِّ أَبِيهِ»

للشيخ قال الشيخ العثيمين: وفي هذا الحديث دليل على امتثال الصحابة، ورغبتهم في الخير ومسارعتهم إليه؛ لأن ابن عمر استفاد من هذا الحديث فائدة عظيمة، فإنه فعل هذا الإكرام بهذا الأعرابي من أجل أن أباه كان صديقاً لعمر، فما ظنك لو رأى الرجل الذي كان صديقاً لعمر؟ لأكرمه أكثر وأكثر. وفي هذا الحديث أيضاً: سعة رحمة الله عز وجل حيث إن البر بابيه واسع لا يختص بالوالد والأم فقط؛ بل حتى أصدقاء الوالد وأصدقاء الأم، إذا أحسنت إليهم فإنها بررت والديك فتثاب ثواب البار بوالديه. (١)

٢- بر حارثة بن النعمان بأمه: فعن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لي: «دخلت الجنة فسمعت فيها قراءة، فقلت: من هذا؟ قالوا: حارثة بن النعمان، كذلكم البر، كذلكم البر، وكان أبر الناس بأمه»

(حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ) بِضَمِّ أَوَّلِهِ شَهِدَ بَدْرًا وَأُحُدًا وَالْمُشَاهِدَ كُلَّهَا، وَكَانَ مِنْ فُضَلَاءِ الصَّحَابَةِ، خَاطَبَهُمْ بِقَوْلِهِ: كَذَلِكَمُ الْبِرُّ، جَزَاؤُهُ أَوْ أُرِيدَ بِهِ الْمُبَالَغَةُ؛ حَيْثُ جُعِلَ جَزَاءُ الْبَرِّ بَرًّا (كَذَلِكَمُ الْبَرِّ). كَرَّرَهُ لِلتَّقْرِيرِ وَالتَّوَكِيدِ. قَالَ الطَّبْطَبِيُّ: فَإِنَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَأَى هَذِهِ الرُّؤْيَا، وَقَصَّ عَلَى

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٧٩) تفسير السعدي = (ص: ٤٥٦) - شرح رياض الصالحين (٣/ ٢١٦)

أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ: حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ نَبَّهُهُمْ عَلَى سَبِّ نَيْلِ تِلْكَ الدَّرَجَةِ، فَقَالَ: (كَذَلِكَمُ الْبِرِّ) أَيُّ: مِثْلُ تِلْكَ الدَّرَجَةِ تُنَالُ بِسَبِّ الْبِرِّ.

❖ ومن نماذج بر السلف:

* وعن الزهري، قال: كان الحسن بن علي لا يأكل مع أمه، وكان أبر الناس بها، فقيل له في ذلك، فقال: (أخاف أن أكل معها، فتسبق عينها إلى شيء من الطعام وأنا لا أدري، فأكله، فأكون قد عققتها). وفي رواية: (أخاف أن تسبق يدي يدها)

❖ قال هشام بن حسان: "حدثني حفصة بنت سيرين، قالت: كانت والددة محمد ابن سيرين حجازية، وكان يعجبها الصبغ، وكان محمد إذا اشترى لها ثوبا اشترى ألين ما يجد، فإذا كان عيد صبغ لها ثيابا، وما رأيته رافعا صوته عليها، كان إذا كلمها كالمصغي. وعن بعض آل سيرين قال: "ما رأيت محمد بن اسيرين يكلم أمه قط إلا وهو يتضرع. وعن ابن عون أن محمدا كان إذا كان عند أمه لو رآه رجل ظن أن به مرضا من خفض كلامه عندها"

❖ وقال عامر بن عبد الله بن الزبير: "مات أبي فما سألت الله حولا كاملا إلا العفو عنه" من مظاهر عقوق الوالدين :

- ١ - إكباء الوالدين وتخزينهما سواء بالقول أو الفعل، أو بالتسبب في ذلك.
 - ٢ - نهرهما وزجرهما وذلك برفع الصوت؛ والإغلاظ عليهما بالقول.
 - ٣ - التأفف والتضجر من أوامرها وهذا مما أدبنا الله - عز وجل - بتركه؛ فكم من الناس من إذا أمر عليه والداه - صدر كلامه بكلمة " أف " ولو كان سيطيعهما، قال تعالى: {فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ}
 - ٤ - مزاوله المنكرات أمام الوالدين: كشرب الدخان أمامهما، أو استماع آلات اللهو بحضرتهم، أو النوم عن الصلاة المكتوبة، ورفض الاستيقاظ لها إذا أوقظاه، وكذلك إدخال رفقة السوء للمنزل
- ❖ كيفية بر الوالدين بعد موتها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليرفع درجته في الجنة فيقول: أنى لي هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك». صححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع الصغير وزيادته
عن ابن عباس، أن رجلاً قال: يا رسول الله! إن أمي توفيت ولم توص، أفينفعها أن أتصدق عنها؟ قال: "نعم".

عن ابن عمر، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن أبر البر أن يصل الرجل أهل وُد أبيه".

السَّادِسُ وَالْخَمْسُونَ من شعب الإيمان

صلة الأرحام

لقوله تعالى: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ} وقوله تعالى: {الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} ولحديث أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ
وحديث جابر بن مطعم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

◀ قوله: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ}

أي: تعودوا إلى ما كنتم فيه من الجاهلية الجاهلاء، تفسكون الدماء وتقطعون الأرحام؛ ولهذا قال: {أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ} وهذا نهى عن الإفساد في الأرض عموماً،

وَعَنْ قُطْعِ الْأَرْحَامِ خُصُوصًا، بَلْ قَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِصْلَاحِ فِي الْأَرْضِ وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَهُوَ
الْإِحْسَانُ إِلَى الْأَقَارِبِ فِي الْمَقَالِ وَالْأَفْعَالِ وَبَذْلِ الْأَمْوَالِ. وَقَدْ وَرَدَتْ الْأَحَادِيثُ الصَّحَاحُ
وَالْحَسَنُ بِذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ طُرُقٍ عَدِيدَةٍ، وَوُجُوهٍ كَثِيرَةٍ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ
فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ: مَهْ! فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ. فَقَالَ: أَلَا
تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ؟ قَالَتْ: بَلَى. قَالَ: فَذَلِكَ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَؤُوا
إِنْ شِئْتُمْ: { فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ } رواه البخاري.

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا مِنْ ذَنْبٍ آخَرٍ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ
عُقُوبَتَهُ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يُدْخِرُ لِصَاحِبِهِ فِي الْآخِرَةِ، مِنْ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ". وإسناده صحيح.
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ الرَّحِمَ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ،
وَلَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِي، وَلَكِنَّ الْوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا" رواه البخاري.

◀ قوله: {الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِمْ يَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي
الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}

{الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ} إِلَى قَوْلِهِ: {الْخَاسِرُونَ} قَالَ: هِيَ سِتُّ خِصَالٍ مِنْ
الْمُنَافِقِينَ إِذَا كَانَتْ فِيهِمُ الظَّهْرَةُ عَلَى النَّاسِ أَظْهَرُوا هَذِهِ الْخِصَالَ: إِذَا حَدَّثُوا كَذِبًا، وَإِذَا وَعَدُوا
أَخْلَفُوا، وَإِذَا أُؤْتِمِنُوا خَانُوا، وَنَقَضُوا عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ، وَقَطَّعُوا مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ،
وَأَفْسَدُوا فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا كَانَتِ الظَّهْرَةُ عَلَيْهِمْ أَظْهَرُوا الْخِصَالَ الثَّلَاثَ: إِذَا حَدَّثُوا كَذِبًا، وَإِذَا
وَعَدُوا أَخْلَفُوا، وَإِذَا أُؤْتِمِنُوا خَانُوا.

وَقَوْلُهُ: {وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ} قِيلَ: الْمُرَادُ بِهِ صِلَةُ الْأَرْحَامِ وَالْقَرَابَاتِ، كَمَا فَسَّرَهُ

قَتَادَةُ، وَرَجَّحَهُ ابْنُ جَرِيرٍ. وَقِيلَ: الْمُرَادُ أَعْمٌ مِنْ ذَلِكَ فَكُلُّ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِوَصْلِهِ وَفَعْلِهِ قَطَعُوهُ
وَتَرَكُوهُ.

قوله: {أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} قَالَ فِي الْآخِرَةِ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: كُلُّ شَيْءٍ نَسَبَهُ اللَّهُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ مِنْ أَسْمٍ مِثْلِ "خَاسِرٍ"، فَإِنَّمَا يَعْنِي بِهِ الْكُفْرَ، وَمَا نَسَبَهُ إِلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ فَإِنَّمَا يَعْنِي بِهِ الذَّنْبَ. وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ فِي قَوْلِهِ: {أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} الْخَاسِرُونَ: جَمْعُ خَاسِرٍ، وَهُمْ النَّاقِصُونَ أَنْفُسَهُمْ حُطُوظَهُمْ بِمَعْصِيَتِهِمْ اللَّهَ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَكَذَلِكَ الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ خَسِرَ بِحِرْمَانِ اللَّهِ إِيَّاهُ رَحْمَتَهُ الَّتِي خَلَقَهَا لِعِبَادِهِ فِي الْقِيَامَةِ أَحْوَجَ مَا كَانُوا إِلَى رَحْمَتِهِ. (١)

◀ قوله: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسَيِّطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحْمَهُ»

قَالَ النَّوَوِيُّ:

"يُنْسَأَ" مَهْمُوزٌ أَيُّ يُوْخِرُ وَالْأَثَرُ "الْأَجَلَ" لِأَنَّهُ تَابِعٌ لِلْحَيَاةِ فِي أَثَرِهَا وَبَسَطَ الرِّزْقَ تَوَسَّعَهُ وَكَثَّرَتْهُ وَقِيلَ الْبَرَكَهَ فِيهِ. وَأَمَّا التَّأخِيرُ فِي الْأَجَلِ فَفِيهِ سُؤَالٌ مَشْهُورٌ: وَهُوَ أَنَّ الْأَجَالَ وَالْأَرْزَاقَ مُقَدَّرَةٌ لَا تَزِيدُ وَلَا تَنْقُصُ (فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ)؟ وَأَجَابَ الْعُلَمَاءُ بِأَجَوِبَةِ الصَّحِيحِ مِنْهَا:

الأول: أَنَّ هَذِهِ الزِّيَادَةَ بِالْبَرَكَهَ فِي عُمْرِهِ وَالتَّوْفِيقَ لِلطَّاعَاتِ وَعِمَارَةَ أَوْقَاتِهِ بِمَا يَنْفَعُهُ فِي الْآخِرَةِ وَصِيَانَتِهَا عَنِ الضَّيَاعِ فِي غَيْرِ ذَلِكَ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا يَظْهَرُ لِلْمَلَائِكَةِ فِي اللَّوْحِ الْمُحْفُوظِ وَنَحْوِ ذَلِكَ فَيَظْهَرُ لَهُمْ فِي اللَّوْحِ أَنَّ عُمْرَهُ سِتُّونَ سَنَةً إِلَّا أَنْ يَصِلَ رَحْمَهُ فَإِنْ وَصَلَهَا زِيدَ لَهُ أَرْبَعُونَ وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا سَيَقَعُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ مِنْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ) فِيهِ النِّسْبَةُ إِلَى عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَا سَبَقَ بِهِ قَدْرُهُ وَلَا زِيَادَةُ بَلْ هِيَ مُسْتَحِيلَةٌ وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا ظَهَرَ لِلْمَخْلُوقِينَ تُتَصَوَّرُ الزِّيَادَةُ وَهُوَ مُرَادُ الْحَدِيثِ.

وَالثَّالِثُ: أَنَّ الْمُرَادَ بَقَاءَ ذِكْرِهِ الْجَمِيلِ بَعْدَهُ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَمُتْ.

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٧/ ٣١٨)

◀ قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

قال النووي: وَلَا خِلَافَ أَنَّ صَلَاةَ الرَّحِمِ وَاجِبَةٌ فِي الْجُمْلَةِ وَقَطِيعَتُهَا مَعْصِيَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْكِبَائِرِ، وَالصَّلَاةُ دَرَجَاتٌ بَعْضُهَا أَرْفَعُ مِنْ بَعْضٍ وَأَدْنَاهَا تَرَكُ الْمُهَاجِرَةَ وَصَلَّتْهَا بِالْكَلامِ وَلَوْ بِالسَّلَامِ وَيَخْتَلِفُ ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ الْقُدْرَةِ وَالْحَاجَةِ فَمِنْهَا وَاجِبٌ وَمِنْهَا مُسْتَحَبٌّ لَوْ وُصِلَ بَعْضُ الصَّلَاةِ وَلَمْ يَصِلْ غَايَتُهَا لَا يُسَمَّى قَاطِعًا. (١)

السابع والخمسون من شعب الإيمان

حسن الخلق

ويدخل فيه كظم الغيظ ولين الجانب والتواضع

لقوله تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} (القلم: ٤)

وقوله تعالى: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (آل عمران: ١٣٤)

وَلِحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ، قَالَ: "لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا»" وَفِي رِوَايَةٍ "أَنْ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا"

وَلِحَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: «مَا خَيْرَ رَسُولٍ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ بِهَا»

وَبِهِ أَنْبَأَنَا أَبُو بَكْرِ الْبَيْهَقِيُّ قَالَ: وَمَعْنَى حَسَنِ الْخُلُقِ سَلَامَةُ النَّفْسِ نَحْوَ الْأَرْفَقِ الْأَحْمَدِ مِنَ الْأَفْعَالِ وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَدْ يَكُونُ فِيمَا بَيْنَ النَّاسِ وَهُوَ فِي ذَاتِ اللَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ، أَنْ يَكُونَ

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٣٠٨٤) - شرح النووي على مسلم (١٦/ ١١٣)

العبد منشراح الصدر بأوامر الله ونواهيه، بفعل ما فرض عليه طيب النفس به سلسا نحوه ويتتهي عما حرم عليه راضيا به غير متضجر منه، ويرغب في نوافل الخير ويترك كثيرا من المباح لوجهه تعالى وتقدس، إذا رأى إن تركه أقرب إلى العبودية من فعله مستبشرا لذلك غير ضجر منه ولا متعسر به، وهو في المعاملات بين الناس أن يكون سمحا لحقوقه لا يطالب غيره بها ويوفي ما يجب لغيره عليه منها فإن مرض ولم يعد، أو قدم من سفر فلم يزر، أو سلم فلم يرد، عليه أو ضاف فلم يكرم أو شفع فلم يجب أو أحسن فلم يشكر أو دخل على قوم فلم يمكن أو تكلم فلم ينصت له أو استأذن على صديق فلم يؤذن له أو خطب فلم يزوج أو استمهل الدين فلم يمهل أو استنقص منه فلم ينقص وما أشبه ذلك ولم يغضب ولم يعاقب ولم يتنكر من حاله حال ولم يستشعر في نفسه أنه قد جفني وأوحش وأنه لا يقابل كل ذلك إذا وجد السبيل إليه بمثله بل يضم أنه لا يعتد بشيء من ذلك ويقابل كلا منه بما هو أحسن وأفضل وأقرب إلى البر والتقوى وأشبه بما يحمد ويرضى ثم يكون في إيفاء ما يكون عليه كهو في حفظ ما يكون له فإذا مرض أخوه المسلم عاده وأن جاء في شفاعته شفعه وأن استمهله في قضاء دين أمهله وإن احتاج منه إلى معونته أعانه وإن استسمحه في بيع سمح له ولا ينظر إلى أن الذي يعامله كيف كانت معاملته إياه فيها خلا وكيف يعامل الناس إنما يتخذ الاحسن إماما لنفسه فينحو نحوه ولا يخالفه.

والخلق الحسن قد يكون غريزة، وقد يكون مكتسبا.

وإنما يصح اكتسابه ممن كان في غريزته أمثل منه فهو يضم باكتسابه إليه ما يتممه ومعلوم في العادات أن ذا الرأي يزدد بمجالسة أولى الأحلام والنهي رأيا وإن العالم يزدد بمخالطة العلماء علما، وكذلك الصالح والعادل بمجالسة الصالحاء والعقلاء، فلا ينكر أن يكون ذو الخلق الجميل يزدد حسن الخلق بمجالسة أولى الأخلاق الحسنة وبالله التوفيق.

قال ابن القيم: حسن الخلق: هو الدين كله وهو حقائق الإيمان وشرائع الإسلام وقد فسر حسن

الخلق بأنه البر فدل على أن حسن الخلق: طمأنينة النفس والقلب

﴿قوله﴾ ((ويدخل فيه كظم الغيظ ولين الجانب والتواضع))

قال المناوي: الكظم: الإمساك على ما في النفس من صفح أو غيظ.

قال الكفوي: الغيظ تغير يلحق المغتاظ، وذلك لا يصح إلا على الأجسام كالضحك والبكاء ونحوهما.

الفرق بين الغيظ والغضب:

وقال الكفوي: الغضب إرادة الإضرار بالمغضوب عليه، والغيظ تغير يلحق المغتاظ، ولهذا لا يوصف الله تعالى بالغيظ.

وقال القرطبي: الغيظ أصل الغضب وكثيرا ما يتلازمان، لكن فرقان ما بينهما، أن الغيظ لا يظهر على الجوارح بخلاف الغضب فإنه يظهر في الجوارح، مع فعل ما ولا بد، ولهذا جاء إسناد الغضب إلى الله تعالى.

﴿قوله﴾ ((ولين الجانب والتواضع))

قال ابن القيم: سئل الفضيل بن عياض عن التواضع فقال: يخضع للحق وينقاد له ويقبله ممن قاله «١».

﴿قوله تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} (القلم: ٤)﴾

قال ابن كثير:

عن قتادة: سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت: كان خلقه القرآن، تقول كما هو في القرآن.

ومعنى هذا أنه عليه السلام، صار امتثال القرآن، أمراً ونهياً، سجية له، وخلقاً تطبَّعه، وترك طبعه الجبلي، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه. هذا مع ما جبَّله الله عليه من الخلق العظيم، من الحياء والكرم والشجاعة، والصفح والحلم، وكل خلق جميل. كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال: خدمتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي: "أف" قط، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته؟ وكان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً ولا مسستُ خزاً ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا شَمَمْتُ مسكاً ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم. أهـ

﴿ قوله تعالى: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (آل عمران: ١٣٤) ﴾

قال الإمام الشنقطي: وقد دلت هذه الآية على أن كظم الغيظ والعفو عن الناس، من صفات أهل الجنة، ودلت أيضاً: على أن ذلك من الإحسان الذي يحب الله المتصفين به، وقد بين تعالى في هذه الآية أن العفو مع القدرة من صفاته تعالى، وكفى بذلك حثاً عليه، وكقوله تعالى: {فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ} (١). أهـ

﴿ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: " لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا»

قال النووي: أصل الفحش الزيادة والخروج عن الحد. قال الطبري: الفاحش البذيء. وقد يكون المتفحش الذي يأتي الفاحشة.

﴿ وقوله صلى الله عليه وسلم (إن من خياركم أحاسنكم أخلاقاً)

فيه الحث على حسن الخلق وبيان فضيلة صاحبه وهو صفة أنبياء الله تعالى وأوليائه قال الحسن البصري : حقيقة حسن الخلق بذل المعروف ،وكف الأذى، وطلاقة الوجه.

قال القاضي عياض: هو مخالطة الناس بالجميل والبشر والتودد لهم والإشفاق عليهم واحتياهم والحلم عنهم، والصبر عليهم في المكاره وترك الكبر والاستطالة عليهم ومجانبة الغلظ والغضب

قال: حسن الخلق هل هو غريزة أم مكتسب؟

قال القاضي: والصحيح أن منه ماهو غريزة ومنه ما يكتسب بالتخلق والإقتداء بغيره والله أعلم (١)أهـ.

«ولحديث عائشة رضي الله عنها في الصحيحين أيضا أنها قالت: ((ما خير رسول الله بين أمرين إلا أخذ أيسرهما...))

فمعنى هذا الحديث: ما خير رسول الله ﷺ أصحابه بين أن يختار لهم أمرين من أمور الدنيا على سبيل المشورة والإرشاد إلا اختار لهم أيسر الأمرين ما لم يكن عليهم في الأيسر إثم؛ لأن العباد غير معصومين من ارتكاب الإثم، ويحتمل أن يكون ما لم يكن إثمًا في أمور الدين، وذلك أن الغلو في الدين مذموم والتشديد فيه غير محمود لقوله ﷺ: (إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين). فإذا أوجب الإنسان على نفسه شيئًا شاقًا عليه من العبادة فادحًا له ثم لم يقدر على التهادى فيه كان ذلك إثمًا. (٢)أهـ.

«قوله: «مَا خَيْرَ رَسُولٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ مِنْهَا»

قال النووي:

معناه إذا انتهكت حرمة الله انتصر الله تعالى وانتقم ممن ارتكب ذلك،

(١) شرح مسلم - (١٥ / ٧٨)

(٢) شرح صحيح البخارى (٨ / ٤٠٥)

وفي هذا الحديث الحث على العفو والحلم واحتمال الأذى والانتصار لدين الله تعالى ممن فعل محرماً أو نحوه وفيه أنه يستحب للأئمة والقضاة وسائر ولاة الأمور التخلق بهذا الخلق الكريم فلا ينتقم لنفسه ولا يهمل حق الله تعالى.

قال القاضي عياض :

وقد أجمع العلماء على أن القاضي لا يقضي لنفسه ولا لمن لا يجوز شهادته له. (١) أهـ

تمتمة: فضائل حسن الخلق .

* (عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم خلقاً») صححه الألباني.

* (عن أبي أمامة الباهليّ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «أنا زعيم بيت في ربض الجنّة لمن ترك المراء وإن كان محقّا، وبيت في وسط الجنّة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وبيت في أعلى الجنّة لمن حسن خلقه» صححه الألباني).

* (عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق وإن صاحب حسن الخلق ليبغ به درجة صاحب الصوم والصلاة) صححه الألباني.



الثامن والخمسون من شعب الإيمان

الإحسان إلى الممالك

لَقَوْلِهِ تَعَالَى : ((وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ)) (النساء ٣٦)

حديث أبي ذرٍّ عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحِينَ ' قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ وَعَلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَيْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوْلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ))

◀ قوله تعالى : ((وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِ.....))

قال ابن كثير :

وصية بالأرقاء؛ لأن الرقيق ضعيف الحيلة أسير في أيدي الناس، ولهذا ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يُوصي أُمَّتَهُ في مرض الموت يقول: "الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم". فجعل يرُدُّها حتى ما يفيض بها لسانه .

◀ حديث أبي ذرٍّ عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحِينَ ' قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ وَعَلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَيْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوْلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ))

قوله : "المعروور بن سويد لقي أبا ذر بالربذة" - موضع بالبادية بينه وبين المدينة ثلاث مراحل - "وعليه حلة وعلى خادمه مثلها". فسأله. كيف يلبس خادمه مثل ما يلبس. وذلك غير معهود. فأجابه ببيان السبب. وأنه حصل بينه وبين شخص سباب ومشاتمة. وأنه عايره بأمه وعابه بها وقال له. يا ابن الأعجمية أو يا ابن السوداء. أو ما شاكل ذلك من الكلمات. فشكاها إلى النبي صلى الله

عليه وسلم فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم أعيرته بأمه؟ منكرًا عليه ذلك ، ثم أوصاه هذه الوصية القيمة التي رفعت من شأن الخدم إلى درجة المخدمين والسادة.

للهم قال الإمام النووي: الضمير في هم أخوانكم يعود إلى الممالك والأمر بإطعامهم مما يأكل السيد وإلباسهم مما يلبس محمول على الاستحباب لا على الإيجاب وهذا باجماع المسلمين. وأما فعل أبي ذر في كسوة غلامه مثل كسوته فعمل بالمستحب وإنما يجب على السيد نفقة المملوك ، وكسوته بالمعروف ، بحسب البلدان والأشخاص سواء كان من جنس نفقة السيد ولباسه ، أو دونه ، أو فوقه ، حتى لو قتر السيد على نفسه تقتيرا خارجا عن عادة أمثاله إما زهدا وإما شحا لا يحل له التقتير على المملوك وإلزامه وموافقته إلا برضاه .

وأجمع العلماء: على أنه لا يجوز أن يكلفه من العمل مالا يطيقه فإن كان ذلك لزمه إعانته بنفسه أو بغيره قوله (فإن كلفة ما يغلبه فليبعه) وفي رواية "فليعنه عليه" وهذه الثانية هي الصواب الموافقة لباقي الروايات. وقد قيل: أن هذا الرجل المسبوب هو "بلال المؤذن". (١)

ومن الأدلة على الإحسان للمالك مايلي :

للهم عن زاذان أبي عمر، قال: أَتَيْتُ ابْنَ عُمَرَ وَقَدْ أَعْتَقَ مَمْلُوكًا، قَالَ: فَأَخَذَ مِنَ الْأَرْضِ عُودًا أَوْ شَيْئًا، فَقَالَ: مَا فِيهِ مِنَ الْأَجْرِ مَا يَسْوَى هَذَا، إِلَّا أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ لَطَمَ مَمْلُوكَهُ، أَوْ ضَرَبَهُ، فَكَفَّارَتُهُ أَنْ يُعْتِقَهُ» رواه مسلم.

للهم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لِلْمَمْلُوكِ طَعَامُهُ وَكِسْوَتُهُ، وَلَا يُكَلَّفُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا يُطِيقُ» رواه مسلم .

وفي حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه، فإن لم يجلسه معه فليناول له لقمة أو لقمتين، أو أكلة أو أكلتين فإنه ولي علاجه» رواه البخاري.

التاسع والخمسون من شعب الإيمان

حق السادة على المالك

وهو لزوم العبد سيده وإقامته حيث يراه له، ويأمره به وطاعته له فيما يطيقه

وَفِي "الصَّحِيحَيْنِ" مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا نَصَحَ لِسَيِّدِهِ وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ)

وَفِي "صَحِيحِ مُسْلِمٍ" مِنْ حَدِيثِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَيُّمَا عَبْدٍ أَبْقَى فَقَدْ بَرَّتَ مِنْهُ الدِّمَّةُ)

وَفِي سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِهِ أَيْضًا: (الْعَبْدُ الْآبِقُ لَا تَقْبَلُ لَهُ صَلَاةٌ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى مَوْلَاهُ)

◀ وَفِي "الصَّحِيحَيْنِ" مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَنَّ (الْعَبْدَ إِذَا نَصَحَ لِسَيِّدِهِ وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ)

قال الطيبي: نصيحة العبد للسيد امتثال أمره والقيام على ما عليه من حقوق سيده (فله أجره مرتين) أي مضاعف فإن الأجر على قدر المشقة وهو قد جمع بين القيام بالطاعتين وفي الحقيقة طاعة مالكه من طاعة ربه (١)

قال الشيخ العثيمين: أن المملوك إذا قام بحق الله وحق سيده كان له الأجر مرتين الأجر الأول لقيامه بحق الله والثاني: لقيامه بحق سيده لأن الله عليه حقا كالصلوات والصيام وغيرهما من العبادات التي ليست مبنية على أمر مالي وللسيد عليه حق وهو القيام بخدمته وما إلى ذلك فإذا قام بالحقين صار له أجران .

❖ قال النووي: أبق العبد وأبق بفتح الباء وكسرها لغتان مشهورتان الفتح أفصح وبه جاء القرآن (إذ أبق إلى الفلك المشحون).

(أيما عبد أبق فقد برئت منه الذمة) فقد برئت منه الذمة أي لا ذمة له قال بن الصلاح ويجوز أن تفسر الذمة هنا الزمام وهو الحرمة ويجوز أن يكون من قبيل ما جاء في قوله ذمة الله وذمة رسوله أي ضمانه وأمانه ورعايته وذلك أن الآبق كان مصونا من عقوبة السيد له وحبسه فزال ذلك بإباقه. (١)

❧ وفي سنن أبي داود من حديثه أيضا : «العبد الآبق لا تقبل له صلاة حتى يرجع إلى مواليه» . قال المناوي: (الآبق) أي الهارب من سيده (حتى يرجع) من إباقه إلا أن يكون إباقه لإضرار السيد به

(لم تقبل له صلاة) : بمعنى أنه لا يثاب عليها لكنها تصح، ولا تلازم بين القبول والصحة. ونبه بالصلاة على غيرها من الطاعات. (٢)

❧ قال العثيمين رحمه الله : تحريم آباق العبد العبد يعني المملوك وآباقه هربه من سيده وذلك أن العبد مملوك للسيد في ذاته ومنافعه فإذا هرب فقد فوت على سيده ذلك وقد ورد الوعيد في هذا بأنه يكون كافرا وأن الذمة بريئة منه وأنه لا تقبل صلاته فهذه ثلاث عقوبات والعياذ بالله . الأولى : أنه برئت منه الذمة كما في حديث جرير رضي الله عنه .

الثانية : أنه كافر ولكنه ليس كفرا مخرجا عن الملة .

الثالثة : أنه لا تقبل صلاته فالعبد إذا أبق وهرب من سيده ثم صلى فلا صلاة له .

❧ واختلف العلماء رحمهم الله هل صلاته غير مقبولة لا الفريضة ولا النافلة أو أنها النافلة فقط ؟ فمن العلماء من قال صلاة الفريضة مقبولة لأن زمنها مستثنى شرعا ولأنه سوف يصلي سواء كان عند سيده أو أبقا منه، ومنهم من قال إن الحديث عام ولا يمتنع أن يعاقب بذلك ، ويكون المراد بنفي القبول بالنسبة للنوافل نفي الصحة وبالنسبة للفرائض نفي الإثابة وهذا جمع حسن. (١)

(١) شرح رياض الصالحين - (١ / ١٥٦٦) - شرح النووي على مسلم - (٢ / ٥٩)

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير - للمناوي - (١ / ١١٢)

السُّنُونُ من شعب الإيمان

حُفُوقُ الأولاد والأهلين

وَهِيَ قِيَامُ الرَّجُلِ عَلَى وَلَدِهِ وَأَهْلِهِ وَتَعْلِيمُهُ إِيَّاهُمْ مِنْ أُمُورِ دِينِهِمْ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ
 لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ((قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ)) التَّحْرِيمُ
 قَالَ الْحَسَنُ: أَيُّ مُرُوهُمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَعِلْمُوهُمْ الْخَيْرَ، وَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِلْمُوهُمْ: أَدَبُوهُمْ.
 وَلِحَدِيثِ أَنَسٍ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: (مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ هَكَذَا
 وَضَمَّ أَصْبَعِيهِ)

◀ قوله: { قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا }

قال بن كثير: يقول: أَدَبُوهُمْ، عِلْمُوهُمْ. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: { قُوا أَنْفُسَكُمْ
 وَأَهْلِيكُمْ نَارًا } يقول: اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصي الله، ومروا أهليكم بالذكر، ينجيكم الله
 من النار.

وقال مجاهد: { قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا } قال: اتقوا الله، وأوصوا أهليكم بتقوى الله..
 وقال قتادة: يأمرهم بطاعة الله، وينهاهم عن معصية الله، وأن يقوم عليهم بأمر الله، ويأمرهم به
 ويساعدهم عليه، وهكذا قال الضحاك ومقاتل: حق على المسلم أن يعلم أهله، من قرابته وإمائه
 وعبيده، ما فرض الله عليهم، وما نهاهم الله عنه.

وفي معنى هذه الآية الحديث الذي رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، من حديث عبد
 الملك بن الربيع بن سبرة، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مروا
 الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين، فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها".

قال الفقهاء: وهكذا في الصوم؛ ليكون ذلك تمريناً له على العبادة، لكي يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة ومجانبة المعصية وترك المنكر، والله الموفق.

وقوله: { وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ } { وَقُودُهَا } أي: حطبها الذي يلقي فيها جُثث بني آدم. { وَالْحِجَارَةُ } قيل: المراد بذلك الأصنام التي كانت تعبد لقوله: { إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ } [الأنبياء: ٩٨].

وقال ابن مسعود ومجاهد وأبو جعفر الباقر، والسدي: هي حجارة من كبريت -زاد مجاهد: أنتن من الجيفة. (١)

◀ قوله: (من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو هكذا وضم أصبعيه)

قال الشيخ العثيمين:

هذا الحديث فيه فضل عول الإنسان للبنات، وذلك أن البنت قاصرة ضعيفة مهينة، والغالب أن أهلها لا يأبهون بها ولا يهتمون بها، فلذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم "من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين وضم أصبعيه السبابة والوسطى والمعنى أنه يكون رفيقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة إذا عال الجاريتين يعني الأنثيين من بنات أو أخوات أو غيرهما أي إنه يكون مع النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة والعول في الغالب يكون بالقيام بمئونة البدن من الكسوة والطعام والشراب والسكن والفراش ونحو ذلك وكذلك يكون في غذاء الروح بالتعليم والتهذيب والتوجيه والأمر بالخير والنهي عن الشر وما إلى ذلك، ويؤخذ من هذا الحديث أنه ينبغي للإنسان أن يهتم بالأمور التي تقربه إلى الله لا بالأمور الشكليات أو مراعاة ما ينفع في الدنيا فقط بل يلاحظ هذا ويلاحظ ما ينفع في الآخرة أكثر وأكثر"، وقوله حتى تبلغا "يعني حتى تصلا سن البلوغ وهو خمس عشرة سنة أو غير ذلك من علامات البلوغ في المرأة.

وعلامات البلوغ في المرأة أربع هي:

الأولى: تمام خمس عشرة سنة، الثانية: نبات العانة، الثالثة: الاحتلام، الرابعة: الحيض فإذا حاضت ولو كان لها أقل من خمس عشرة سنة فهي بالغ. (١)

الحادي والستون من شعب الإيمان

مقاربة أهل الدين ومودتهم وإفشاء السلام بينهم والمصافحة لهم

ونحو ذلك من أسباب تأكيد المودة

لَقَوْلِهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (٢٧)

وَلِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، "فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ" قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَذِلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»

وَحَدِيثِ قَتَادَةَ "فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ" قَالَ: قُلْتُ لِأَنْسٍ: أَكَانَتْ الْمَصَافَحَةُ فِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: «نَعَمْ»

وَحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، "فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ" قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، الْيَوْمَ أَظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي»

◀ قوله: وإفشاء السلام

الإفشاء لغة: مصدر قولهم: أفشى بمعنى أذاع ونشر.

السلام لغة: قال محمد بن يزيد (المبرد) السلام في لغة العرب أربعة أشياء، فمنها:

١/ سلّمت سلاماً (اسم مصدر)، ومنها السلام جمع سلامة.

٢/ ومنها السلام اسم من أسماء الله تعالى.

٣/ ومنها السلام شجر.

٤/ ومعنى السلام الذي هو اسم مصدر من سلّمت أنّه دعاء للإنسان بأن يسلم من الآفات في دينه.

قال ابن الجوزي: ذكر بعض المفسرين أنّ السلام في القرآن الكريم على أوجه:

أحدها: اسم من أسماء الله عزّ وجلّ. ومنه قوله تعالى في الحشر: "الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ"

والثاني: التّحيّة المعروفة، ومنه قوله تعالى في النّور: "فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ".

والثالث: السّلامة من كلّ شرّ، ومنه قوله تعالى في الواقعة: "فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ".

والرابع: الخير، ومنه قوله تعالى في سورة القدر: "سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ"

والخامس: الثّناء الجميل، ومنه قوله تعالى في الصّافات: "سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ"

والسادس: الجنّة: ومنه قوله تعالى: "هَٰمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ".

◀ قوله: والمصافحة: المصافحة هي الإفضاء بصفحة اليد إلى صفحة اليد. (١)

◀ قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى

أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}

قال الشنقيطي:

واختلفوا في أنه هل يستحب تقديم السلام ثم الاستئذان ، أو تقدم الاستئذان ثم

السلام ، والصحيح الذي جاءت به السنة وقاله المحققون: إنه يقدم السلام، فيقول: السلام

(١) عون المعبود - (١٤ / ٨٠) - كذا في اللسان والأساس والتعذيب انتهى

عليكم أَدْخَلَ؟ والثاني: يقدم الاستئذان، والثالث: وهو اختيار الماوردي من أصحابنا إن وقعت عين المستأذن على صاحب المنزل قبل دخوله قدم السلام، وإلا قدم الاستئذان، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثان في تقديم السلام. انتهى

ولا يخفى أن ما صح فيه حديثان عن النبي صلى الله عليه وسلم مقدم على غيره، فلا ينبغي العدول عن تقديم السلام على الاستئذان، وتقديم الاستئناس الذي هو الاستئذان على السلام في قوله: {حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا} [النور: ٢٧] لا يدل على تقديم الاستئذان، لأن العطف بالواو لا يقتضي الترتيب، وإنما يقتضي مطلق التشريك، فيجوز عطف الأول على الأخير بالواو كقوله تعالى: {يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ} [آل عمران: ٤٣] والركوع قبل السجود،

وصيغة الاستئذان التي لا ينبغي العدول عنها أن يقول المستأذن: السلام عليكم أَدْخَلَ؟ فإن لم يؤذن له بعد الثالثة انصرف، كما دلت عليه الأدلة. (١)

قال ابن كثير :

ثم ليُعلم أنه ينبغي للمستأذن على أهل المنزل ألا يقف تلقاء الباب بوجهه، ولكن ليكن الباب، عن يمينه أو يساره؛ لما رواه أبو داود: عن عبد الله بن بسر قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر، ويقول: السلام عليكم، السلام عليكم، وذلك أن الدور لم يكن عليها يومئذ ستور".

(صححه الشيخ الألباني) في صحيح أبو داود، والمشكاة (٤٦٧٣) (٢)

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - (٢٧ / ٢٥٤)

(٢) تفسير ابن كثير - (٦ / ٣٧)

«وَلَحْدِثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ.....)» .

قال النووي: وأما معنى الحديث فقوله صلى الله عليه وسلم: "ولا تؤمنوا حتى تحابوا" معناه: لا يكمل إيمانكم ولا يصلح حالكم في الإيمان إلا بالتحاب. وأما قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا فهو على ظاهره وإطلاقه فلا يدخل الجنة إلا من مات مؤمناً وإن لم يكن كامل الإيمان فهذا هو الظاهر من الحديث. وأما قوله: "أفشوا السلام" بينكم فهو بقط الهمة المفتوحة وفيه الحث العظيم على إفشاء السلام وبذله للمسلمين كلهم من عرفت ومن لم تعرف، والسلام أول أسباب التألف، ومفتاح استجلاب المودة، وفي إفشائه تمكن ألفة المسلمين بعضهم لبعض، وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل، مع ما فيه من رياضة النفس، ولزوم التواضع، وإعظام حرمان المسلمين.

❖ وفيها لطيفة أخرى: وهي أنها تتضمن رفع التقاطع والتهاجر والشحناء وفساد ذات البين التي هي الخالقة، وأن سلامه لله لا يتبع فيه هواه ولا يخص أصحابه وأحبابه به والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب. (١)

«وَحَدِيثُ قَتَادَةَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ قُلْتُ لِأَنْسٍ: أَكَانَتْ الْمَصَافَحَةُ فِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: «نَعَمْ»

❖ قال ابن بطال :

المصافحة حسنة عند عامة العلماء ، وقد استحبتها مالك ، وهي مما تنبت الود وتؤد المحبة ، ألا ترى قول كعب بن مالك في حديثه الطويل حين قام إليه طلحة وصافحه : (فوالله لا أنساها لطلحة أبداً) فأخبر بعظيم موقع قيام طلحة إليه من نفسه ومصافحته له وسروره بذلك ، وكان

(١) شرح النووي على مسلم - (٢ / ٣٦)

عنده أفضل الصلة والمشاركة له ، وقد قال أنس : إن المصافحة كانت في أصحاب رسول الله ، وهم الحجة والقُدوة الذين يلزم اتباعهم ، وقد ورد في المصافحة آثار حسان . (١)

وقال النووي :

المصافحة سنة مجمع عليها عند التلاقي ، وقد أخرج أحمد وأبو داود والترمذي عن البراء رفعه : " ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا " ويستثنى من عموم الأمر بالمصافحة المرأة الأجنبية والأمرد الحسن . فضائل المحبة في الله :

١- يظلمهم الله تحت ظل عرشه الدليل :

قوله : « أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي ، الْيَوْمَ أَظْلُهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي »

قوله : " الْمُتَحَابُّونَ لِحَلَالِي " أي الْمُتَحَابُّونَ فِيَّ وَمِنْ أَجْلِي إِجْلَالًا وَمَحَبَّةً وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي .

وَالْمَعْنَى فِي ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الْعَمَلُ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - خَالِصًا لَا يَكُونُ لِسَيِّءٍ مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا إِنَّهُ يُحِبُّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُؤْمِنٌ بِهِ مُخْلِصٌ لَهُ وَيُحِبُّهُ لِدَعَائِهِ إِلَى الْخَيْرِ وَلِفِعْلِهِ الْخَيْرَ وَتَعْلِيمِهِ الدِّينَ ، وَالَّذِينَ جَمَاعَ الْخَيْرِ كُلَّهُ فَإِذَا أَحَبَّهُ لِذَلِكَ فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ (٢)

٢- محبة الله لهما والدليل :

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَجَبَتْ حُبِّي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ " . رَوَاهُ مَالِكٌ . وصححه الألباني .

٣- أعد الله لهم منابر من نور والدليل :

(١) شرح صحيح البخارى - لابن بطال - (٩ / ٤٤)

(٢) فتح الباري - ابن حجر - (١١ / ٥٥) - الاستذكار (٨ / ٤٤٥)

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعاً : " قال الله تعالى: حقت محبتي للمتحابين في وحقت محبتي للمتواصلين في وحقت محبتي للمتناصحين في وحقت محبتي للمتزاوئين في وحقت محبتي للمتباذلين في المتحابون في على منابر من نور يغبطهم بمكانهم النبون والصديقون والشهداء ".
 وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ قَالَ: " يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرٌ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ " (صححه العلامة الألباني) صحيح الترغيب ٤ / ٤٧.

الثاني والسُّتُونَ من شعب الإيمان

رد السَّلام

لَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوْهَا} النساء ٦٨
 وَلِحَدِيث عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، " فِي الصَّحِيحِينَ " عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ»، فَقَالُوا: مَا لَنَا بِدُّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجَالِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا»، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: «غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ»

مسألة: حكم رد السلام :

قال النووي :

وأما رد السلام فهو "فرض بالإجماع" فإن كان السلام على واحد كان الرد، فرض عين، عليه وإن كان على جماعة كان فرض كفاية، في حقهم إذا رد أحدهم سقط الحرج عن الباقيين.

◀ لقوله تعالى: {وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوْهَا}

قال ابن كثير: أي إذا سلم عليكم المسلم، فردوا عليه أفضل مما سلم، أو ردوا عليه بمثل ما سلم [به] فالزيادة مندوبة، والمماثلة مفروضة.

﴿ويؤخذ من الآية الكريمة الحث على ابتداء السلام والتحية من وجهين:

أحدهما: أن الله أمر بردها بأحسن منها أو مثلها، وذلك يستلزم أن التحية مطلوبة شرعاً.

الثاني: ما يستفاد من أفعال التفضيل وهو "أحسن" الدال على مشاركة التحية وردّها بالحسن، كما هو الأصل في ذلك.

مسألة: من يسقط عنه رد السلام؟

﴿يستثنى من عموم الآية الكريمة: من حيّاً بحال غير مأمور بها، كـ"على مشغل بقراءة، أو استماع خطبة، أو مصلٍ ونحو ذلك" فإنه لا يطلب إجابة تحيته، وكذلك يستثنى من ذلك: من أمر الشارع بهجره وعدم تحيته، وهو العاصي غير التائب الذي يرتدع بالهجر، فإنه يهجر ولا يُحيّا، ولا تُرد تحيته، وذلك لمعارضة المصلحة الكبرى.

ويدخل في رد التحية كل تحية اعتادها الناس وهي غير محظورة شرعاً، فإنه مأمور بردها وبأحسن منها، ثم أوعد تعالى وتوعد على فعل الحسنات والسيئات

بقوله: { إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا } فيحفظ على العباد أعمالهم، حسناتها وسيئها، صغيرها وكبيرها، ثم يجازيهم بما اقتضاه فضله وعدله وحكمه المحمود. "١"

﴿فائدة:

سئل الشيخ الفوزان: إذا سلّم المذيع في الرائي أو الإذاعة أو سلّم الكاتب في المجلة؛ فهل يجب رد السلام والحالة هذه؟

الجواب: يجب رد السلام؛ إذا سمعه الإنسان مباشرة، أو بواسطة كتاب موجه إليه، أو بواسطة وسائل الإعلام الموجهة إلى المستمعين؛ لعموم الأدلة في وجوب رد السلام. قال تعالى: { وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا }

◀ قوله : «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطَّرَقَاتِ»، فَقَالُوا: مَا لَنَا بُدٌّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: «غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ»

✍ قال النووي :هذا الحديث كثير الفوائد وهو من الأحاديث الجامعة وأحكامه ظاهرة وينبغي أن يجتنب الجلوس في الطرقات لهذا الحديث ،ويدخل في كف الأذى اجتناب الغيبة وظن السوء وإحراق بعض المارين وتضييق الطريق وكذا إذا كان القاعدون ممن يهابهم المارون أو يخافون منهم ويمتنعون من المرور في أشغالهم بسبب ذلك لكونهم لا يجدون طريقا إلا ذلك الموضع "١"

✍ مسائل مهمة :

سؤال: رد السلام، هل لا بد أن يكون جهرا أم يجوز بمجرد تحريك اللسان وكذلك في العطس، وجزاكم الله خيرا؟

الجواب: ما يكفي بتحريك اللسان والشفتين، لقول الله تعالى : (وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا) [النساء: ٨٦]، ولقول النبي ﷺ يقول: « أفشوا السلام بينكم». فهذا يدل على الجهر به وعلى إفشائه. فمجرد تحريك الشفتين لا يكفي ذلك، ولا يتحصل الإنسان على الأجر المترتب في إفشاء السلام بمجرد تحريك الشفتين، ولا يتحقق منه ما يترتب عليه من تبادل الخطاب، والخطاب.

✍ مسألة :حكم قول (الله يسلمك ويسلمه) لمبلغ السلام.

السؤال: سئل الشيخ عبد المحسن العباد في بلادنا عادة وهي: إذا قيل: إن فلاناً يسلم عليك. يرد المسلم عليه بقوله: الله يسلمك ويسلمه؟

الجواب: هذا ليس مطابقاً للسنة، وإنما يقول: عليك وعليه السلام، وإن كان: الله يسلمك ويسلمه دعاء له بالسلامة، ولكن (عليك وعليه السلام) هي السنة، والإنسان يأتي بالوارد أفضل. (١)

❁ مسألة: متى يسقط رد السلام؟

قال النووي: يستثنى من عموم ابتداء السلام من كان يأكل أو يشرب، أو يجامع، أو كان في الخلاء أو في الحمام، أو نائماً أو ناعساً، أو مصلياً، أو مؤذناً ما دام متلبساً بشيء مما ذكر. وأما السلام حال الخطبة في الجمعة فيكره للأمر بالإنصات فلو سلم لم يجب الرد عليه. ويندب السلام على من دخل بيتاً ليس فيه أحد لقوله تعالى: {إِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ} الآية. (٢)

الثالث والسُّتُونَ من شعب الإيمان

عِيَادَةُ الْمَرِيضِ

لحديث البراء بن عازب رضي الله عنهما: "أَمَرَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعٍ وَمَنَا عَنْ سَبْعٍ: أَمَرَنَا بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الْجَنَازَةِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَإِبْرَارِ الْقَسَمِ، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ، وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَمَنَا عَنْ خَوَاتِيمِ الذَّهَبِ، وَعَنْ آيَةِ الْفِضَّةِ، وَعَنْ الْمَيَّاتِ، وَالْقَسِيَّةِ، وَالْإِسْتَبْرَقِ، وَالذِّبَاجِ"

وَحَدِيثِ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: (عَائِدُ الْمَرِيضِ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ) قُلْتُ وَلَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ بَرًّا أَوْ فَاجِرًا لَكِنْ يَنْبَسُطُ إِلَى الْبَرِّ وَيَنْقَبِضُ عَنِ الْفَاجِرِ

(١) راجع الفتاوى - شرح سنن أبي داود - (٢٩ / ٣٦٥)

(٢) سبل السلام - (٤ / ١٥٥)

◀ قوله : عيادة المريض :

يقال عدت المريض أعوده عيادة إذا زرتة وسألت عن حاله ، وأصل عيادة عوادة قلبت "الواو" ياء لكسر ما قبلها وأصل العود الرجوع.(١)

✱ مسألة : حكم عيادة المريض ؟

قال النووي : أما عيادة المريض فسنة بالإجماع وسواء فيه من يعرفه ومن لا يعرفه والقريب والأجنبي واختلف العلماء في الأوكد والأفضل منها .(٢)

✎ قال ابن دقيق العيد :

عيادة المريض عند الأكثرين مستحبة بالإطلاق وقد تجب حيث يضطر المريض إلى من يتعاهده وإن لم يعد ضاع وأوجبها الظاهرية من غير هذا القيد لظاهر الأمر .

✎ ما يستفاد من الحديث :

١ - استحباب عيادة المريض وتجب إذا كان يجب بره . كالوالدين ، أو كان يترتب على تركه مفسدة .

٢ - استحباب اتباع الجنائز للصلاة عليها ودفنها ، وهو فرض كفاية : يسقط مع قيام من يكفى ، وإلا أثم من علم بحاله وقدر عليه فتركه .

ومن تبعها حتى يصل على عليها فله قيراط من الأجر ، ومن شهد لها حتى تدفن فله قيراطان .

٣ - تسميت العاطس إذا حمد الله بقوله : (ورحمك الله) وهو واجب إلى نهاية ثلاث مرات ، وبعدهن يدعو له بالشفاء .

٤ - إبرار قسم المقسم ، وهو من المستحب ، لما فيه من جبر القلب وإجابة طلبه في غير إثم .

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري - (٣١ / ٢٤٩)

(٢) شرح النووي على مسلم - (١٤ / ٣١)

٥- وفيه وجوب نصر المظلوم بقدر استطاعته، لأنه من النهي عن المنكر. وفيه رد للشر، وإعانة المظلوم، وكف الظالم.

٦- إجابة الدعوة. فإن كانت وليمة العرس وجبت الإجابة إن لم يكن ثمَّ منكر لا يقدر على إزالته وإن كانت لغيره من الدعوات المباحة استجبت.

٧- إفشاء السلام بين المسلمين، لأنه دعاء بالسلامة، وعنوان على المحبة والإخاء.

٨- النهي عن تحتم الرجال بخواتم الذهب، فهو محرم.

٩- النهي عن الشرب بآنية الفضة، وأعظم منه الذهب، وألحق به سائر الاستعمالات، إلا للسلاح.

١٠- النهي عن لبس القسي والحرير، والإستبرق، والديباج للرجال.

ومثله جعل المياثر للجلوس، وكذلك جعلها ستورا للأبواب أو الحيطان ونحو ذلك فهو محرم، وكذا ما فيه صور الحيوانات. (١)

قال الشيخ العثيمين: "المياثر" بياء مثناة قبل الألف، وثاء مثلثة بعدها، وهي جمع ميثرة، هي شيء يتخذ من حرير ويحشى قطناً أو غيره، ويجعل في السرج وكور البعير يجلس عليه الراكب. "القسي" بفتح القاف وكسر السين المهملة المشددة: وهي ثياب تنسج من حرير وكتان مختلطين (٢).

قوله: وَحَدِيثُ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (عَائِدُ الْمَرِيضِ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ)

قال ابن حجر: خُرْفَةُ الْجَنَّةِ وخُرْفَةُ بضم المعجمة وسكون الراء بعدها فاء ثم هاء هي الثمرة إذا نضجت شبه ما يحوزه عائِد المريض من الثواب بما يحوزه الذي يجتني الثمر، وقيل: المراد بها

(١) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام (ص: ٧٣٣)

(٢) شرح رياض الصالحين (٢/ ٦٠٧)

هنا الطريق ، والمعنى أن العائد يمشي في طريق تؤديه إلى الجنة . والتفسير الأول أولى فقد أخرجه البخاري في الأدب المفرد من هذا الوجه وفيه قلت لأبي قلابة: ما خرفة الجنة؟ قال جناها . وهو عند مسلم .

قال الشوكاني: "الخرفة" بالخاء المعجمة على زنة مرحلة، وهي البستان، أي عائد المريض في بساتين الجنة وثمارها .

قوله: (حتى يرجع): أي الثواب حاصل للعائد من حين يذهب للعيادة حتى يرجع إلى محله ، ويعلم منه أن من كان طريقه أطول كان أكثر ثواباً ، وليس المراد المكث الكثير عند المريض لما علم أنه يطلب التخفيف في المكث عنده. (١)

◀ قوله: قلت ولا فرق بين أن يكون برا ، أو فاجراً ، لكن ينسبط إلى البر وينقبض عن الفاجر . هذه الخصال كلها في حق الإسلام يستوي فيها جميع المسلمين برهم وفاجرهم غير أن يخص البر بالبشاشة والمسالمة والمصافحة دون الفاجر المظهر لفجوره .

وتجوز عيادة المريض ولو كان كافراً؛ لقصد دعوته إلى الإسلام، وقد دخل النبي ﷺ على رجل يهودي يعود، فقال: قل لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا الله، فخرج النبي ﷺ يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار . (٢)

✦ تنمة : "آداب زيارة المريض":

قال الشيخ العثيمين :

١/ رقية المريض : ومنها ماجاء عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه أو كانت به قرحة أو جرح قال النبي صلى الله عليه وسلم بأصبعه

^(١) (فتح الباري - ابن حجر - (١٠ / ١١٣)

^(٢) (مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح - (٥ / ٤٣٢)

هكذا ووضع سفيان بن عيينة الراوي سبابته بالأرض ثم رفعها وقال: "بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى به سقيمنا بإذن ربنا" متفق عليه

وهذا يدل على أنه ينبغي للإنسان أن يداوي الجرح بمثل ذلك ووجه ذلك أن التراب طهور كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "جعلت تربتها لنا طهورا" وريق المؤمن طاهر أيضا فيجتمع الطهوران مع قوة التوكل على الله عز وجل، والثقة به فيشفى بها المريض، ولكن لابد من أمرين:

١ - قوة اليقين في هذا الداعي بأن الله سبحانه وتعالى سوف يشفي هذا المريض بهذه الرقية.

٢ - قبول المريض لهذا وإيمانه بأنه سينفع أما إذا كانت المسألة على وجه التجربة فإن ذلك لا ينفعه لأنه لابد من اليقين أن ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم حق ولا بد أن يكون المحل قابلا وهو "المريض" لابد أن يكون مؤمنا بفائدة ذلك وإلا فلا فائدة لأن الذين في قلوبهم مرض لا تزيدهم الآيات إلا رجسا إلى رجسهم والعياذ بالله .

✳ أما الحديث الثاني:

فإنه كان إذا عاد بعض أهله يقول "اللهم رب الناس أذهب البأس اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما ويمسح بيده اليمنى أي يمسح المريض ويقرأ عليه هذا الدعاء.

٢/ ثم احرص غاية الحرص على أن توجهه إلى فعل الخير : في هذا المرض وقول الخير في هذا المرض فتقول : قد يقدر الله المرض على الإنسان فيكون خيرا له فيتفرغ للذكر ولقراءة القرآن وما أشبه ذلك ، لعله ينتبه ويكون لك أجر السبب.

٣/ أن لا تطل الجلوس عنده لأنه ربما يمل لأن حال المريض غير حال الصحيح فربما يمل ويجب أن تقوم عنه ليأتي إليه أهله وما أشبه ذلك ولكن إذا رأيت أن المريض مستأنس بك ويفرح أن تبقي وأن تطيل الجلوس عنده فهذا خير ولا بأس به وهذا ربما يكون سببا في شفاؤه لأن من أسباب الشفاء إدخال السرور على المريض ومن أسباب دوام المرض وزيادته إدخال الغم عليه فمثلا : "إذا جئت مريضا وقلت له أنت اليوم أحسن من أمس حتى وإن لم يكن أحسن من جهة

المرض لكن تقول أحسن من أمس لأنك زدت خيرا ما بين أمس واليوم صليت خمس صلوات، استغفرت، هللت، كذلك زاد أجرك بالمرض وذلك حتى يدخل عليه السرور ولا تقل له أنت أمس أحسن من اليوم فذا خطأ حتى ولو كان الأمر كذلك لأنه إن لم يضر لن ينفع كذلك، إذا كان المريض ممن يحب القصص وهي حق وليست كذبا قصص حقيقية ليست مكذوبة وكان ذلك مدعاة لإدخال السرور عليه فهذا أيضا طيب لأن من المهم إدخال السرور على المريض .

٤ / وإذا أردت أن تقوم واستأذنت تقول: أتاذن لي ؟ فإن هذا أيضا مما يسره لأنه ربما يود أن تبقي فلا يأذن لك. (١)

❖ قال شيخنا يحيى الحجوري حفظه الله : ومن الآداب:

١ / الدعاء للمريض عند الدخول عليه، ما هو كما يقول بعض الناس، سلامتك، هذا ما عليه دليل، وإنما الثابت عن النبي ﷺ: "طهور، لا بأس عليك"، هذا في البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنه، أن النبي ؟ دخل على رجل فقال: "لا بأس عليك، طهور طهور"، قال: طهور، بل حمى تفور، على شيخ كبير، تزيه القبور، قال: فنعم إذاً.

٢ / فالذي ينبغي للمريض التفاؤل بالخير، والذي ينبغي للزائر التبشير بالخير، أن يشره أن ما عليه بأس، وهو صحيح ما عليه بأس، فإن سلم وشفي ما عليه بأس ما دام من أهل التوحيد، ويبشر كذلك بأنه هذا المرض سيظهر ذنوبه - إن شاء الله - فقد دخل النبي ﷺ على أم السائب وهي تزفzf، قال: "ما لك يا أم السائب تزفzfين؟ قالت: الحمى لا بارك الله فيها، قال: لا تسبي الحمى، فإنها تذهب خطايا بني آدم". أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

هذه نعمة على العبد أن تذهب خطاياهم، كما يسقط ورق الشجرة، بسبب الأمراض.

(١) شرح رياض الصالحين - (١ / ١٠١٤)

* ومن آداب المريض:

عدم كثرة الشكاية: فالشكاية تكون على الطبيب، وعلى الزائر، وعلى من سألته ما وجعك؟ هذا مباح، فقد قالت عائشة رضي الله عنها: "وارأساه، قال النبي ﷺ: "بل أنا وارأساه". وأيوب عليه الصلاة والسلام شكى على ربه، قال تعالى: "وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" [الأنبياء: ٨٣] شكى على الله سبحانه وتعالى.

✍ وجاءت بعض الآثار أن الأئمة يكتب،

وهذا لا دليل عليه، فإنما يكتب القول، والفعل، والهـم، ثلاثة أشياء يكتبها الملك، لله هذا دليل على أن القول يكتب قال تعالى: (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) [ق: ١٨]، إذا قال قولاً يكتب، من خير أو شر، والكلام المباح لا يحاسب الإنسان عليه، وإنما يحاسب على الشر، ويؤجر على الخير.

له الدليل الثاني على الفعل، قوله تعالى: (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ) [الأنفطار: ١٠-١٢]، دل هذا على كتابة الفعل.

له الدليل الثالث على الهـم، حديث ابن عباس في الصحيحين «إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتب الله عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة، وإن هم فعملها كتبت عليه سيئة». وأن الله يطلع الملائكة على هذا الشيء، وله القدرة سبحانه وتعالى، والملائكة لا يعلمون

الغيب، ولكن الله يطلعهم على هذا الهـم فيكتبونه، قال تعالى: (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) [ق: ١٨]. (١)

الرَّابِعَ وَالسَّتُونَ مِنْ شَعْبِ الْإِيمَانِ

الصَّلَاةُ عَلَى مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ الْقُبْلَةِ

لَحْدِثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ " حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ رَدُّ السَّلَامِ وَعِيَادَةُ الْمَرْضَى وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ "

وَحَدِيثُ ثَوْبَانَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: " مَنْ صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ فَلَهُ قِيرَاطٌ وَمَنْ شَهِدَ دَفْنَهَا فَلَهُ قِيرَاطَانِ الْقِيرَاطُ مِثْلُ أُحُدٍ "

مسألة : حكم الصلاة على الميت ؟

فرض كفاية؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالصلاة على الميت فقال في قصة الرجل الذي عليه الدين: «صلوا على صاحبكم» أخرجه البخاري عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

◀ قوله : " حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ رَدُّ السَّلَامِ وَعِيَادَةُ الْمَرْضَى وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ "

الجنائز: جمع جنازة بالجيم المفتوحة والمكسورة والكسر أفصح وقيل : بالفتح للميت، "وبالكسر" للنعش وعليه الميت، وقيل: عكسه مشتقة من جنز، اذا ستر.

مسألة وأما اتباع الجنائز فسنة بالاجماع أيضا وسواء فيه من يعرفه وقريبة وغيرهما. ".

◀ قوله : " مَنْ صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ فَلَهُ قِيرَاطٌ وَمَنْ شَهِدَ.... "

قال النووي: قوله : (قيراط) القيراط مقدار من الثواب معلوم عند الله تعالى وهذا الحديث يدل على عظم مقداره. أهـ

قال الشيخ عبد المحسن العباد: قد جاء بيان حجم القيروط بأنه مثل جبل أحد، وهذا شيء عظيم، قالوا: ومعنى هذا: أن الأعمال تجعل أجساماً وتوضع في الميزان، ولهذا قال: مثل جبل أحد، أي: في العظم والضخامة. أهـ (١)

✽ تنمة: كيفية غسل الميت :

تجريد الميت وستر جسده ثم يكون التغسيل بأن يرفع الغاسل رأس الميت إلى قرب جلوسه ثم يمر يده على بطنه ويعصره برفق؛ ليخرج منه ما هو مستعد للخروج، وكثر صب الماء حينئذ؛ ليذهب بالخارج، ثم يلف الغاسل على يده خرقة خشنة؛ فينجي الميت، وينقي المخرج بالماء، ثم ينوي التغسيل، ويسمي، ويوضئه كوضوء الصلاة إلا المضمضة والاستنشاق؛ فيكفي عنهما مسح الغاسل أسنان الميت ومنخريه بإصبعه مبلولتين أو عليهما خرقة مبلولة بالماء، ولا يدخل الماء فمه ولا أنفه، ثم يغسل رأسه ولحيته برغوة سدر أو صابون، ثم يغسل ميامن ثم يغسل جانبه الأيسر كذلك، ويستعمل السدر مع الغسل أو الصابون، ويستحب أن يلف على يده خرقة حال التغسيل أو لبس القفاز البلاستيك.

والواجب غسلة واحدة إن حصل الإنقاء، والمستحب ثلاث غسلات، وإن لم يحصل الإنقاء؛ زاد في الغسلات حتى ينقى إلى سبع غسلات، ويستحب أن يجعل في الغسلة الأخيرة كافوراً؛ لأنه يصلب بدن الميت، ويطيبه، ويرده، فلجل ذلك؛ يجعل في الغسلة الأخيرة؛ ليبقى أثره. ثم ينشف الميت بثوب ونحوه، ويضفر شعر رأس المرأة ثلاثة قرون ويسدل من ورائها.

✽ كيفية التكفين :

ومقدار الكفن المستحب تكفين الرجل في ثلاث لفائف، وتكفين المرأة في خمسة أثواب؛ إزار وخمار وقميص ولفافتين، ويكفن الصغير في ثوب واحد، ويباح في ثلاثة أثواب، وتكفن الصغيرة

(١) شرح النووي على مسلم - (٧ / ١٤)

في قميص ولفافتين، ويستحب تجمير الأكفان بالبخور بعد رشها بماء الورد ونحوه؛ لتعلق بها رائحة البخور.

❧ كيفية الصلاة على الميت :

تكون الصلاة على الميت بأن يقوم الإمام والمنفرد عند صدر الرجل ووسط المرأة، ويقف المأمومون خلف الإمام، وسن جعلهم ثلاثة صفوف، ثم يكبر للإحرام، ويتعوذ بعد التكبير مباشرة فلا يستفتح، ويسمى، ويقرأ الفاتحة، ثم يكبر، ويصلي بعدها على النبي صلى الله عليه وسلم مثل الصلاة عليه في تشهد الصلاة، ثم يكبر ويدعو للميت بما ورد، ومنه: "اللهم اغفر لحينا وميتنا، وشاهدنا وغائبنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأنثانا، إنك تعلم منقلبنا ومثوانا، وأنت على كل شيء قدير، اللهم من أحبيته منا؛ فأحيه على الإسلام والسنة، ومن توفيته منا، فتوفه عليهما، اللهم اغفر له، وارحمه، وعافه، واعف عنه، وأكرم نزله، ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً من داره، وزوجاً خيراً من زوجته، وأدخله الجنة، وأعذه من عذاب القبر وعذاب النار، وافسح له في قبره، ونور له فيه".

ثم يكبر، ويقف بعدها قليلاً، ثم يسلم تسليمة واحدة عن يمينه.

ومن فاته بعض الصلاة على الجنازة؛ دخل مع الإمام فيما بقي، ثم إذا سلم الإمام؛ قضى ما فاته على صفته، وإن خشي أن ترفع الجنازة؛ تابع التكبيرات "أي: بدون فصل بينها"، ثم سلم. ومن فاتته الصلاة على الميت قبل دفنه؛ صلى على قبره.

❧ كيفية العزى لأهل الميت :

وتسن تعزية المصاب بالميت، وحثه على الصبر والدعاء للميت، لما روى ابن ماجه وإسناده ثقات، عن عمرو بن حزم مرفوعاً: "ما من مؤمن يعزي أخاه بمصيبة؛ إلا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة"، ووردت بمعناه أحاديث.

ولفظ التعزية أن يقول:

ما جاء عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: أَرْسَلَتْ ابْنَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ: إِنَّ ابْنًا لِي قُبِضَ فَأَتَنَا. فَأَرْسَلَ يُقْرِئُ السَّلَامَ وَيَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أُعْطِيَ وَكُلُّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُّسَمًّى فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ» (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وقوله صلى الله عليه وسلم حينما دخل على أم سلمة رضي الله عنها عقب موت أبي سلمة:
"اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين وافسح له في قبره ونور له فيه".

ومن بدع التعزية :

قال الشيخ الفوزان: أما ما يفعله بعض الناس اليوم من أهل البيت يهيئون مكانا لإجتماع الناس عندهم، ويصنعون الطعام، ويستأجرون المقرئين لتلاوة القرآن، ويتحملون في ذلك تكاليف ماله؛ فهذا من المآثم المحرمة المبتدعة؛ لما روى الإمام أحمد عن جرير بن عبد الله قال: "كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنعة الطعام بعد دفنه من النياحة"، وإسناده صحيح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "جمع أهل المصيبة الناس على طعامهم ليقروا ويهدوا له؛ ليس معروفًا عند السلف، وقد كرهه طوائف من أهل العلم من غير وجه"

"فأما المآثم؛ فممنوعة بإجماع العلماء، والمآثم هو الاجتماع على المصيبة، وهو بدعة منكرة، لم ينقل شيء، وكذا ما بعده من الاجتماع في الثاني والثالث والرابع والشهر والسنة؛ فهو طامة كبرى.

فتاوى نور على الدرب لابن باز بعناية الشويعر (١٤ / ٢٤٤)

قال الشيخ بن باز رحمه الله: قراءة القرآن لا تقرأ عن الأموات ولكن يدعى له بالمغفرة والرحمة ويتصدق عنه، هذا هو المشروع، وأما قراءة القرآن وتثويبها للأموات فهذا لا دليل عليه، والميت منقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له، كما قاله النبي

صلى الله عليه وسلم فقرأ القرآن عليه لا تنفعه ولا يستفيد منها، لأنه لا يسمعها، ولا يستفيد منها بعد الموت.

❦ ويجب التنبيه إلى أن الإجتماع للتعزية والجلوس لها يجب أن يخلو من البدع التي يفعلها كثير من الناس :

وخاصة ما يسمى بقراءة الختمة للأموات فهذه من البدع المنتشرة في بلادنا حيث يجلس مجموعة من الناس بعد دفن الميت بعد صلاة العصر في يوم الوفاة ويومين بعده فيقرأون السور الأخيرة من القرآن الكريم ابتداءً من سورة الناس ثم يقرأون سورة الفاتحة وفواتح سورة البقرة وآية الكرسي وخواتيم سورة البقرة وبعض الآيات الأخرى ثم يأتون ببعض الأذكار ويهللون مئة مرة ونحو ذلك. وقد يستأجرون بعض المتاجرين بالقراءة على الأموات الذين يحترفون هذا العمل فيحضر ونهم ومعهم مكبرات الصوت فيقرأون الختمة بأجر متفق عليه أو إقامة الموالد أو المحاضرات ، وبعد الانتهاء يأكلون ما أعد لهم من طعام أو حلويات ويشربون القهوة والشاي وغيرها، ويفعلون هذه البدعة ثلاثة أيام اعتباراً من يوم الدفن، ثم يفعلونها بعد إتمام الميت شهر ثم في الأربعين وبعضهم يفعلها في ذكرى مرور سنة على وفاة الميت وبعضهم يزيد على ذلك. وهذا الأمر بدعة فلم ينقل عن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ولا عن أحد من أصحابه رضوان الله عليهم فعل مثل ذلك فهذه الختمة طريقة مبتدعة في قراءة القرآن وفي الذكر. ثم إن تخصيص هذه هذه الختمة وهذه الأذكار لم يقم عليه دليل من الشرع ولا يصح عند العلماء تخصيص زمان معين بعبادة معينة إلا بدليل شرعي ولا دليل على ذلك.

❧ وخلاصة الأمر أنه لا بأس بالجلوس للتعزية بشرط أن يخلو ذلك من البدع والمنكرات.

➤ وقد ذكرها العلامة الألباني رحمه الله من البدع التي تحدث في العزى في كتابه بدع الجنائز .

(يراجع أيضا كتب وفتاوى بن باز والعثيمين والفوزان في هذا الباب)

الحَامِسُ وَالسُّتُونَ مِنْ شَعْبِ الْإِيمَانِ

تَشْمِيتُ الْعَاطِسِ

لَحْدِيثِ أَبِي بَرْدَةَ فِي "صَحِيحِ مُسْلِمٍ" عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللَّهَ، فَشَمَّتُوهُ، فَإِنْ لَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ، فَلَا تُشَمَّتُوهُ»^(١)

◀ قوله: "وتشميت العاطس"

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ:

التَّشْمِيتُ: الدُّعَاءُ، كَقَوْلِكَ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، وَكُلُّ دَاعٍ بِخَيْرٍ فَهُوَ مَشْمُوتٌ وَمَسْمُوتٌ، بِالشَّيْنِ وَالسِّينِ، وَالشَّيْنُ أَكْثَرُ. وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ: اشتقاق التَّشْمِيتِ بِالشَّيْنِ الْمُعْجَمَةِ كَأَنَّهُ الدُّعَاءُ بِالتَّشْيِيتِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، مَأْخُوذٌ مِنَ الشَّوَامِتِ وَهِيَ الْقَوَائِمُ، وَاشْتِقَاقُ التَّسْمِيتِ بِالسِّينِ الْمُهْمَلَةِ مِنَ السَّمْتِ وَهُوَ الْهُدْيُ، كَأَنَّهُ رَدُّهُ إِلَى سَمْتِهِ وَهُدْيِهِ. وَحَكَى أَبُو عَمْرٍو بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ قَالَ: قَالَ ثَعْلَبٌ: مَعْنَى التَّشْمِيتِ: أَبْعَدَ اللَّهُ عَنْكَ الشَّهَاتَةَ وَجَنَّبَكَ مَا يَشْمِتُ بِهِ عَلَيْكَ، وَمَعْنَى التَّسْمِيتِ: جَعَلَكَ اللَّهُ عَلَى سَمْتٍ حَسَنٍ. (١)

◀ قوله: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللَّهَ، فَشَمَّتُوهُ، فَإِنْ لَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ، فَلَا تُشَمَّتُوهُ»

قَالَ النَّوَوِيُّ:

مُقْتَضَى هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ مَنْ لَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ لَمْ يُشَمَّتْ قُلْتُ هُوَ مَنْطُوقُهُ لَكِنْ هَلِ النَّهْيُ فِيهِ لِلتَّحْرِيمِ أَوْ لِلتَّنْزِيهِ الْجُمْهُورُ عَلَى الثَّانِي قَالَ وَأَقْلُّ الْحَمْدِ وَالتَّشْمِيتِ أَنْ يُسْمَعَ صَاحِبُهُ وَيُؤْخَذُ مِنْهُ أَنَّهُ إِذَا أَتَى بِلَفْظٍ آخَرَ غَيْرِ الْحَمْدِ لَا يُشَمَّتْ وَقَدْ أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُمَا مِنْ حَدِيثِ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/ ٤٢١)

الْأَشْجَعِيَّ قَالَ : "عَطَسَ رَجُلٌ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّكَ " وَقَالَ إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَحْمِدِ اللَّهَ وَاسْتَدِلَّ بِهِ عَلَى أَنَّهُ يُسْرِعُ التَّشْمِيتُ لِمَنْ حَمَدَ إِذَا عَرَفَ السَّامِعُ أَنَّهُ حَمَدَ اللَّهَ وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْهُ كَمَا لَوْ سَمِعَ الْعَطَسَةَ وَلَمْ يَسْمَعْ الْحَمْدَ بَلْ سَمِعَ مَنْ شَمَّتَ ذَلِكَ الْعَاطِسَ فَإِنَّهُ يُسْرِعُ لَهُ التَّشْمِيتُ لِعُمُومِ الْأَمْرِ بِهِ لِمَنْ عَطَسَ فَحَمَدَ وَقَالَ النَّوَوِيُّ الْمُخْتَارُ أَنَّهُ يَشْمَتُهُ مَنْ سَمِعَهُ دُونَ غَيْرِهِ (١)

مسائل :

حكم تشميت العاطس ؟ اختلف العلماء في حكم تشميت العاطس إذا حمد الله على أقوال :
القول الأول : أنه سنة .

القول الثاني : أنه واجب على كل من سمع تحميد العاطس أن يشمته
"وهو الراجح"

والدليل حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله (:) (إن الله يحب العطاس ، فإذا عطس أحدكم فحمد الله فحق على كل مسلم سماعه أن يشمته) . رواه البخاري
وأن العاطس إذا لم يحمد الله فإنه لا يشمت .

مسألة : لو تكرر العطاس ؟

قَالَ النَّوَوِيُّ : فِي الْأَذْكَارِ إِذَا تَكَرَّرَ الْعُطَاسُ مُتَتَابِعًا فَالْسُّنَّةُ أَنْ يُشْمَتَهُ لِكُلِّ مَرَّةٍ إِلَى أَنْ يَبْلُغَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ رَوَيْنَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَأَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَطَسَ عِنْدَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ ثُمَّ عَطَسَ أُخْرَى فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّجُلُ مَرْكُومٌ هَذَا لَفْظُ رِوَايَةِ مُسْلِمٍ .

وجاء من وَجْهِ آخَرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ "النَّهْيُ عَنِ التَّشْمِيتِ بَعْدَ ثَلَاثٍ"

(١) فتح الباري لابن حجر (١٠ / ٦١٠)

وَلَفْظُهُ: (إذا عطس أحدكم فليشمته جليسه، فإن زاد على ثلاث فهو مزكوم، ولا يشمت بعد ذلك). (١) صححه الألباني في الصحيحة .

فائدة: متى يسقط تشميت العاطس؟

١- إذا عطس وقت الخطبة :

قال مالك فيمن عطس والإمام يخطب. فقال: يحمد الله في نفسه سرّاً ولا يشمت أحد العاطس.

٢- عند قضاء الحاجة .

٣- وفي الصلاة : قال النووي: النهي عن تشميت العاطس في الصلاة وأنه من كلام الناس الذي يجرم في الصلاة وتفسد به إذا أتى به عالماً عامداً .

وأما العاطس في الصلاة: فيستحب له أن يحمد الله تعالى سرا هذا مذهبنا وبه قال مالك وغيره. (٢).

السَّادِسُ وَالسُّتُونَ مِنْ شُعْبِ الْإِيمَانِ

فِي مَبَاعَدَةِ الْكُفَّارِ وَالْمُفْسِدِينَ وَالْغُلَظَّةِ عَلَيْهِمُ

لَقَوْلِهِ تَعَالَى: {لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً} آل عمران ٢٨

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} التَّوْبَةُ ٧٣

(١) فتح الباري لابن حجر (١٠ / ٦٠٥)

(٢) شرح النووي على مسلم - (٥ / ٢١) فتح الباري لابن حجر (١٠ / ٦٠٤) مراعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح - (٤ /

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً } التَّوْبَةُ ١٢١

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ } إلى آخر الآية التي بعدها وَغَيْرَهَا مِنَ الْآيَاتِ.

وَلِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، فِي "صَحِيحِ مُسْلِمٍ" أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَبَدَّؤُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ، فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَصْبَحِهِ» وَحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ» صَحِيحِ سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ

وَلِهَجْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الثَّلَاثَةَ الَّذِي حُلِفُوا خَمْسِينَ يَوْمًا إِلَى أَنْ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَتَابُوا وَهُمْ كَعَبُ بْنُ مَالِكٍ، وَمِرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَهَلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ).

هذه الشعبة في التحذير من : (مظاهرة المشركين)

المظاهرة :هي المساعدة، والموالاتة، كما قال تعالى لنبيه: ((فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ)) [القصص : ٨٦] أي : موالياً ومساعداً.

والمظاهرة: هو نصره المشركين على المؤمنين ، والقرب منهم ، ومحبتهم ، وتأبيدهم على ما هم عليه ، وإعانتهم على المسلمين بالمال ، والنفوس ، والعتاد.

قال الشيخ الفوزان:

المظاهرة: نوع من الموالاتة .الموالاتة: تشمل المحبة بالقلب ؛ والمظاهرة على المسلمين ، والثناء والمدح.

قد نُقِلَ الإجماع على وجوب معاداة الكفار:

❦ قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن: أجمع العلماء سلفاً وخلفاً من الصحابة والتابعين والأئمة وجميع أهل السنة أن المرء لا يكون مسلماً إلا بالتجرد من الشرك الأكبر والبراءة منه ومن فعله وبغضهم ومعاداتهم بحسب الطاقة والقدرة.

❧ وقد نقل الإجماع ابن الوزير في كتابه [إنباء الحق على الخلق ص ٣٧١].

❦ لقوله تعالى: { لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً } أقسام الناس في العداوة أربعة:

❦ أولاً: من كان عنده العداوة لهم ظاهراً وباطناً؛ فهؤلاء هم أصحاب لا إله إلا الله، المتمسكون بالعروة الوثقى. قال الله تعالى: ((مَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى)) [البقرة: ٢٥٦].

❦ ثانياً: من لم يكن عنده العداوة، لا ظاهراً ولا باطناً؛ وهذا الذي تنزل عليه الآيات في ذم من لم يعاد المشركين والكفار، ومنها قوله تعالى: ((.. وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ...)) [المائدة: ٥١].

❦ ثالثاً: من كان عنده العداوة لهم ظاهراً لا باطناً؛ وهذا هو حال المنافق؛ فهو يظهر للمسلمين أنه معاد للكفر، وهو في باطنه محب للكفار موالي لهم.

❦ رابعاً: من كان عنده العداوة باطناً لا ظاهراً؛ وهذا له ثلاث حالات:

(١) أن يكون مكره على إظهار المودة بالضرب، والتعذيب، أو يكون تحت سلطانهم، لا حيلة له، فهذا يعذر، لقوله تعالى: ((... إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ...)) [النحل: ١٠٦].

قال ابن عباس: هو أن يتكلم بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان ولا يقتل ولا يأتي ماثماً وقيل: إن المؤمن إذا كان قائماً بين الكفار فله أن يداريهم باللسان إذا كان خائفاً على نفسه وقلبه مطمئن بالإيمان والتقية لا تحل إلا مع خوف القتل أو القطع أو الإيذاء العظيم. أهـ

(٢) أن يظهر لهم المودة لأجل مصالح دنيوية ، ولنيل بعض الأموال ، منهم فيكرمهم ويرفع قدرهم ، مع بغضهم وبغض دينهم وعدم موالاتهم على المسلمين ؛ فهذا مرتكب كبيرة من الكبائر، وليس بكافر.

(٣) أن يظهر لهم الموالاة ، والتأييد، وتحسين دينهم ويكون معهم ناصراً ومعيناً على المسلمين، حتى يَعُدَّهُ المشركون منهم ، فهذا كافر، لا عذر له؛ وإن كان يبغضهم في الباطن . قال الله تعالى : ((مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)) . [النحل: ١٠٦-١٠٧]

❧ أقسام الموالاة للمشركيين: تنقسم إلى قسمين:

أ- مخرج من الملة : وتكون بمحبتهم ونصرتهم على المسلمين وتأيدهم والرضا بآهم عليه من كفر وشرك.

ب - غير مخرج من الملة: وتكون بإظهار المحبة لهم والقرب منهم وتقديم بعض الخدمات لهم من أجل مصالح دنيوية مع بغضهم وبغض ما هم عليه ، وعدم مناصرتهم على المسلمين. "١"

❧ قوله ﷺ: «لَا تَبْدَءُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ، فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ»

قال الشوكاني :

فِيهِ تَحْرِيمُ ابْتِدَاءِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِالسَّلَامِ، وَقَدْ حَكَاهُ النَّوَوِيُّ عَنْ عَامَّةِ السَّلَفِ وَأَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ. وَهَذَا الْحَدِيثُ الْوَارِدُ فِي النَّهْيِ عَنْ ابْتِدَاءِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِالسَّلَامِ قَوْلُهُ: (وَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُمْ إِلَى أَضْيَقِهَا) أَيِ الْجُؤُومِ إِلَى الْمَكَانِ الضَّيِّقِ مِنْهَا.

(١) راجع [مجموعة التوحيد ص ٣٦٤ - ٣٦٥] [راجع الدرر السنية: ٨ / ٤٢٦].

وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَتْرَكَ لِلذَّمِّ صَدْرَ الطَّرِيقِ، وَذَلِكَ نَوْعٌ مِنْ إِنْزَالِ الصَّغَارِ بِهِمْ وَالْإِذْلَالِ لَهُمْ قَالَ النَّوَوِيُّ: وَلَيْكُنْ التَّضْيِيقُ بِحَيْثُ لَا يَقَعُ فِي وَهْدَةٍ وَلَا يَصْدِمُهُ جِدَارٌ وَنَحْوُهُ (١).

❁ قال الألباني :

أن بدأ الكتابي بالسلام لا يجوز مطلقا سواء كان في الطريق أو في المنزل أو غيره. والدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم لما جاء عمه أبا طالب في مرض موته لم يبدأه بالسلام، وإنما قال له: " يا عم قل لا إله إلا الله " ...

وأیضا: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كتب إلى هرقل ملك الروم وهو في الشام لم يبدأه بالسلام، وإنما قال فيه: بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى "... أخرجه البخاري ومسلم.

❁ قوله : صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: « لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ »

(لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا) أي كاملا أو المراد النهي عن مصاحبة الكفار والمنافقين لأن مصاحبتهم مضرة في الدين فالمراد بالمؤمن جنس المؤمنين (ولا يأكل طعامك إلا تقي) أي متورع . أي مؤمن أو متورع يصرف قوة الطعام إلى عبادة الله الملك العلام . (٢)

قوله : (ولهجرة الثلاثة الذين خُلِفُوا خمسين يوما إلى أن تاب الله عليهم فتابوا وهم كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية رضي الله عنهم)

❁ قال الشيخ عبد المحسن العباد :-

بعض الناس لا يرون هجر أهل البدع والمعاصي في هذا الوقت، وقالوا: إن ذلك كان في زمن التشريع فقط، فما هو الحق؟ الجواب: ليس بصحيح أن زمن التشريع هو زمن الهجر فقط وبعد

(١) نيل الأوطار (٨ / ٧٦)

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح - (١٤ / ٣١٦)

ذلك لا يكون هجراً، بل تتبع المصلحة والفائدة في المهجر، فإذا كان يترتب عليه مصلحة وفيه فائدة فينبغي أن يفعل، وهذا في كل وقت وفي كل حين. (١)

مسألة : ما حكم الإقامة في بلاد الكفر التي يكره فيها المسلم على معصية الله، ويمنع من إقامة شعائر الإسلام؟

غیر رجاء نذرہ.

قالت اللجنة الدائمة: (الهجرة هي الخروج من بلد الكفر إلى بلد الإسلام)، وهي واجبة، قال الله تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)) [النساء: ٩٧]

قال ابن كثير عن هذه الآية: (هذه الآية عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة ، وليس متمكناً من إقامة الدين ، فهو ظالم لنفسه ، مرتكب حراماً بالإجماع). أ. هـ

فتاوى بسألو نك (١٤ / ٣٧)

تنبیه :

وقد ذكر الشيخ النجدي رحمه الله تعالى: "أن مظاهره المشركين ومعاونتهم على المسلمين من نواقض الإسلام"، فقد اتفق العلماء على أن مظاهره الكفار على المسلمين كفر ورِدَّة عن الإسلام، قال العلامة عبد العزيز بن باز:

[وقد أجمع علماء الإسلام على أن من ظاهر الكفار على المسلمين وساعدهم عليهم بأي نوع من المساعدة فهو كافر مثلهم]

(١) شرح سنن أبي داود - عبد المحسن العباد - (٤ / ٢٨)

(٢) راجع فتاوى اللجنة الدائمة ٤٨ / ١٢

السَّابِعُ وَالسُّتُونَ مِنْ شَعْبِ الْإِيمَانِ

إِكْرَامُ الْجَارِ

لَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ

وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجُنُبِ} النِّسَاء ٣٦

قيل: فِي تَفْسِيرِ (ذِي الْقُرْبَى): الْجَارُ الْمَلِصَقُ. (وَالْجَارُ الْجُنُبِ): الْبَعِيدُ غَيْرُ الْمَلِصَقِ (وَالصَّاحِبِ

بِالْجُنُبِ): الرِّفِيقُ فِي السَّفَرِ

وَلِحَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا "فِي الصَّحِيحَيْنِ": عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا زَالَ

يُوصِينِي جَنَرِلٌ بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورِّثُهُ»

◀ قوله: إِكْرَامُ الْجَارِ.

الجار لغة: قال الرَّاعِبُ: الجار من يقرب مسكنه منك.

قال أهل العلم والجيران ثلاثة :

١ - جار قريب مسلم: فله حق الجوار والقربة والإسلام .

٢ - وجار مسلم غير قريب: فله حق الجوار والإسلام .

٣ - وجار كافر: فله حق الجوار وإن كان قريبا فله حق القربة أيضا فهؤلاء الجيران لهم حقوق

حقوق واجبة وحقوق يجب تركها .

◀ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجُنُبِ}

قوله: {وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى} قال مجاهد وقتاده بسند صحيح: أي جارك هو ذو قربتك . أي بينك

وبينه قرابة .

قوله: {وَالْجَارِ الْجُنُبِ} جاء عن مجاهد: جارك من قوم آخرين . وإسناده صحيح .

قوله: {وَالصَّاحِبِ بِالْجَنُبِ} هو الرفيق في السفر . وقيل الرفيق الصالح . جاء عن سعيد بن جبير بسند صحيح .

*** مسألة : حكم إكرام الجار ؟**

قال ابن حجر : الأمر بالإكرام يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال فقد يكون فرض عين ، وقد يكون فرض كفاية ، وقد يكون مستحباً ، ويجمع الجميع أنه من مكارم الأخلاق . (١)
◀ قوله : عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَا زَالَ يُوصِينِي جَبْرِيلُ بِالْجَارِ ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورَثُهُ »

للله قال ابن حجر : أي يأمر عن الله بتوريث الجار من جاره ،
 واختلف في المراد بهذا التورث فقيل : يجعل له مشاركة في المال بفرض سهم معطاه مع الأقارب .
 وقيل : المراد أن ينزل منزلة من يرث بالبر والصلة والأول أظهر ، فإن الثاني استمر والخبر مشعر بأن التورث لم يقع ويؤيده ما أخرجه البخاري من حديث جابر نحو حديث الباب بلفظ : " حتى ظننت أنه يجعل له ميراثاً "

وقال بن أبي جمرة الميراث على قسمين حسي ومعنوي :

فالْحَسِي : هو المراد هنا . والمعنوي : ميراث العلم ويمكن أن يلحظ هنا أيضاً فإن حق الجار على الجار أن يعلمه ما يحتاج إليه والله أعلم .

قوله (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) توقعت أن يأتيني بأمر من الله تعالى يجعل الجار وارثاً من جاره كأحد أقربائه وذلك من كثرة ما شدد في حفظ حقوقه والإحسان إليه [أي سينزل الوحي بتوريثه وليس المعنى أن جبريل يُشرع توريثه لأن جبريل ليس له حق في

(١) فتح الباري - ابن حجر - (١٠ / ٤٤٦)

ذلك لكن المعنى أنه سينزل الوحي الذي يأتي به جبريل بتورث الجار وذلك من شدة إيحاء جبريل به النبي صلى الله عليه وسلم. (١)

تتمة :

وقد وَرَدَتْ أَحَادِيثُ بِالْوَصَايَا بِالْجَارِ، وَأَنَّ الْأَحْسَانَ لِلْجَارِ مِنْ كَمَالِ الْإِيمَانِ فَلَنَذَكِّرُ مِنْهَا مَا تيسر :

لله عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ» قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقِهِ»

(بوائقه) جمع بائقة وهي الظلم والشر والشئ المهلك. متفق عليه.

لله عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ» متفق عليه .

لله عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي جَارَيْنِ، فَإِلَى أَيِّهِمَا أَهْدِي؟ قَالَ: «إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكَ بَابًا» متفق عليه.

لله عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ» رواه مسلم

لله عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةَ لِحَارَتِهَا، وَلَوْ فَرِسَنَ شَاةٌ» متفق عليه .

قوله : (ولو فرسن شاة) قال أهل اللغة هو بكسر الفاء والسين وهو الظلف قالوا وأصله في الإبل وهو فيها مثل القدم في الإنسان. وهذا النهي عن الاحتقار نهى للمعطية المهدية ومعناه لا تمتنع جارة من الصدقة والهدية لجارتها لا استقلالها واحتقارها الموجود عندها بل تجود بها تيسر ولو كان قليلا "كفرسن شاة" وهو خير من العدم.

الثَّامِنُ وَالسُّتُونُ مِنْ شَعْبِ الْإِيمَانِ

إِكْرَامُ الضَّيْفِ

لَحْدِيثِ أَبِي شُرَيْحٍ الْعَدَوِيِّ، "فِي الصَّحِيحَيْنِ" قَالَ: سَمِعْتُ أُذُنَايَ، وَأَبْصَرْتُ عَيْنَايَ، حِينَ تَكَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ» قَالَ: وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»

وَزَادَ فِي رِوَايَةٍ: "فِي أَوَّلِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ"

◀ قوله : إِكْرَامُ الضَّيْفِ

لفظ ضيف يكون واحدا وجمعا، وجمع القلة أضياف والكثرة ضيوف وضيغان .

◀ قوله ﷺ : (..وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ» قَالَ: وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ..»).
وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: "الْجَائِزَةُ": الْعَطِيَّةُ. أَيِ يَقْرِي ضَيْفَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ يُعْطِيهِ مَا يُجُوزُ بِهِ مَسَافَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ.

قال النووي : هَذَا الْحَدِيثُ مُنْظَاهِرٌ عَلَى الْأَمْرِ بِالضِّيَافَةِ وَالْإِهْتِمَامِ بِهَا وَعَظِيمٌ مَوْقِعُهَا وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الضِّيَافَةِ وَأَنَّهَا مِنْ مُتَاكَّدَاتِ الْإِسْلَامِ ثُمَّ قَالَ الشَّافِعِيُّ وَمَالِكٌ وَأَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَالْجُمْهُورُ هِيَ سَنَةٌ لَيْسَتْ بِوَجْهٍ، وَقَالَ اللَّيْثُ وَأَحْمَدُ هِيَ وَاجِبَةٌ يَوْمًا وَلَيْلَةً، قَالَ أَحْمَدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هِيَ وَاجِبَةٌ يَوْمًا وَلَيْلَةً عَلَى أَهْلِ الْبَادِيَةِ وَأَهْلِ الْقُرَى دُونَ أَهْلِ الْمَدِينِ، وَتَأَوَّلَ الْجُمْهُورُ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ وَأَشْبَاهَهَا عَلَى الْإِسْتِحْبَابِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَتَأَكَّدَ حَقُّ الضَّيْفِ .

قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فَلْيُكْرِمَ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ يَوْمًا وَلَيْلَةً وَالضَّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ) قَالَ الْعُلَمَاءُ مَعْنَاهُ الْإِهْتِمَامُ بِهِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ وَإِحْفَافُهُ بِمَا يُمَكِّنُ مِنْ بَرٍّ وَإِطَافٍ .
وَأَمَّا فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَالثَّلَاثِ : فَيُطْعِمُهُ مَا تيسَّرَ وَلَا يَزِيدُ عَلَى عَادَتِهِ .
وَأَمَّا مَا كَانَ بَعْدَ الثَّلَاثَةِ فَهُوَ صَدَقَةٌ وَمَعْرُوفٌ إِنْ شَاءَ فَعَلَ وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ .

➤ وقيل للأوزاعي : ما إكرام الضيف ؟ قال : بشاشة الوجه . وأنه ينبغي استعمال أحسن الأخلاق للضيف وترك الضجر لكي تنبسط نفسه ، ولا تنقبض وتسقط المؤنة خشية أن يظن أن الضجر والغضب من أجله . (١)

* مسألة : حكم إكرام الضيف ؟

قال ابن حجر : الأمر بالإكرام يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال فقد يكون فرض عين ، وقد يكون فرض كفاية ، وقد يكون مستحبا ، ويجمع الجميع أنه من مكارم الأخلاق .
وقد كره جماعة من السلف التكلف للضيف وهو محمول على ما يشق على صاحب البيت مشقة ظاهرة لأن ذلك يمنعه من الإخلاص وكمال السرور بالضيف وربما ظهر عليه شيء من ذلك فيتأذى به الضيف وقد يحضر شيئا يعرف الضيف من حاله أنه يشق عليه وأنه يتكلفه له فيتأذى الضيف لشقيقته عليه وكل هذا مخالف لقوله صلى الله عليه وسلم : "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه" لأن أكمل إكرامه إراحته خاطره وإظهار السرور به .

مسألة : هل للضيف أن يأخذ من مال من نزل في ضيافته في حال عدم إكرامه له ؟

للهم نعم : لقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِنْ نَزَلْتُمْ بِقَوْمٍ فَأَمَرُوا لَكُمْ بِمَا يَنْبَغِي لِلضَّيْفِ فَاقْبَلُوا مِنْهُمْ فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَخَذُوا مِنْهُمْ حَقَّ الضَّيْفِ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ) رَوَاهُ مُسْلِمٌ .
فَقَدْ حَمَلَهُ اللَّيْثُ وَأَحْمَدُ عَلَى ظَاهِرِهِ .

(١) شرح السنة - للإمام البغوي متنا وشرحا - (١١ / ٣٣٨) شرح النووي على مسلم (١٢ / ٣٠)

وَتَأْوَلَهُ الْجُمُهورُ عَلَىٰ أَوْجِهٍ :

أَحَدُهَا : أَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى الْمُضْطَرِّينَ فَإِنَّ ضَيَافَتَهُمْ وَاجِبَةٌ فَإِذَا لَمْ يُضَيَّفُوهُمْ فَلَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا حَاجَتَهُمْ مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِينَ .

وَالثَّانِي : أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِنْ أَعْرَاضِهِمْ بِالْإِسْتِثْنَاءِ وَتَذْكُرُونَ لِلنَّاسِ لُؤْمَهُمْ وَبُخْلَهُمْ وَالْعَيْبَ عَلَيْهِمْ وَذَمَّهُمْ .

✽ قال الشوكاني :

وَالْحَقُّ وَجُوبُ الضِّيَافَةِ لِأُمُورٍ :

للهِ الْأَوَّلُ : بِإِبَاحَةِ الْعُقُوبَةِ بِأَخْذِ الْمَالِ لِمَنْ تَرَكَ ذَلِكَ وَهَذَا لَا يَكُونُ فِي غَيْرِ وَاجِبٍ .

للهِ وَالثَّانِي : التَّأْكِيدُ الْبَالِغُ يَجْعَلُ ذَلِكَ فَرْعَ الْإِيْيَانِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ،

للهِ وَالثَّلَاثُ : قَوْلُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " لَيْلَةُ الضَّيْفِ حَقٌّ وَاجِبٌ " فَهَذَا تَصْرِيحٌ بِالْوُجُوبِ لَمْ يَأْتِ مَا يَدُلُّ عَلَى تَأْوِيلِهِ .

للهِ وَالرَّابِعُ : قَوْلُهُ : " فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ " فَإِنَّهُ تَصْرِيحٌ أَنَّ مَا قَبْلَ ذَلِكَ غَيْرُ صَدَقَةٍ بَلْ وَاجِبٌ شَرْعًا .

قَالَ الْخَطَّابِيُّ : يُرِيدُ أَنَّهُ يَتَكَلَّفُ لَهُ فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ مَا اتَّسَعَ لَهُ مِنْ بَرٍّ وَالْطَّافِ ، وَيُقَدِّمُ لَهُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي مَا كَانَ بِحَضْرَتِهِ وَلَا يَزِيدُ عَلَى عَادَتِهِ ، فَمَا جَاوَزَ الثَّلَاثَ فَهُوَ مَعْرُوفٌ وَصَدَقَةٌ إِنْ شَاءَ فَعَلَ وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ . (١)

(١) فتح الباري - ابن حجر - (١٠ / ٤٤٦) شرح النووي على مسلم (١٢ / ٣٠) نيل الأوطار (٨ / ١٧٩)

التَّاسِعَ وَالسُّتُونَ مِنْ شَعْبِ الْإِيمَانِ

السُّتْرُ عَلَى أَصْحَابِ الْقُرُوفِ أَيْ الذُّنُوبِ

لَقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ يُجِبُونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} .النور ١٩

وَلِحَدِيثِ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا "فِي الصَّحِيحَيْنِ" عَنْ أَبِيهِ:

أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

◀ قوله : السُّتْرُ عَلَى أَصْحَابِ الْقُرُوفِ أَيْ الذُّنُوبِ.

السُّتْرُ لُغَةً: قَالَ ابْنُ فَارِسٍ: "السَّيْنُ وَالتَّاءُ وَالرَّاءُ" كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى غَطَاءٍ.

وَقَالَ الرَّاعِبُ: السُّتْرُ تَغْطِيَةُ الشَّيْءِ، يُقَالُ: سَتَرْتُ الشَّيْءَ فَاسْتَرْتُ أَيْ غَطَّيْتُهُ فَتَغَطَّى

السُّتْرُ اصطلاحاً:

قَالَ الْمُنْذَرِيُّ: السُّتْرُ عَلَى الْمُسْلِمِ تَغْطِيَةُ عَيْبِهِ، وَإِخْفَاءُ هَنَاتِهِ.

لله وللإمام النووي: المراد بالسُّتْرُ السُّتْرُ عَلَى ذَوِي الْهَيْئَاتِ وَنَحْوِهِمْ مِمَّنْ لَيْسَ مَعْرُوفًا بِالْأَذَى وَالْفُسَادِ، فَأَمَّا الْمَعْرُوفُ بِذَلِكَ، فَيَسْتَحَبُّ أَلَّا يَسْتَرَّ عَلَيْهِ إِلَى وَلِيِّ الْأَمْرِ إِنْ لَمْ يَخَفْ مِنْ ذَلِكَ مَفْسَدَةٌ؛ لِأَنَّ السُّتْرَ عَلَى هَذَا يَطْمَعُهُ فِي الْإِيذَاءِ وَالْفُسَادِ ... وَأَمَّا جَرَحُ الرَّوَاةِ وَالشُّهُودِ وَالْأَمْنَاءِ عَلَى الصَّدَقَاتِ وَالْأَوْقَافِ وَالْأَيْتَامِ وَنَحْوِهِمْ، فَلَا يَحِلُّ السُّتْرُ عَلَيْهِمْ إِذَا رَأَى مِنْهُمْ مَا يَقْدَحُ فِي أَهْلِيَّتِهِ، وَلَيْسَ هَذَا مِنَ الْغِيْبَةِ الْمَحْرَمَةِ بَلْ مِنَ النَّصِيحَةِ الْوَاجِبَةِ.

مسألة: "الستير" من صفات المولى - عز وجل -:

ورد الستير والستير صفة للمولى - عز وجل - الدليل في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ

ستير يحبُّ الحياءَ والستير»

﴿ لَقَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}

﴿ قال الشيخ العثيمين :

أي هؤلاء الذين يحبون أن تشيع فكيه بمن أشاع الفاحشة والعياذ بالله ولمحبة شيوع الفاحشة في الذين آمنوا معنيان:

﴿ المعنى الأول: محبة شيوع الفاحشة في المجتمع المسلم ومن ذلك من يثون الأفلام الخليعة والصحف الخبيثة الداعرة فإن هؤلاء لا شك أنهم يحبون أن تشيع الفاحشة في المجتمع المسلم ويريدون أن يفتتن المسلم في دينه بسبب ما يشاع من هذه المجلات الخليعة الفاسدة والأفلام الخليعة الفاسدة أو ما أشبه ذلك، وكذلك تمكين هؤلاء مع القدرة على منعهم داخل في محبة أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا فالذي يقدر على منع هذه المجلات وهذه الأفلام الخليعة ويمكن من شيوعها في المجتمع المسلم هو ممن يجب أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا { لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة } أي عذاب مؤلم في الدنيا والآخرة .

﴿ المعنى الثاني : محبة أن تشيع الفاحشة في شخص معين وليس في المجتمع الإسلامي كله فهذا أيضا (له عذاب أليم في الدنيا والآخرة). (١)

﴿ قوله : «المُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

قال ابن بطال :وفيه أن المجازاة قد تكون في الآخرة من جنس الطاعة في الدنيا. ويستحب لمن اطلع من أخيه المسلم على عورة أو زلة توجب حدا، أو تعزيراً، أو يلحقه في ذلك عيب أو عار أن يستره عليه؛ رجاء ثواب الله، ويجب لمن بلى بذلك أن يستتر بستر الله، فإن لم يفعل ذلك الذي أصاب الحد، وأبدى ذلك للإمام وأقر بالحد لم يكن آثمًا؛ لأننا لم نجد في شيء من الأخبار الثابتة

عن النبي - عليه السلام - أنه نهى عن ذلك، بل الأخبار الثابتة دالة على أن من أصاب حدا وأقيم عليه فهو كفارته.

*** قال بن دقيق العيد:**

قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» .

هَذَا بِمَا تَكَثَّرَتِ النُّصُوصُ بِمَعْنَاهُ. وَخَرَجَ ابْنُ مَاجَهَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، كَشَفَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ حَتَّى يَفْضَحَهُ بِهَا فِي بَيْتِهِ» وَقَدْ رُوِيَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ أَنَّهُ قَالَ: أَذْرَكْتُ قَوْمًا لَمْ يَكُنْ هُمْ عُيُوبٌ، فَذَكَرُوا عُيُوبَ النَّاسِ، فَذَكَرَ النَّاسُ هُمْ عُيُوبًا، وَأَذْرَكْتُ أَقْوَامًا كَانَتْ هُمْ عُيُوبٌ، فَكَفَّوْا عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ، فَنَسِيتُ عُيُوبَهُمْ أَوْ كَمَا قَالَ.

وَشَاهِدُ هَذَا حَدِيثُ أَبِي بَرَزَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ، تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ» .

*** وَأَعْلَمُ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَرَبَيْنِ: أَحَدُهُمَا: مَنْ كَانَ مَسْتُورًا لَا يَعْرِفُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَعَاصِي، فَإِذَا وَقَعَتْ مِنْهُ هَفْوَةٌ، أَوْ زَلَّةٌ، فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ كَشْفُهَا، وَلَا هَتْكُهَا، وَلَا لَتَحَدُّثُ بِهَا، لِأَنَّ ذَلِكَ غِيْبَةٌ مُحَرَّمَةٌ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي وَرَدَتْ فِيهِ النُّصُوصُ، وَفِي ذَلِكَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} وَالْمُرَادُ: إِشَاعَةُ الْفَاحِشَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِ الْمُسْتَتِرِ فِيهَا وَقَعَ مِنْهُ، أَوْ اتَّهَمَ بِهِ وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْهُ، كَمَا فِي قِصَّةِ الْإِفْكِ. وَمِثْلُ هَذَا لَوْ جَاءَ تَائِبًا نَادِمًا وَأَقْرَبَ بِحَدٍّ، وَلَمْ يُفَسِّرْهُ، لَمْ يُسْتَفْسَرْ، بَلْ يُؤْمَرُ بِأَنْ يَرْجِعَ وَيَسْتُرَ نَفْسَهُ، كَمَا أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاعِزًا وَالْغَامِدِيَّةَ، وَكَمَا لَمْ يُسْتَفْسَرْ الَّذِي قَالَ: " أَصَبْتُ حَدًّا، فَأَقِمُّهُ عَلَيَّ " . وَمِثْلُ هَذَا لَوْ أَخَذَ بِجَرِيمَتِهِ، وَلَمْ يَبْلُغِ الْإِمَامَ، فَإِنَّهُ يُشْفَعُ لَهُ حَتَّى لَا يَبْلُغَ الْإِمَامَ.**

❖ والثاني: مَنْ كَانَ مُشْتَهَرًا بِالْمَعَاصِي، مُعْلَنًا بِهَا لَا يُبَالِي بِمَا ارْتَكَبَ مِنْهَا، وَلَا بِمَا قِيلَ لَهُ فَهَذَا هُوَ الْفَاجِرُ الْمُعْلَنُ، وَلَيْسَ لَهُ غِيْبَةٌ، كَمَا نَصَّ عَلَى ذَلِكَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَغَيْرُهُ، وَمِثْلُ هَذَا لَا بَأْسَ بِالْبَحْثِ عَنْ أَمْرِهِ لِتَقَامَ عَلَيْهِ الْحُدُودُ. وَاسْتَدَلَّ بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَعْدُ يَا أُتَيْسُ عَلَى امْرَأَةٍ هَذَا، فَإِنْ اعْتَرَفَتْ، فَارْجُئِهَا». وَمِثْلُ هَذَا لَا يُشْفَعُ لَهُ إِذَا أُخِذَ، وَلَوْ لَمْ يَبْلُغِ السُّلْطَانُ، بَلْ يُتْرَكُ حَتَّى يَقَامَ عَلَيْهِ الْحُدُودُ لِيَنْكَفَّ شَرُّهُ، وَيَرْتَدِعَ بِهِ أَمْثَالُهُ. (١)

❧ من فوائد (الستر)

- (١) السَّتر صفة في الإنسان يحبها الله - عزَّ وجلَّ -.
- (٢) إنَّ من مقتضى أسماؤه الحسنَى السَّتر فهو سَتِيرٌ يحبُّ أهل السَّتر.
- (٣) العبد إذا فعل المعصية واسترجع ستره الله في الدُّنيا وذكره بها في الآخرة ثمَّ عفا عنه.
- (٤) السَّاتر لعيوب نفسه يسلم من ألسنة النَّاسِ وسخط الله - عزَّ وجلَّ -.
- (٥) من ستر عيب غيره ستره الله في الدُّنيا والآخرة.
- (٦) قد يؤدِّي ستر عيوب النَّاسِ إلى المحبَّة والتَّعاطف بينهم.
- (٧) كتم الأسرار نوع من السَّتر يحمدها عليها صاحبها من النَّاسِ ومن الله سبحانه.

السبعون من شعب الإيمان

الصَّبْرُ عَلَى الْمَصَائِبِ وَعَمَّا تَنْزِعُ النَّفْسُ إِلَيْهِ مِنْ لَذَّةٍ وَشَهْوَةٍ

لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ}

عَنْ مُجَاهِدٍ وَغَيْرِهِ أَنَّهُ أَرَادَ بِالصَّبْرِ الصَّوْمَ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّمَا يُؤَقِّبُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} الزمر ١٠

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٦ / ٥٧٢) - جامع العلوم والحكم ت الأرئووط (٢ / ٢٩١)

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَبَلُّوْكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾. البقرة ١٥٥ الى ١٥٧

وَلِحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "فِي الصَّحِيحَيْنِ" قَالَ: إِنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدْخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ يُعَفِّهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ» وَحَدِيثِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "فِي الصَّحِيحَيْنِ" قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ، وَهُوَ يُوعَكُ وَعَكًا شَدِيدًا، وَقُلْتُ: إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعَكًا شَدِيدًا، قُلْتُ: إِنَّ ذَاكَ بِأَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ قَالَ: «أَجَلٌ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَدَى إِلَّا حَاتَّ اللَّهُ عَنْهُ خَطَايَاهُ، كَمَا تَحَاتُّ وَرَقُ الشَّجَرِ»

◀ قوله : الصَّبْرُ على المصائب .

تعريف الصبر لغة : هو المنع والحبس .

وشرعاً : هو حبس النفس عن الجزع، واللسان عن التشكى، والجوارح عن لطم الحدود وشق الجيوب، ونحوهما .

وقال ابن تيمية: الصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه .

* أقسام الصبر وقال ابن القيم: الصبر باعتبار متعلّقه ثلاثة أقسام:

١/ صبر الأوامر والطاعات حتّى يؤدّيها.

٢/ صبر عن المناهي والمخالفات حتّى لا يقع فيها.

٣/ صبر على الأقدار والأقضية حتّى لا يتسخطّها .

وَمَنْ اسْتَكْمَلَ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ الثَّلَاثَ، اسْتَكْمَلَ الصَّبْرَ. وَلِذَلِكَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ وَنَعِيمُهَا، وَالْفَوْزُ وَالظَّفَرُ فِيهَا، لَا يَصِلُ إِلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا عَلَى جِسْرِ الصَّبْرِ، كَمَا لَا يَصِلُ أَحَدٌ إِلَى الْجَنَّةِ إِلَّا عَلَى الصِّرَاطِ، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خَيْرُ عَيْشٍ أَدْرَكْنَاهُ بِالصَّبْرِ. (١)

❦ قَوْلُهُ: {وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ}

قال العثيمين :

أي استعينوا على أموركم بالصبر، والصلاة؛ و "الاستعانة" هي طلب العون؛ و "الاستعانة بالصبر" أن يصبر الإنسان على ما أصابه من البلاء، أو حُمِّلَ إياه من الشريعة؛ و { الصلاة } هي العبادة المعروفة؛ وتعم الفرض، والنفل..

فالصبر على أداء الواجبات واجب ولهذا قرنه بالصلاة في أكثر من خمس مواضع.

وقرن الصبر بالصلاة لوجوه ثلاثة:

الوجه الأول: أن الصلاة من الصبر؛ لأنها صبر على طاعة الله.

الوجه الثاني: أن الاستعانة بالصبر أشق من الصلاة؛ لأن الصبر مُرٌّ:

الصبر مثل اسمه مُرٌّ مذاقته * * *

لكن عواقبه أحلى من العسل

فهو مُرٌّ يكابده الإنسان، ويعاني، ويصابر، ويتغير دمه حتى من يراه يقول: هذا مريض.

الوجه الثالث: أنه إذا كان مع الصابرين فهو مع المصلين من باب أولى بدليل أنه ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أن الإنسان المصلي يناجي ربه، وأن الله قبل وجهه وهو على عرشه سبحانه وتعالى".

❧ جزاء الصابرين وما أعدّه الله لهم من الأجر :

١- معية الله للصابرين وتكون المعية بمعنى "التوفيق والتأييد والنصرة".

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد - (٤ / ٣٣٣):

لقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}

٢- جزاء الصابرين يكون بغير حساب .

← وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّمَا يُؤْتِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}

قال ابن كثير: قال الأوزاعي: ليس يوزن لهم ولا يكال، إنما يغرف لهم غرفا. وقال ابن جريج:

بلغني أنه لا يحسب عليهم ثواب عملهم قط، ولكن يزدون على ذلك. وقال السدي: يعني: في

الجنة. (١)

← وَلِحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "فِي الصَّاحِحَيْنِ" قَالَ: إِنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا

رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفَدَ مَا

عِنْدَهُ، فَقَالَ: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدْخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ يُعَفِّهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ

يُغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»

قال ابن حجر :

وقوله : "ومن يتصبر" أي يعالج نفسه على ترك السؤال ويصبر إلى أن يحصل له الرزق وقوله:

يصبره الله "أي فإنه يقويه ويمكنه من نفسه حتى تنقاد له ويدعن لتحمل الشدة فعند ذلك يكون

الله معه فيظفره بمطلوبه وقال بن الجوزي لما كان التعفف يقتضي ستر الحال عن الخلق وإظهار

الغنى عنهم فيكون صاحبه معاملا لله في الباطن فيقع له الربح على قدر الصدق في ذلك وإنما

جعل الصبر خير العطاء لأنه حبس النفس عن فعل ما تحبه وإلزامها بفعل ما تكره في العاجل مما

لو فعله أو تركه لتأذى به في الآجل.

وقال بن التين: معنى قوله: "يعفه الله" إما أن يرزقه من المال ما يستغني به عن السؤال وإما أن

يرزقه القناعة. (٢) والله أعلم

(١) تفسير القرآن للعثيمين - (٣ / ١١٠) - تفسير ابن كثير - (٧ / ٨٩)

(٢) فتح الباري - ابن حجر - (١١ / ٣٠٤)

«وَحَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيهِمَا أَيْضًا قَالَ: "دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَوْعُكَ وَعَكَا شَدِيدًا....."

"الْوَعُكَ" بِفَتْحِ الْوَاوِ وَسُكُونِ الْعَيْنِ الْمُهِمْلَةِ الْحُمَّى وَقَدْ تَفَتْحَ وَقِيلَ أَلَمْ الْحُمَّى وَقِيلَ تَعَبُهَا وَقِيلَ إِرْعَادُهَا الْمُوْعُوكَ وَتَحْرِيكُهَا إِيَّاهُ.

قال ابن بطلال :

خص الله أنبياءه الأوجاع والأصواب لما خصهم به من قوة اليقين وشدة الصبر والاحتساب ليكمل لهم الثواب ويتم لهم الأجر وذكر عبد الرزاق من حديث أبي سعيد الخدري: (أن رجلا وضع يده على النبي فقال: والله ما أطيق أن أضع يدي عليك من شدة حماك. فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (إنا معشر الأنبياء يضاعف لنا البلاء كما يضاعف لنا الأجر، إن كان النبي من الأنبياء لبيتلى بالقمل حتى يقتله، وإن كان النبي من من الأنبياء لبيتلى بالفقر حتى يأخذ العباءة فيجوبها، وإن كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء) . وقد بوب البخاري باب أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فقد روى هذا اللفظ عن النبي عليه السلام مصعب ابن سعد، عن أبيه قال: (يارسول الله، أى الناس أشد بلاء. قال: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبًا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلى على حسبه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشى على الأرض وما عليه خطيئة). (١)

قال الشيخ العثيمين :

فحديث ابن عباس يذكر أنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك أي فيه شدة فمد يده فقال له إنك لتوعك يا رسول الله قال أجل إنني لأوعك كما يوعك الرجلان منكم أي يشدد عليه صلى الله عليه وسلم في المرض وذلك من أجل أن ينال أعلى درجات الصبر صلى الله عليه

(١) شرح صحيح البخارى لابن بطلال (٩/ ٣٧٥)

وسلم فإن أنواع الصبر ثمانية في حقه على الوجه الأعلى فقد صبر على أمر الله، وصبر عن معاصي الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة صلى الله عليه وسلم .

صبر على أمر الله: حين بلغ رسالة ربه مع شدة الإيذاء له حتى كان يؤذى في وسط البيت الحرام وهو صابر محتسب حتى إنه خرج إلى أهل الطائف ودعاهم إلى الله عز وجل ولكنهم استهزءوا به وسخروا منه وجعلوا يرمونه بالحجارة حتى أدموا عقبه فلم يفتق إلا وهو في قرن الثعالب ثم جاءه ملك الجبال يستأذنه أن يطبق عليهم الأخشبين فقال: " لا إني أستأني بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً " فهذا صبر على أمر الله .

وصبر صلى الله عليه وسلم عنه معصية الله: فكان أخشى الناس لله وأتقاهم له .

قال الطيبي :

شبه حالة المريض وإصابة المرض جسده ثم محو السيئات عنه سريعاً بحالة الشجر وهبوب الرياح الخريفية وتناثر الأوراق منها وتجردها عنها فهو تشبيه تمثيل. (١)

الحادي والسبعون من شعب الإيمان

الرَّهْدَ وَقَصْرَ الْأَمَلِ

لَقَوْلِهِ تَعَالَى { فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا } مُحَمَّدٌ ١٨

وَلِحَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَسَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا " فِي الصَّحِيحَيْنِ " بَعَثَ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ وَأَشَارَ بِأُصْبُعَيْهِ السَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى "

وَحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي " صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ " : (نَعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ).

(١) شرح رياض الصالحين (٤ / ٥٠٣) - مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح - (٥ / ٤٦٦)

وَحَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ " فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ " ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا ، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنَى إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ » وَفِي حَدِيثِ ابْنِ بَشَّارٍ : «لَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ»

◀ قوله : الزَّهْد .

تعريف الزهد لغة: تدلّ مادّة «زهد» على القلّة في كلّ شيء .

قيل: هو ترك راحة الدّنيا طلباً لراحة الآخرة .

◀ قصر الأمل .

قصر: بكسر قاف ففتح صاد وفي نسخة بضم فسكون أي اقتصار الأمل والاستعداد للأجل بالمسارعة إلى التوبة والعلم والعمل .

الأمل: قال القرطبي: الحرص على الدّنيا والانكباب عليها، والحبّ لها والإعراض عن الآخرة .

وقال المناوي: الأمل: توقّع حصول الشّيء، وأكثر ما يستعمل فيما يستبعد حصوله . أمّا طول

الأمل: فهو الاستمرار في الحرص على الدّنيا ومداومة الانكباب عليها مع كثرة الإعراض عن الآخرة .

مسألة: الفرق بين الزهد وبين الورع ؟

قال ابن القيم: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول :

أن الزهد : ترك ما لا ينفع في الآخرة . والورع: ترك ما يخشى ضرره في الآخرة .

وهذه العبارة من أحسن ما قيل في الزهد والورع وأجمعها .

والقلب المعلق بالشهوات لا يصح له زهد ولا ورع . وقال سفيان الثوري : الزهد في الدنيا قصر

الأمل ليس بأكل الغليظ ولا لبس العباء .

فائدة: قال ابن القيم:

كلما فكر في قصر الأمل وضيق الوقت أورثه ذلك الجد والاجتهاد وبذل الوسع في اغتنام الوقت وهذه الأفكار تعلی همته وتحییها بعد موتها وسفولها وتجعله في واد والناس في واد. (١)

مسألة: الفرق بين الأمل والطمع والرجاء:

قال المناوي: من عزم على سفر إلى بلد بعيد يقول أملت الوصول ولا يقول طمعت، لأن الطمع لا يكون إلا في القريب، والأمل في البعيد، والرجاء بينهما، لأن الرّاجي يخاف ألا يحصل مأموله.

◀ قوله: لَقَوْلِهِ تَعَالَى {فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً}

قال ابن كثير:

وقوله تعالى: {فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً} أي وَهُمْ غَافِلُونَ عَنْهَا فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا أي أمارات اقترابها كقوله تبارك وتعالى: هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى أَزِفَتِ الْآزِفَةُ [النجم: ٥٦ - ٥٧] وكقوله جلت عظمتة: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ [القمر: ١] فَبِعِثَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، لِأَنَّهُ خَاتَمَ الرُّسُلِ الَّذِي أَكْمَلَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ الدِّينَ وَأَقَامَ بِهِ الْحُجَّةَ عَلَى الْعَالَمِينَ.

وقد أخبر صلى الله عليه وسلم بآمارات السّاعة وأشراطها وأبان عن ذلك وأوضحه بما لم يؤت به نبي قبله، وقال الحسن البصري: بعثه محمد صلى الله عليه وسلم من أشراط السّاعة وهو كما قال ولهذا جاء في أسائه صلى الله عليه وسلم أنه نبي التوبة ونبي الملحمة، والحاشر الذي يحشر الناس على قدميه، والعاقب الذي ليس بعده نبي. (٢)

◀ "بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى"

(١) مدارج السالكين - (٢ / ١٠) - الفوائد - (١ / ١٩٨)

(٢) تفسير ابن كثير ط العلمية (٧ / ٢٩١)

قال النووي : " بعثت أنا والساعة كهاتين "

قال القاضي يحتمل أنه تمثيل لمقاربتها وأنه ليس بينهما أصبع أخرى كما أنه لا نبي بينه وبين الساعة ويحتمل أنه لتقريب ما بينهما من المدة وأن التفاوت بينهما كنسبة التفاوت بين الأصبعين تقريبا لا تحديدا. (١)

◀ قوله : (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصَّحَّة والفراغ).

والمعنى لا يعرف قدر هاتين النعمتين كثير من الناس حيث لا يكسبون فيهما من الأعمال كفاية ما يحتاجون إليه في معادهم فيندمون على تضييع أعمارهم عند زوالها ولا ينفعهم الندم قال تعالى : "ذلك يوم التغابن التغابن "

وقال : "ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها "

وفي حاشية السيوطي رحمه الله قال العلماء : "معناه أن الإنسان لا يتفرغ للطاعة إلا إذا كان مكفيا صحيح البدن فقد يكون مستغنيا ولا يكون صحيحا وقد يكون صحيحا ولا يكون مستغنيا فلا يكون متفرغا للعلم والعمل لشغله بالكسب فمن حصل له الأمان وكسل عن الطاعة فهو المغبون أي الخاسر في التجارة مأخوذ من الغبن في البيع اهـ

ويمكن أن يكون الغبن كناية عن فساد حاله وضياع ماله كما قال بعضهم :

إن الشباب والفراغ والجدة * مفسدة للمرء أي مفسدة .

◀ قوله : « إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النَّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنَى إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ » وَفِي حَدِيثِ ابْنِ بَشَّارٍ : «لَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ»

قوله : (خضرة) بفتح الخاء وكسر الضاد المعجمتين أي: حسنة المنظر مزينة في العيون آخذة بمجامع القلوب .

(حلوة) بالضم أي حلوة المذاق صعبة الفراق قال في المطامح فيه استعارة مجازية ومعجزة نبوية فخضرتها عبارة عن زهرتها وحسنها ، وحلاوتها كناية عن كونها محبة للنفوس مزينة للناظرين وهو إخبار عن غيب واقع .

❖ إشكال :

فإن قلت : إخباره عنها بخضرتها وحلاوتها يناقضه إخباره في عدة أخبار بقذارتها وأن الله جعل البول والغائط مثلاً لها ؟

قلت : لا منافاة فإنها جيفة قدرة في رأى البصائر، وحلوة خضرة في رأى الأبصار فذكر ثم أنها جيفة قدرة للتنفير وهنا كونها حلوة خضرة للتحذير فكأنه قال لا تغرنكم بحلاوتها وخضرتها فإن حلاوتها في الحقيقة مرارة وخضرتها ييس .

فلله در كلام المصطفى صلى الله عليه وسلم ما أبدعه. (١)

الثاني والسبعون من شعب الإيمان

الغيرة وترك المذا

لقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ } التَّحْرِيم ٦

وقوله تعالى : { وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ }

ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه في صحيح البخاري : عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ ، وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ »

وحديث أم سلمة رضي الله عنها " فِي الصَّحِيحَيْنِ " : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عِنْدَهَا وَفِي الْبَيْتِ مُحْنَتٌ ، فَقَالَ الْمُحْنَتُ لِأَخِي أُمِّ سَلَمَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ : إِنْ فَتَحَ اللَّهُ لَكُمْ الطَّائِفَ غَدًا ،

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح - (١٥ / ٣٧) - فيض القدير - (١ / ٢٤٣)

أَذْلَكَ عَلَى بِنْتِ غَيْلَانَ، فَإِنَّهَا تُقْبَلُ بِأَرْبَعٍ وَتُدْبَرُ بِثَمَانٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلَنَّ هَذَا عَلَيْكُنَّ»

◀ قوله : الغيرة

(الغيرة) بفتح الغين المعجمة وسكون التحتية بعدها راء . مشتقة من تغير القلب وهيجان الغضب بسبب المشاركة فيها به الاختصاص وأشد ما تكون ما بين الزوجين .

قال الراغب : الغيرة ثوران الغضب حماية على الحرام وأكثر ما يراعى في النساء .

◀ لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ}

قال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا} يَقُولُ: أَدَّبُوهُمْ، عَلِمُوهُمْ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: {قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا} يَقُولُ: اْعْمَلُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَاتَّقُوا مَعَاصِيَ اللَّهِ، وَمُرُوا أَهْلِيكُمْ بِالذِّكْرِ، يُنَجِّيْكُمْ اللَّهُ مِنَ النَّارِ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: {قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا} قَالَ: اتَّقُوا اللَّهَ، وَأَوْصُوا أَهْلِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: يَأْمُرُهُمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَأَنْ يَقُومَ عَلَيْهِمْ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَيَأْمُرُهُمْ بِهِ وَيُسَاعِدُهُمْ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ مَعْصِيَةً، قَدَعْتَهُم عَنْهَا وَزَجَرْتَهُمْ عَنْهَا.

وَهَكَذَا قَالَ الضَّحَّاكُ وَمُقَاتِلٌ: حَقٌّ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُعْلَمَ أَهْلُهُ، مِنْ قَرَابَتِهِ وَإِمَائِهِ وَعَبِيدِهِ، مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَمَا نَهَاَهُمُ اللَّهُ عَنْهُ.

وَفِي مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ سَبْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مُرُوا الصَّبِيَّ بِالصَّلَاةِ إِذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ، فَإِذَا بَلَغَ عَشْرَ سِنِينَ فَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا" .

قَالَ الْفُقَهَاءُ: وَهَكَذَا فِي الصَّوْمِ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ تَمَرِينًا لَهُ عَلَى الْعِبَادَةِ، لِكَيْ يَبْلُغَ وَهُوَ مُسْتَمِرٌّ عَلَى الْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ وَمُجَانِبَةِ الْمُعْصِيَةِ وَتَرْكِ الْمُنْكَرِ، وَاللَّهُ الْمَوْفَّقُ.

وَقَوْلُهُ: {وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} {وَقُودُهَا} أَي: حَطَبُهَا الَّذِي يُلْقَى فِيهَا جُثَثُ بَنِي آدَمَ. {وَالْحِجَارَةُ} قِيلَ: الْمُرَادُ بِذَلِكَ الْأَصْنَامُ الَّتِي كَانَتْ تُعْبَدُ لِقَوْلِهِ: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ} [الأنبياء: ٩٨].

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَمُجَاهِدٌ وَأَبُو جَعْفَرٍ الْبَاقِرُ، وَالسُّدِّيُّ: هِيَ حِجَارَةٌ مِنْ كِبْرِيَتْ -زَادَ مُجَاهِدٌ: أَنْتَنُ مِنَ الْخِيفَةِ.

❧ وَقَوْلُهُ تَعَالَى {وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ}

قال ابن كثير :

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ أَيَّ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِنَّ مِنَ النَّظَرِ إِلَى غَيْرِ أَزْوَاجِهِنَّ، وَهَذَا ذَهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى الرِّجَالِ الْأَجَانِبِ بِشَهْوَةٍ وَلَا بِغَيْرِ شَهْوَةٍ أَصْلًا.

مسألة: حكم نظر المرأة إلى الرجال الأجانب؟

اختلف أهل العلم إلى أقوال :

❧ ذَهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى الرِّجَالِ الْأَجَانِبِ بِشَهْوَةٍ وَلَا بِغَيْرِ شَهْوَةٍ أَصْلًا.

وَاحتجَّ كَثِيرٌ مِنْهُمْ بِالآيَةِ: (قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ) وَبِمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ عَنْ نَبْهَانَ مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّهَا كَانَتْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِيمُونَةُ قَالَتْ فَبَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَهُ أَقْبَلَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَذَلِكَ بَعْدَ مَا أَمَرْنَا بِالْحِجَابِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «اِحْتَجِبَا مِنْهُ» فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ

أَلَيْسَ هُوَ أَعْمَى لَا يُبْصِرُنَا وَلَا يَعْرِفُنَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَوْ عَمِيَاوَانِ أَنْتُمَا؟ أَلَسْتُمَا تُبْصِرَانِهِ» .

وأجابوا عن حديث عائشة : "أنها كانت تَنْظُرُ إِلَى الْحَبْشَةِ وَهُمْ يَلْعَبُونَ بِحِجَابِهِمْ يَوْمَ الْعِيدِ فِي الْمَسْجِدِ"

بأن عائشة لما نظرت كانت يومئذ غير مكلفة على ما تقتضي به عبارة الحديث . وقد جزم النووي بأن عائشة كانت صغيرة دون البلوغ . لرواية "فَأَقْدَرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السَّنِّ" أو كان ذلك قبل الحجاب .

وَذَهَبَ آخَرُونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ إِلَى جَوَازِ نَظَرِهِنَّ إِلَى الْأَجَانِبِ بِغَيْرِ شَهْوَةٍ :
كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ : "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى الْحَبْشَةِ وَهُمْ يَلْعَبُونَ بِحِجَابِهِمْ يَوْمَ الْعِيدِ فِي الْمَسْجِدِ" وَعَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ تَنْظُرُ إِلَيْهِمْ مِنْ وَرَائِهِ وَهُوَ يَسْتُرُهَا مِنْهُمْ حَتَّى مَلَّتْ وَرَجَعَتْ .

وهذا القول روجه أهل العلم وأجابوا على من قال بالتحريم :

قال ابن حجر :

" حديث عائشة فيه جَوَازِ نَظَرِ الْمَرْأَةِ إِلَى الْأَجَنَبِيِّ بِخِلَافِ عَكْسِهِ وَهِيَ مَسْأَلَةٌ شَهِيرَةٌ وَاخْتَلَفَ التَّرْجِيحُ فِيهَا عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ وَحَدِيثُ عَائِشَةَ يُسَاعِدُ مَنْ أَجَازَ ، وَيَجَابِ عَلَى قَوْلِ النَّوَوِيِّ بِأَنَّ عَائِشَةَ كَانَتْ صَغِيرَةً دُونَ الْبُلُوغِ أَوْ كَانَ قَبْلَ الْحِجَابِ :
لِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ بَعْدَ قُدُومِ وَفْدِ الْحَبْشَةِ وَأَنَّ قُدُومَهُمْ كَانَ سَنَةَ سَبْعٍ ، وَلِعَائِشَةَ يَوْمَئِذٍ سِتُّ عَشْرَةَ سَنَةً ، فَكَانَتْ بِالْعَمَّةِ وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ الْحِجَابِ .

لِأَنَّ وَحُجَّةَ مَنْ مَنَعَ النَّظَرَ بِحَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ الْحَدِيثُ الْمَشْهُورُ "أَفْعَمِيَاوَانِ أَنْتُمَا" هُوَ حَدِيثٌ أَخْرَجَهُ أَصْحَابُ السَّنَنِ "وقد ضعفه العلامة الألباني" .

ويجاب على من صحح الحديث : أن الجمع بين الحديثين احتمال تقدم الواقعة أو أن يكون في قصة الحديث الذي يمنع النساء من رؤيته لكون بن أم مكتوم كان أعمى: " فَلَعَلَّهُ كَانَ مِنْهُ شَيْءٌ يَنْكَشِفُ وَلَا يَشْعُرُ بِهِ " .

وَيَقْوَى الْجَوَازُ: اسْتِمْرَارُ الْعَمَلِ عَلَى جَوَازِ خُرُوجِ النِّسَاءِ إِلَى الْمَسَاجِدِ وَالْأَسْوَاقِ وَالْأَسْفَارِ مُتَتَابِعَاتٍ لِنَلَا يَرَاهُنَّ الرِّجَالُ وَلَمْ يُؤْمَرْ الرِّجَالُ قَطُّ بِالِانْتِقَابِ لِنَلَا يَرَاهُمُ النِّسَاءُ .

والصحيح : أن نظر المرأة إلى وجه الرجل الأجنبي فإن كان بشهوة فحرام بالاتفاق . (١)
 لقوله : « إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ ، وَغَيْرُهُ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ »
 ورواية لمسلم : « الْمُؤْمِنُ يَغَارُ ، وَاللَّهُ أَشَدُّ غَيْرًا » ،

قوله : إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ : " صفة الغيرة لله " الواجب إثباتها على الحقيقة اللاتقة به سبحانه كسائر صفاته من غير تكيف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل .

للهم قال الشيخ العثيمين :

وفي هذا الحديث : إثبات الغيرة لله تعالى ، وسبيل أهل السنة والجماعة فيه وفي غيره من آيات الصفات وأحاديث الصفات أنهم يثبتونها لله _ سبحانه وتعالى _ على الوجه اللائق به ، يقولون : " إن الله يغار لكن ليس كغيرة المخلوق ، وأن الله يفرح ولكن ليس كفرح المخلوق ، وأن الله _ سبحانه وتعالى _ له من الصفات الكاملة ما يليق به ، ولا تشبه صفات المخلوقين (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)

والغيرة صفة حقيقية ثابتة لله _ عز وجل _ ولكنها ليست كغيرتنا ، بل هي أعظم وأجل ، والله _ سبحانه وتعالى _ بحكمته أوجب على العباد أشياء ، وحرم عليهم أشياء ، وأحل لهم أشياء . فما أوجبه عليهم فهو خير لهم في دينهم ودنياهم ، وفي حاضرهم ومستقبلهم ، وما حرمه عليهم فإنه

(١) فتح الباري لابن حجر (٩ / ٣٣٦)

شرهم في دينهم ودنياهم، وحاضرهم ومستقبلهم، فإذا حرم الله علي عباده أشياء فانه _ عز وجل _ يغار أن يأتي الإنسان محارمه، وكيف يأتي الإنسان محارم ربه والله _ سبحانه وتعالى _ إنما حرمها من أجل مصلحة العبد، أما الله _ سبحانه وتعالى _ فلا يضره إن يعصي الإنسان ربه، لكن يغار كيف يعلم الإنسان إن الله سبحانه حكيم، ورحيم، ولا يحرم علي عباده شيئاً بخلا منه عليهم به، ولكن من أجل مصلحتهم، ثم يأتي العبد فيتقدم فيعصي الله _ عز وجل _ ولا سيما في الزنا _ نسأل الله العافية _ فانه ثبت عن النبي صلي الله عنه وسلم انه قال: ((ما أحد أغير من الله أن يزني عبده أو يزني أمته)) لأن الزنا فاحشة، والزنا طريق سافل سيئ، ومن ثم حرم الله على عباده الزنا وجميع وسائله، كما قال الله سبحانه: (وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) فإذا زني العبد _ والعياذ بالله _ فان الله يغار غيره أشد وأعظم من غيرته على ما دونه من المحارم. وكذلك أيضا _ ومن باب أولى وأشد _ اللواط. وكذلك السرقة وشرب الخمر وكل المحارم يغار الله منها، لكن بعض المحارم تكون أشد غيره من بعض، حسب الجرم. (١)

«وَحَدِيثُ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا "فِي الصَّحِيحَيْنِ": أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عِنْدَهَا وَفِي الْبَيْتِ مُخَنَّثٌ، فَقَالَ الْمُخَنَّثُ لِأَخِي أُمِّ سَلَمَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: إِنَّ فَتَحَ اللَّهُ لَكُمْ الطَّائِفَ غَدًا، أَذَلِكَ عَلَى بِنْتِ غِيلَانَ، فَإِنَّهَا تُقْبَلُ بِأَرْبَعٍ وَتُدْبِرُ بِثَمَانٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلَنَّ هَذَا عَلَيْكُنَّ»

قال النووي : قال أهل اللغة " المخنث " هو بكسر النون وفتحها وهو الذي يشبه النساء في أخلاقه، وكلامه، وحركاته، وتارة يكون هذا خلقه من الأصل وتارة بتكلف .

وقال المهلب :إنما حجبته عن الدخول إلى النساء لما سمعه يصف المرأة بهذه الصفة التي تهيج قلوب الرجال فمنعه لئلا يصف الأزواج للناس فيسقط معنى الحجاب. انتهى

ويقال: إنما كان يدخل عليهن لأنهن يعتقدنه من غير أولى الإربة فلما وصف هذا الوصف دل على أنه من أولى الإربة فاستحق المنع لدفع فساده وغير أولى الإربة هو الأبله العنين الذي لا يفتن بمحاسن النساء.

قوله: "تُقْبَلُ بِأَرْبَعٍ وَتُدْبَرُ بِثَمَانٍ"

إن سعداً خطبَ امرأةً بمكة وهي بنتُ غَيْلَانَ الثَّقَفِيَّةِ التي قيل فيها: "تُقْبَلُ بِأَرْبَعٍ وَتُدْبَرُ بِثَمَانٍ" وكانت تحتَ عبد الرحمن بن عوف. فقيل: إنَّهَا تَمْشِي عَلَى سِتٍّ إِذَا أَقْبَلَتْ وَعَلَى أَرْبَعٍ إِذَا أُدْبِرَتْ، يعني بالسَّتِ يَدَيهَا وَتَدْيِيهَا وَرِجْلَيْهَا: أي أنها لعِظَمِ تَدْيِيهَا وَيَدَيهَا كأنها تَمْشِي مُكَبَّةً. والأربعُ رجلاها وألْيَتَاهَا وأنها كادتَا تَمْسَانِ الأَرْضَ لعِظَمِهَا. (١)

ومن الأدلة استحباب الغيرة:

عَنْ قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَصَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصَفِّحٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ لَأَنَا أَغَيْرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَغَيْرُ مِنِّي» رواه البخاري.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، مَا أَحَدٌ أَغَيْرَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَرَى عَبْدَهُ أَوْ أُمَّتَهُ تَزْنِي، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَصَحَحْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا» رواه البخاري.

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي الزُّبَيْرُ، وَمَا لَهُ فِي الْأَرْضِ مِنْ مَالٍ وَلَا مَمْلُوكٍ، وَلَا شَيْءٍ غَيْرِ نَاضِحٍ وَغَيْرِ فَرَسِهِ، فَكُنْتُ أَعْلِفُ فَرَسَهُ وَأَسْتَقِي الْمَاءَ، وَأَخْرِزُ غَرْبَهُ وَأَعْجِنُ، وَلَمْ أَكُنْ أَحْسَنُ أَخْبِرُ، وَكَانَ يُخْبِزُ جَارَاتِي مِنَ الْأَنْصَارِ، وَكُنَّ نِسْوَةَ صَدِيقٍ، وَكُنْتُ أَثْقُلُ النَّوَى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ الَّتِي أَقْطَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَأْسِي، وَهِيَ مِنِّي عَلَى ثُلَاثِي فَرَسَخٍ، فَجِئْتُ يَوْمًا وَالنَّوَى عَلَى رَأْسِي، فَلَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ نَقَرٌ مِنْ

الأنصار، فدعاني ثم قال: «إخ إخ» ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته وكان أغير الناس، فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنني قد استحييت فمضى، فحجنت الزبير فقلت: لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى رأسي النوى، ومعه نفر من أصحابه، فأناخ لأركب، فاستحييت منه وعرفت غيرتك، فقال: والله لحملك النوى كان أشد علي من ركوبك معه، قالت: حتى أرسل إلي أبو بكر بعد ذلك بخادم تكفيني سياسة الفرس، فكأنما أعتقني "متفق عليه .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " دخلت الجنة أو أتيت الجنة، فأبصرت قصراً، فقلت: لمن هذا؟ قالوا: لعمر بن الخطاب، فأردت أن أدخله، فلم يمنعني إلا علمي بغيرتك " قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي يا نبي الله، أوعليك أغار؟

وفي رواية: "فوليت مديراً " فبكي عمر وهو في المجلس ثم قال: أوعليك يا رسول الله أغار؟ "متفق عليه.

الثالث والسبعون من شعب الإيمان

الإعراض عن اللغو

لقوله تعالى: { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ

مُعْرِضُونَ } { الْمُؤْمِنُونَ ١ - إلى ٣

وقوله تعالى: { وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا } الفرقان ٧٢

وقوله تعالى: { وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ } القصص ٥٥

واللغو: الباطل الذي لا يعنيه ولا يتصل بقصد صحيح ولا يكون لقائه فيه فائدة وربها كان وبالأعلى عليه.

ولحديث عليّ بن الحسين رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ».

◀ قوله : الإعراض عَنِ اللُّغُو.

قال المناوي: اللُّغو: ما تسبق إليه الألسنة من القول على غير عزم قصد إليه.

وقال الجرجاني: اللُّغو: ضمّ الكلام ما هو ساقط العبرة منه، وهو الذي لا معنى له في حقّ ثبوت الحكم. (١).

ويقال: لغا في كلامه يلغو إذا أتى بكلام لا فائدة فيه.

◀ لقوله تعالى: { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللُّغُو مُعْرِضُونَ }

قال الشنقيطي: ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن من صفات المؤمنين المفلحين: إعراضهم عن اللغو. وأصل اللغو ما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال، فيدخل فيه اللعب واللهو والهزل، وما توجب المروءة تركه.

فعن عبد الله بن أبي أوفى - رضي الله عنهما - قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم "يكثّر الذّكر، ويقلّ اللّغو، ويطيّل الصّلاة، ويقصّر الخطبة، ولا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي له الحاجة" وصححه الألباني صحيح سنن النسائي (٢)

◀ وقوله تعالى: { وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللُّغُو مَرًُّا كِرَامًا }

قال ابن كثير : وهذه من صفات عباد الرحمن، أنهم: { لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ } قيل: هو الشرك وعبادة الأصنام. وقيل: الكذب، والفسق، واللغو، والباطل.

(١) راجع نضرة النعيم

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - (٢٦ / ٣)

وقال محمد بن الحنفية: هو اللهو والغناء.

وقال أبو العالية، وطاوس، ومحمد بن سيرين، والضحاك، والربيع بن أنس، وغيرهم: هي أعياد المشركين .

وقال عمرو بن قيس: هي مجالس السوء والخطا. وقيل: المراد بقوله تعالى: { لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ } أي: شهادة الزور، وهي الكذب متعمدا على غيره. (١)

قوله (والذين لا يشهدون الزور)

قال ابن حجر :

﴿ وأولى الأقوال : أن المراد به مدح من لا يشهد شيئا من الباطل والله أعلم . وأن الراجح أن المراد به في الآية الباطل والمراد لا يحضرونه وفيه التحريض على مجانبة كبائر الذنوب ليحصل تكفير الصغائر بذلك كما وعد الله عز وجل . . أھـ

كما حث الشارع على حضور حلق الذكر نفر عن مجالسة الكذابين ومجالس الخاطئين بقوله * (والذين لا يشهدون الزور) * فلا ينبغي حضورها ولا قريبتها

تنزهها عن مخالطة الشر وأهله وصيانة لدينه عما يشينه . (٢)

﴿ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : { وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ }

قال ابن كثير : أي: إذا سَفِه عليهم سَفِيه، وكلمهم بما لا يليقُ بهم الجوابُ عنه، أَعْرَضُوا عنه ولم يقابلوه بمثله من الكلام القبيح، ولا يصدر عنهم إلا كلام طيب.

(١) تفسير ابن كثير - (٦ / ١٣٠)

(٢) فتح الباري - ابن حجر - (٥ / ٢٦١) فيض القدير - (١ / ٥٦٧)

ولهذا قال عنهم: إنهم قالوا: { لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ } أي: لا نريد طريق الجاهلين ولا نُحِبُّهَا.

◀ قوله ... «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ». صححه الألباني .

قال الشيخ العثيمين :

وهذا الحديث على وجازة ألفاظه يعده بعض العلماء نصف الإسلام، وبعضهم يقول: هو الإسلام، وبعضهم يقول: ربع الإسلام؛ لأنه من جوامع الكلم التي خص بها النبي صلى الله عليه وسلم؛ فمع قصر ألفاظه، وقلة كلماته، اشتمل على آداب الإسلام .

الرَّابِعَ وَالسَّبْعُونَ مِنْ شَعْبِ الْإِيمَانِ

الْجُودُ وَالسَّخَاءُ

لِقَوْلِهِ تَعَالَى: { وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ } آل عمران ١٣٣ الى ١٣٤ وَغَيْرَهَا مِنَ الْآيَاتِ وَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي عَكْسِهِ: { الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا } النَّسَاءِ

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: { وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّهُ يَبْخُلْ عَنْ نَفْسِهِ } مُحَمَّد ٣٨

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: { وَمَنْ يُوقْ شَحْ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمَفْلَحُونَ } الْحُشْر ٩ وَغَيْرَهَا مِنَ الْآيَاتِ وَلِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ: " مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُتَمِسِكًا تَلَفًا "

قوله: الْجُودُ وَالسَّخَاءُ

"الجود": وهو مأخوذ من مادة (ج ود) التي تدل على التَّسَمُّح بالشَّيء وكثرة العطاء، وقال الزَّبيدي: الجواد: هو الذي يعطي بلا مسألة صيانة للآخذ من ذلِّ السَّؤال.

وما الجود من يعطي إذا ما سألته ولكن من يعطي بغير سؤال

"السَّخَاءُ": وهو مأخوذ من مادة (س خ ي) التي تدل كما يقول ابن فارس على اتساع في الشيء وانفراج فيه.

وقيل: السَّخَاءُ هو الجود والكرم، ومن ثم يكون السَّخِيُّ هو الجواد الكريم.

واصطلاحاً: قال الماوردي - رحمه الله تعالى -: حدّ السَّخَاءُ: بذل ما يحتاج إليه عند الحاجة، وأن يوصل إلى مستحقّه بقدر الطّاقة. (١)

وقال ابن حجر - رحمه الله تعالى -: السَّخَاءُ: بمعنى الجود، وهو بذل ما يقتنى بغير عوض.

وقال الجاحظ: السَّخَاءُ بذل المال من غير مسألة ولا استحقاق، وهذا الفعل مستحسن ما لم ينته إلى السَّرَف والتَّبذير؛ فإن من بذل جميع ما يملكه لمن لا يستحقّه لم يسمَّ سخياً بل يسمّى مبدّراً مضيّعاً.

✽ أنواع السخاء ودرجاته:

والسَّخَاءُ نوعان:

١/ فأشرفها سخاؤك عمّا بيد غيرك، ٢/ والثاني سخاؤك ببذل ما في يدك،

فقد يكون الرّجل من أسخى النّاس، وهو لا يعطيهم شيئاً لأنّه سخا عمّا في أيديهم، وهذا معنى قول بعضهم:

السَّخَاءُ أن تكون بمالك متبرّعا وعن مال غيرك متورّعا.

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -:

إذا كان السَّخَاءُ محموداً فمن وقف على حدّه سمّي كريماً وكان للحمد مستوجبا، ومن قصّر عنه كان بخيلاً وكان للذمّ مستوجبا.

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - (٦ / ٢٢٥٢)

مسألة : الفرق بين السخاء والجود:

قال أبو هلال العسكري: الفرق بين السخاء والجود أنَّ السخاء هو أن يلين الإنسان عند السؤال ويسهل إعطائه للسائل من قولهم سخوت النار إذا ألتها ... ولذلك لا يقال لله تعالى: سخي. والجود: كثرة العطاء من غير سؤال، من قولك: جادت السماء إذا جادت بمطر غزير، والله تعالى جواد لكثرة عطائه فيما تقتضيه الحكمة. (١)

﴿لَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ}﴾
قال ابن كثير :

ثم ذكر تعالى صفة أهل الجنة، فقال: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ} أي: في الشدة والرخاء، والمنشط والمكره، والصحة والمرض، وفي جميع الأحوال، كما قال: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً} [البقرة: ٢٧٤]. والمعنى: أنهم لا يشغلهم أمر عن طاعة الله تعالى والإنفاق في مراضيه، والإحسان إلى خلقه من قرابتهم وغيرهم بأنواع البر. (٢)

﴿وَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي عَكْسِهِ: {الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا} النَّسَاء

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنْ نَفْسِهِ} مُحَمَّد ٣٨

﴿وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَنْ يُوقْ شَحْ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمَفْلَحُونَ}

قال السعدي :

ووقاية شح النفس، يشمل وقايتها الشح، في جميع ما أمر به، فإنه إذا وقى العبد شح نفسه، سمحت نفسه بأوامر الله ورسوله، ففعلها طائعا متقادا، منسرحا بها صدره، وسمحت نفسه

(١) الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري (١٦٧).

(٢) تفسير ابن كثير - (٢ / ١١٩)

بترك ما نهى الله عنه، وإن كان محبوباً للنفس، تدعو إليه، وتطلع إليه، وسمحت نفسه ببذل الأموال في سبيل الله وابتغاء مرضاته، وبذلك يحصل الفلاح والفوز، بخلاف من لم يوق شح نفسه، بل ابتلي بالشح بالخير، الذي هو أصل الشر ومادته، فهذان الصنفان، الفاضلان الزكيان هم الصحابة الكرام والأئمة الأعلام، الذين حازوا من السوابق والفضائل والمناقب ما سبقوا به من بعدهم، وأدركوا به من قبلهم، فصاروا أعيان المؤمنين، وسادات المسلمين.

✽ قال ابن القيم: "الفرق بين الشح والبخل"

أن الشح: هو شدة الحرص على الشيء والإحفاء في طلبه والاستقصاء في تحصيله وجشع النفس عليه.

وبالبخل: منع إنفاقه بعد حصوله وحبه وإمسাকে فهو شحيح قبل حصوله بخيل بعد حصوله. فالبخل ثمرة الشح والشح يدعو إلى البخل والشح كامن في النفس فمن بخل فقد أطاع شحه، ومن لم يبخل فقد عصي شحه ووقي شره، وذلك هو المفلح: { ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون }

والسخي: قريب من الله تعالى ومن خلقه ومن أهله وقريب من الجنة وبعيد من النار والبخل بعيد من خلقه بعيد من الجنة قريب من النار فجود الرجل يحبه إلى أضداده وبخله يبغضه إلى أولاده. (١)

❧ ولحديث " مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُتْسِكًا تَلَفًا "

❧ قال ابن حجر:

دعاء الملك بالخلف يحتمل الأمرين، وأما الدعاء بالتلف فيحتمل تلف ذلك المال بعينه أو تلف نفس صاحب المال والمراد به فوات أعمال البر بالتشاغل بغيرها

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٥١) - الوابل الصيب - (١ / ٤٩)

قال النووي : الإنفاق الممدوح ما كان في الطاعات وعلى العيال والضيغان

والتطوعات وقال القرطبي وهو يعم الواجبات والمندوبات لكن الممسك عن المندوبات لا يستحق هذا الدعاء إلا أن يغلب عليه البخل المذموم بحيث لا تطيب نفسه بإخراج الحق الذي عليه .

❦ قال الشيخ العثيمين :

والمراد بذلك من يمسك عما أوجب الله عليه من بذل المال فيه، وليس كل ممسك يدعى عليه بل الذي يمسك ماله عن إنفاقه فيما أوجب الله، فهو الذي تدعو عليه الملائكة بأن الله يتلفه ويتلف ماله .

والتلف نوعان: تلف حسي، وتلف معنوي .

١ - التلف الحسي: أن يتلف المال نفسه بأن يأتيه آفة تحرقه أو يسرق أو ما أشبه ك ٢ - التلف المعنوي: أن تنزع بركته بحيث لا يستفيد الإنسان منه في حياته ومنه ما ذكره النبي عليه الصلاة والسلام حيث قال لأصحابه: أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله ؟ قالوا: يا رسول الله ما منا أحد إلا وماله أحب إليه . (١)



الخامس والسبعون من شعب الإيمان

رحم الصَّغِير وتوقير الكَبِير

لحديث "في صحيح مُسلم" جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»

وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "فِي الصَّاحِحَيْنِ" ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةً جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عَنْهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ

(١) شرح رياض الصالحين

جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاخَمُ الْخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا، خَشْيَةً أَنْ تُصِيبَهُ»

وَحَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَمُسْلِمَ: "مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَلَمْ يَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرَنَا فَلَيْسَ مِنَّا"

وَلِحَدِيثِ الْإِمَامَةِ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ: "إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَدِّنْ لَكُمْ أَحَدَكُمْ، وَلْيُؤَمِّكُمْ أَكْبَرُكُمْ"

◀ قوله : رحم الصَّغِير

الرحمة لغة: تدور مادة (ر ح م) حول معنى الرِّقَّة والعطف والرَّأْفَة، والرَّحْم والمرحمة والرحمة بمعنى. ويقول الجوهري: الرحمة: الرِّقَّة والتَّعَطُّف.

معنى الرحمن الرحيم:

قال ابن الأثير - رحمه الله تعالى -: في أسماء الله تعالى «الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ» وهما اسمان مشتقان من الرَّحْمَة، مثل ندمان ونديم. وهما من أبنية المبالغة ورحمن أبلغ من رحيم. والرَّحْمَنُ خاصٌّ بالله لا يسمَّى به غيره، ولا يوصف. والرَّحِيمُ يوصف به غير الله تعالى، فيقال: رجل رحيم، ولا يقال رحمن. والرَّحْمَة من صفات الذات لله تعالى والرَّحْمَنُ وصف، وصف الله تعالى به نفسه وهو متضمن لمعنى الرَّحْمَة.

وقال الخطَّابي: ذهب الجمهور إلى أن «الرَّحْمَنَ» مأخوذ من الرَّحْمَة. ومعناه ذو الرَّحْمَة لا نظير له فيها.

ثم قال: فالرَّحْمَنُ ذو الرَّحْمَة الشَّامِلَة للخلق، والرَّحِيمُ خاصٌّ بالمؤمنين. قال الله تعالى: وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (الأحزاب / ٤٣).

◀ قوله: عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يَرْحَمُ»

قال العثيمين :

الذي لا يرحم الناس لا يرحمه الله عز وجل والمراد بالناس الذين هم أهل للرحمة كالمؤمنين وأهل الذمة ومن شابههم وأما الكفار الحربيون فإنهم لا يرحمون بل يقتلون لأن الله تعالى في وصف النبي وأصحابه أشداء على الكفار رحماء بينهم وقال تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم { يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير } وكذلك أيضا رحمة الدواب والبهائم فإنها من علامات رحمة الله عز وجل للإنسان لأنه إذا رق قلب المرء رحم كل شيء ذي روح وإذا رحم كل شيء ذي روح رحمه الله قيل يا رسول الله ألنا في البهائم أجر؟ قال نعم "في كل ذات كبد رطبة أجر". (١)

◀ قوله: وحديث أبي هريرة «جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عَنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَأَّحُ الْخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا، خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ»

قال النووي :

قوله صلى الله عليه وسلم (جعل الله الرحمة مائة جزء إلى آخره) هذه الأحاديث من أحاديث الرجاء والبشارة للمسلمين قال العلماء لأنه إذا حصل للإنسان من رحمة واحدة في هذه الدار المبنية على الأكدار الاسلام والقرآن والصلاة والرحمة في قلبه وغير ذلك مما أنعم الله تعالى به فكيف الظن بمائة. (٢)

(١) نضرة النعيم - شرح رياض الصالحين - (١ / ٢٦٢)

(٢) شرح النووي على مسلم - (١٧ / ٦٨)

مسألة: ما أقسام الرحمة المضافة إلى الله؟

ج- نوعان أحدهما مضاف إليه من إضافة المفعول إلى فاعله ومنه ما في الحديث الصحيح احتجت الجنة والنار فذكر الحديث وفيه فقال للجنة إنما أنتي رحمتي أرحم بك من أشاء فهذه رحمة مخلوقة مضافة إليه إضافة المخلوق إلى خالقه وسماها رحمة لأنها خلقت بالرحمة وللرحمة وخص بها أهل الرحمة وإنما يدخلها الرحماء ومنه وقوله صلى الله عليه وسلم خلق الله الرحمة يوم خلقها مائة رحمة كل رحمة منها طباق ما بين السماء والأرض ومنه قوله (ولئن أذقناه رحمة منا) ومن تسميته تعالى للمطر رحمة بقوله (وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته) وقوله (ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة)

والنوع الثاني : مضاف إليه إضافة صفة إلى موصوف وذلك مثل ما في قوله تعالى (إن رحمة الله قريب من المحسنين). (١)

« وحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما "من لم يرحم صَغِيرَنَا وَلَمْ يَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا فَلَيْسَ مِنَّا" »

(ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا) الواو بمعنى أو فالتحذير من كل منهما وحده فیتعين أن يعامل كلا منهما بما يليق به فيعطى الصغير حقه من الرفق به والرحمة والشفقة عليه ويعطى الكبير حقه من الشرف والتوقير .

(ليس منا) يعني من أهل الكمال منا (من لم يرحم صغيرنا) يعني الصغير من المسلمين بالشفقة عليه والإحسان إليه (ويعرف شرف كبيرنا) بما يستحقه من التعظيم والتبجيل عليك برحمة الخلق أجمعين ومراعاتهم كيفما كانوا فإنهم عبيد الله وإن عصوا وخلق الله وإن فضل بعضهم

(١) وراجع الجواب الصحيح لشيخ الاسلام (١٥٩/٢) مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية - (١ / ٣٣)

على بعض فإنك إذا فعلت نجح سعيك وسما جذك قال الحافظ العراقي : ويؤخذ من قوله شرف كبيرنا أنه إنما يستحق الكبير الإكرام إذا كان له شرف بعلم أو صلاح ونسب زكي كالشرف (ليس منا) أي ليس مثلنا (من لم يرحم صغيرنا) لعجزه وبراءته عن قبائح الأعمال وقد يكون صغيراً في المعنى مع تقدم سنه لجهله وغباوته وخرقه وغفلته فيرحم بالتعليم والإرشاد والشفقة (ويؤقر كبيرنا) لما خص به من السبق في الوجود وتجربة الأمور. (١)

«ورويانا في الصحاح في حديث القسامة كبر الكبُر [الكبُر الكبُر] أي يتكلم أكبركم

[الكبُر الكبُر] بضم فسكون بمعنى الأكبر وتكريره للتأكيد وهو منصوب بتقدير عامل أي قدم الأكبر قالوا هذا عند تساويهم في الفضل وأما إذا كان الصغير ذا فضل فلا بأس أن يتقدم روى أنه قدم وفد من العراق على عمر بن عبد العزيز فنظر عمر إلى شاب منهم يريد الكلام فقال عمر كبر فقال الفتى يا أمير المؤمنين أي لبيد الأكبر بالكلام أو قدّموا الأكبر إرشاداً إلى الأدب في تقديم الأسن. (٢)

قال الشيخ عبد المحسن العباد - :

وهذا فيه تنبيه إلى أدب وهو أن الجماعة إذا جاءوا لحاجة وكانت مهمتهم واحدة فإن الكلام يكون للأكبر، إلا إذا اتفقوا على أن يتكلم واحد منهم؛ لأنه قد يكون الأكبر لا يجيد الكلام، أو لا يتمكن من أن يتكلم بالشيء الذي يريدونه، فإذا اختاروا واحداً منهم وهو أصغرهم فإنه لا بأس بذلك، وإلا فإن السنة أن يبدأ الكبير كما أرشد إلى ذلك رسول الله عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث. (٣)

(١) فيض القدير - (٥ / ٤٩٤)

(٢) النهاية في غريب الأثر - (٤ / ٢٤٤) حاشية السندي على النسائي - (٨ / ٩)

(٣) شرح سنن أبي داود (٢٦ / ٩٢)

«وفي حديث "الإمامة" فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيُؤَمِّمْكُمْ أَكْبَرُكُمْ»

قال النووي :

أكبركم فيه الحث على الأذان والجماعة وتقديم الأكبر في الإمامة إذا استووا في باقي الخصال وهؤلاء كانوا مستوين في باقي الخصال لأنهم هاجروا جميعاً وأسلموا جميعاً وصحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولازموه عشرين ليلة فاستووا في الأخذ عنه ولم يبق ما يقدم به إلا السن واستدل جماعة بهذا على تفضيل الإمامة على الأذان لأنه صلى الله عليه وسلم قال يؤذن أحدكم وخص الإمامة بالأكبر ومن قال بتفضيل الأذان وهو الصحيح المختار قال إنما قال يؤذن أحدكم وخص الإمامة بالأكبر لأن الأذان لا يحتاج إلى كبير علم وإنما أعظم مقصوده الإعلام بالوقت والإسراع بخلاف الإمام. والله أعلم (١)

السَّادِسُ وَالسَّبْعُونَ مِنْ شَعْبِ الْإِيمَانِ

إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ

لَقَوْلِهِ تَعَالَى: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} .

النِّسَاء ١١٤

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} أَي: بَيْنَ كُلِّ اثْنَيْنِ مِنْكُمْ.

وَلِحَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، "في صحيح مسلم" أَنَّ أُمَّهُ أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، وَكَانَتْ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأَوَّلِ، اللَّاتِي بَايَعْنَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَخْبَرَتْهُ، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَقُولُ: «لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ،

(١) شرح النووي على مسلم - (٥ / ١٧٥)

وَيَقُولُ خَيْرًا وَيَنْمِي خَيْرًا» قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: وَلَمْ أَسْمَعْ يُرَخَّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبٌ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: الْحَرْبُ، وَالْإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثُ الرَّجُلِ أَمْرَآتَهُ وَحَدِيثُ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا»

قوله : الإِصْلَاح

لغة: وقال ابن منظور: الإِصْلَاح: نقيض الإِفساد.

واصطلاحاً: مأخوذ من الصَّلَح: وهو عقد يرفع النزاع وهو بمعنى المصالحة، وهو المسالمة خلاف المخاصمة، وأصله من الصَّلَاح وهو ضدُّ الفساد.

من أنواع الإِصْلَاح:

إِصْلَاح ذات البين: ومعنى ذات البين:

صاحبة البين، والبين في كلام العرب يأتي على وجهين متضادَّين: فيأتي بمعنى الفراق والفرقة، ويأتي بمعنى الوصل. وإِصْلَاح ذات البين على المعنى الأوَّل:

أما إِصْلَاح ذات البين على المعنى الثاني، فيكون بمعنى إِصْلَاح صاحبة الوصل والتَّحابب والتَّآلف بين المسلمين، وإِصلاحها يكون برأب ما تصدَّع منها، وإزالة الفساد الذي دبَّ إليها بسبب الخصام والتَّنازع على أمر من أمور الدُّنيا . (١)

لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} .

قال الإمام السعدي:

أي: لا خير في كثير مما يتناجى به الناس ويتخاطبون، وإذا لم يكن فيه خير، فإما لا فائدة فيه كفضول الكلام المباح، وإما شر ومضرة محضة كالكلام المحرم بجميع أنواعه.

(١) راجع نظرة النعيم .

ثم استثنى تعالى فقال: {إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ} من مال أو علم أو أي نفع كان، بل لعله يدخل فيه العبادات القاصرة كالتسبيح والتحميد ونحوه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن بكل تسيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة" الحديث.

{أَوْ مَعْرُوفٍ} وهو الإحسان والطاعة وكل ما عرف في الشرع والعقل حسنه، وإذا أطلق الأمر بالمعروف من غير أن يقرن بالنهي عن المنكر دخل فيه النهي عن المنكر، وذلك لأن ترك المنهيات من المعروف، وأيضاً لا يتم فعل الخير إلا بترك الشر. وأما عند الاقتران فيفسر المعروف بفعل المأمور، والمنكر بترك المنهي.

{أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ} والإصلاح لا يكون إلا بين متنازعين متخاصمين، والنزاع والخصام والتغاضب يوجب من الشر والفرقة ما لا يمكن حصره، فلذلك حث الشارع على الإصلاح بين الناس في الدماء والأموال والأعراض، بل وفي الأديان كما قال تعالى: {وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} وقال تعالى: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ} الآية.

وقال تعالى: {وَالصُّلْحُ خَيْرٌ} والساعي في الإصلاح بين الناس أفضل من القانت بالصلاة والصيام والصدقة، والمصلح لا بد أن يصلح الله سعيه وعمله.

كما أن الساعي في الإفساد لا يصلح الله عمله ولا يتم له مقصوده كما قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ}. فهذه الأشياء حيثما فعلت فهي خير، كما دل على ذلك الاستثناء.^(١)

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ " {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ}

قال الله تعالى إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله الحجرات يعني أنكم إن أتقيتم لم تحملكُم التقوى إلا على التواصل والاتلاف والمسارة إلى

(١) تفسير السعدي

إحاطة ما يفرط منه وإن مستقر التقوى ومكانها المضغة التي إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله. (١)

قوله: «لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، وَيَقُولُ خَيْرًا وَيَنْمِي خَيْرًا» قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: وَلَمْ أَسْمَعْ يُرَخَّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبٌ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: الْحُرْبُ، وَالْإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثُ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا»

الشرح :

(ليس الكذاب) أي إثم الكذب من قبيل ذكر الملزوم وإرادة اللام أو معناه: ليس بكثير الكذب (الذي يصلح بين الناس) أي يكذب للإصلاح بين المتباغضين لأن هذا الكذب يؤدي إلى الخير وهو قليل أيضاً .

(فينمي خيراً) بفتح التحتية أي يبلغ خيراً فيه خير يقال نمى الحديث: إذا بلغه على وجه الإصلاح، ونماه بالتشديد: إذا بلغه على وجه الإفساد (أو) شك من الراوي أي شك هل قال: «فينمي خيراً» أو قال (يقول خيراً متفق عليه) رواه البخاري في كتاب الصلح ومسلم في الأدب، وكذا رواه فيه أبو داود والترمذي في البرّ وقال: حسن صحيح، والنسائي في السير. قالت (ولم أسمع) أي النبي (يرخص) بتشديد الخاء المعجمة وبعدها مهملة، من الترخيص، ضد الحظر

(في شيء مما يقول الناس) أي إنه كذب كما هو كذلك في قول الزهري، وحذف قولها كذب هو كذا عند مسلم

(إلا في ثلاث) أي من الخصال (تعني) أي أم كلثوم بتلك الثلاث :

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح - (١٤ / ٢٤١)

- ١- (الحرب) كأن يقول لأعداء الدين: مات كبيركم أولنا جيش كبير يأتينا، أو نحو ذلك مما فيه مصلحة عامة للمسلمين، فيجوز ارتكاب الكذب لعظم النفع.
- ٢- (والإصلاح بين الناس) بأن يقول لزيد مثلاً: رأيت عمرو: يعني عدوه، يحبك ويثني عليك خيراً مما لم يكن ليصلح بينهما ويذهب الشنآن
- ٣- (وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها) كأن يقول أحدهما للآخر لا أحد أحب إليّ منك، فهذا الكذب جائز لعظم المصلحة المترتب عليه على محذور الأخبار بخلاف الواقع. وكذا يجوز الكذب لتخليص محترم، بل يجب على من سئل عن محترم قصد سائله عن إهلاكه أن يخفيه ولو باليمين، وليس في الحديث ما يدل على الحصر. وقال قوم: لا يجوز ذلك إلا بطريق التورية، وهي أن يريد المتكلم بكلامه خلاف ظاهره كأن يقول فعل فلان كذا وينوي إن قدر، ويقول في الحرب: مات كبيركم ويريد بعض المتقدمين منهم. قال الدماميني في «حاشية البخاري»: وليس في الحديث ما يقتضي جواز الكذب، فإنه قال: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس» وسلب الكذب عن المصلح لا يستلزم كون ما يقوله كذباً لجواز أن يكون صدقاً بطريق التصريح أو التعريض اهـ. (١)

قال الشيخ العثيمين :

هذا الحديث الذي ذكره المؤلف حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً)) فالإنسان إذا قصد الإصلاح بين الناس وقال للشخص: إن فلاناً يثني عليك ويمدحك ويدعو لك وما أشبه ذلك من الكلمات، فإن ذلك لا بأس به.

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٣/ ٤٨)

وقد اختلف العلماء في هذه المسألة:

هل المراد أن يكذب الإنسان كذباً صريحاً، أو أن المراد أن يوري؟

بمعنى أن يظهر للمخاطب غير الواقع، لكنه له وجه صحيح، كأن يعني بقوله مثلاً: فلان يثني عليك أي: على جنسك وأمثالك من المسلمين، فإن كل إنسان يثني على المسلمين من غير تخصيص.

أو يريد بقوله: إنه يدعو لك؛ أنه من عباد الله، والإنسان يدعو لكل عبد صالح في كل صلاة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إنكم إذا قلتم ذلك)) - يعني قلتم السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين - ((فقد سلمتم على كل عبد صالح في السماء والأرض)).

أما المسألة "أن يحدث الرجل زوجته وتحدث المرأة زوجها"

وهذا أيضاً من باب التورية، مثل أن يقول لها: إنك من أحب الناس إليّ، وإني أرغب في مثلك، وما أشبه ذلك من الكلمات التي توجب الألفة والمحبة بينها.

ولكن مع هذا لا ينبغي فيما بين الزوجين أن يكثر الإنسان من هذا الأمر؛ لأن المرأة إذا عثرت على شيء يخالف ما حدثها به، فإنه ربما تنعكس الحال وتكرهه أكثر مما كان يتوقع، وكذلك المرأة مع الرجل. (١)

السَّابِعُ وَالسَّبْعُونَ مِنْ شَعْبِ الْإِيمَانِ

أن يحب الرجل لأخيه المسلم ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه

وَيَدْخُلُ فِيهِ إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ الْمَشَارِإِ إِلَيْهِ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "وَفِي

الصَّحِيحَيْنِ " : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ -

(١) شرح رياض الصالحين (٣/ ٤١)

أَوْ بَضْعٌ وَسُتُونٌ - شُعْبَةٌ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَذْنَاهَا وَحْدِيثُ إِمَاطَةِ الْأَدَى عَنِ الطَّرِيقِ،
وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»

وَحَدِيثُ أَنَسٍ فِي "الصَّحِيحِينَ" عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»

وَحَدِيثُ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ "فِي الصَّحِيحَيْنِ": ((بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالنَّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ))

❦ (الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون) كذا وقع في مسلم من رواية سهيل بضع وسبعون أو بضع وستون على الشك ورواه البخاري في أول الكتاب من رواية العقدي بضع وستون بلا شك ورواه أبو داود والترمذي وغيرهما من رواية سهيل بضع وسبعون بلا شك .

❦ واختلف العلماء في الراجحة من الروايتين؟

فقال القاضي عياض : الصواب ما وقع في سائر الأحاديث ولسائر الرواة بضع وستون... ولا أشكال في أن كل واحدة منهما رواية معروفة في طرق روايات هذا الحديث واختلفوا في الترجيح قال والأشبه بالاتقان والاحتياط ترجيح رواية الأقل قال ومنهم من رجح رواية الأكثر وإياها أختار أبو عبد الله الحليمي فإن الحكم لمن حفظ الزيادة جازما بها قال الشيخ ثم أن الكلام في تعيين هذه الشعب يطول وقد صنف في ذلك مصنفات ومن أغزرها فوائد كتاب المنهاج لأبي عبد الله الحليمي امام الشافعين ببخارى وكان من رفقاء أئمة المسلمين وحذا حذوه الحافظ أبو بكر البيهقي رحمه الله في كتابه الجليل الحفيل كتاب شعب الإيمان.

قال القاضي عياض رحمه الله : البضع والبضعة بكسر الباء فيهما وفتحها هذا في العدد فاما بضعة اللحم فبالفتح لاغير والبضع في العدد ما بين الثلاث والعشر وقيل من ثلاث إلى تسع وقال

الخليل البضع سبع . وقيل : ما بين اثنين إلى عشرة وما بين اثنين عشر إلى عشرين ولا يقال في اثنين عشر قلت وهذا القول هو الأشهر الأظهر .

وأما "الشعبة" : فهي القطعة من الشيء فمعنى الحديث بضع وسبعون خصلة . (١)
مسألة :

قال ابن رجب : فأهل الحديث والسنة عندهم أن كل طاعة فهي داخلية في الإيمان ، سواء كانت من أعمال الجوارح أو القلوب أو من الأقوال ، وسواء في ذلك الفرائض والنوافل ، هذا قول الجمهور الأعظم منهم وحينئذ فهذا لا ينحصر في بضع وسبعين ، بل يزيد على ذلك زيادة كثيرة ، بل هي غير منحصرة . ؟

الجواب :

قيل : ويمكن أن يجاب عن هذا بأجوبة :

أحدها : أن يقال : إن عد خصال الإيمان عند قول النبي (صلى الله عليه وسلم) كان منحصرًا في هذا العدد ثم حدثت زيادة فيه بعد ذلك حتى كملت خصال الإيمان في آخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم .

والثاني : أن تكون خصال الإيمان كلها تنحصر في بضع وسبعين نوعا ، وإن كان أفراد كل نوع تتعد كثيرا ، وربما كان بعضها لا ينحصر . وهذا أشبه . وإن كان الموقوف على ذلك يعسر أو يتعذر .

والثالث : أن هذه البضع وسبعين هي أشرف خصال الإيمان وأعلاها وهو الذي تدعو إليه الحاجة منها . (٢)

(١) شرح النووي على مسلم - (٢ / ٤)

(٢) فتح الباري - لابن رجب - (١ / ٣٠)

وحديث أنسٍ في "الصحيحين" عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»

قال النووي :

قال العلماء رحمهم الله : (معناه لا يؤمن الإيمان التام والإفلاأصل الإيمان يحصل لمن لم يكن بهذه الصفة والمراد يحب لأخيه من الطاعات والأشياء المباحات ويدل عليه ما جاء في رواية النسائي في هذا الحديث حتى يحب لأخيه من الخير. (١)

❁ إشكال :

إن قيل كيف يتصور هذا وكل أحد يقدم نفسه فيما يختاره لها؟

ويجب أن يسبق غيره في الفضائل وقد سبق عمر أبا بكر فالجواب أن المراد حصول الخير في الجملة واندفاع الشر في الجملة فينبغي للإنسان أن يحب ذلك لأخيه كما يحبه لنفسه فأما ما هو من زوائد الفضائل وعلو المناقب فلا جناح عليه أن يوتر سبق نفسه لغيره في ذلك. (٢)

قوله : (حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)

لعل المراد ترك الحسد والعداوة ، وحصول كمال المودة حتى يقرب أن ينزل أخاه منزلة نفسه في الخيرات بطريق الكناية ، أو المراد أن يحب ذلك في الأعم الأغلب ، ولا يلزم في كل شيء سيما إذا لم يكن لذلك الشيء إلا فرد واحد كالوسيلة والمقام المحمود ، فإنه لا يمكن الاشتراك فيه حتى يحبه لغيره ، وبهذا يندفع الإشكال بسؤال سيدنا سليمان تخصيص الملك بقوله : {رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي}

(١) شرح النووي على مسلم - (٢ / ١٦)

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين - (١ / ٨٢٥)

وبما حكاه الله عن عباده الصالحين من قولهم واجعلنا للمتقين إماماً ، فإنه ظاهر في الخصوص ، والعموم في الإمامة يرفع الإمامة من أصلها كما لا يخفى ، وبتخصيص النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سؤال الوسيلة بنفسه ، وأمره الامة بذلك السؤال والله تعالى أعلم.

ثم معنى هذه الغاية أعني حتى يجب ههنا وفي أمثاله هو أنه لا يكمل الإيمان بدون حصول هذه الغاية لا أن حصول هذه الغاية كافية في كمال الإيمان ، وإن لم يكن هناك شيء آخر. (١)

«وَحَدِيث جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ "فِي الصَّحِيحَيْنِ" : ((بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالنَّصِاحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ))

قال النووي:

وإنما اقتصر على الصلاة والزكاة لكونهما من العبادات المالية والبدنية وهما أهم أركان الإسلام بعد الشهادتين ، وإظهارها اه لا يقال لعل غيرهما من الصوم والحج لم يكونا واجبين حينئذ لأنه أسلم عام توفي رسول الله كما سبق في ترجمته ولأن الصوم من جملة العبادات البدنية ومن أقام على محافظة الصلوات ومداومتها فبالأولى أن يقيم بالصوم. (٢)

قال الشيخ العثيمين :

هذه ثلاثة أشياء حق محض لله وحق للآدمي محض وحق مشترك ، أما الحق المحض لله فهو قوله: "إقام الصلاة".

(١) حاشية السندی على صحيح البخاری - (١ / ١٤)

(٢) شرح النووي على مسلم - (٢ / ٤٠)

مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح - (١٤ / ٢٥٨)

ومعنى إقام الصلاة: أن يأتي بها الإنسان مستقيماً على الوجه المطلوب فيحافظ عليها في أوقاتها ويقوم بأركانها وواجباتها وشروطها ويتم ذلك بمستحباتها ومن هذا بالنسبة للرجال إقامة الصلاة في المساجد مع الجماعة فإن هذا من إقامة الصلاة ومن تخلف عن الجماعة بلا عذر فهو آثم بل هو عن بعض العلماء كشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إذا صلى بدون عذر مع غير الجماعة فصلاته باطلة مردودة عليه لا تقبل منه .

ولكن الجمهور على أنها تصح مع الإثم وهذا هو القول الراجح وهو المشهور من مذهب الإمام أحمد وهو الذي عليه جمهور من قالوا بوجوب صلاة الجماعة .

ومن إقامة الصلاة:

الخشوع فيها والخشوع هو حضور القلب وتأمله بما يقوله المصلي وما يفعله وهو أمر مهم لأن الصلاة بلا خشوع كالجسد بلا روح فأنت إذا صليت وقلبك يدور في كل واد فإنك تصلي حركات بدنية فقط فإذا كان قلبك حاضراً تشعر كأنك بين يدي الله عز وجل تتأججه بكلامه وتتقرب إليه بذكره ودعائه فهذا هو لب الصلاة وروحها .

وأما قوله: "إيتاء الزكاة":

يعني إعطائها لمستحقها وهذه جامعة بين حق الله وحق العباد أما كونها حقاً لله فلا أن الله فرض على عباده الزكاة وجعلها من أركان الإسلام وأما كونها حقاً للإنسان فلما فيها من قضاء حوائج المحتاجين وغير ذلك من المصالح المعلومه في معرفة أهل الزكاة.

وأما قوله: "النصح لكل مسلم":

فهذا هو الشاهد من الحديث للباب أي أن ينصح لكل مسلم قريب أو بعيد صغير أو كبير ذكر أو أنثى وكيفية النصح لكل مسلم هي كما ذكره في حديث أنس بعد لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه هذه هي النصيحة أن تحب لإخوانك ما تحب لنفسك بحيث يسرك ما يسرهم ويسوءك ما يسوءهم وتعاملهم بما تحب أن يعاملوك به وهذا الباب واسع كبير جداً .

نفى النبي عليه الصلاة والسلام الإيـان عمن لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه في كل شيء ونفي الإيـان قال العلماء المراد به نفي الإيـان الكامل يعني لا يكمل إيمانك حتى تحب لأخيك ما تحب لنفسك وليس المراد انتفاء الإيـان بالكلية ،

ويذكر أن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه حين بايع النبي عليه الصلاة والسلام على النصـح لكل مسلم :

أنه اشترى فرسا من شخص بدراهم فلما اشتراه وذهب به وجد أنه يساوي أكثر فرجع إلى البائع وقال له إن فرسك يساوي أكثر فأعطاه ما يرى أنها قيمته فانصرف وجرب الفرس فإذا به يجده يساوي أكثر مما أعطاه أخيرا فرجع إليه وقال له إن فرسك يساوي أكثر فأعطاه ما يرى أنها قيمته وكذلك مرة ثالثة حتى بلغ من مائتي درهم إلى ثمان مائة درهم لأنه بايع الرسول صلى الله عليه وسلم على النصـح لكل مسلم.

وإذا بايع النبي صلى الله عليه وسلم أحدا على شيء لا يختص به فهو عام لجميع الناس كل الناس مبايعون الرسول عليه الصلاة والسلام على النصـح لكل مسلم بل على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وإسداء النصـح لكل مسلم والمبايعة هنا بمعنى المعاهدة لأن المبايعة تطلق على البيع والشراء وتطلق على المعاهدة .

كما قال تعالى: ((إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله)) وسميت مبايعة لأن كلا من المتبايعين يمد بـاعه إلى الآخر يعني يده من أجل أن يمـسك بيد الآخر ويقول بايعتك على كذا وكذا. (١)



"الخاتمة"

الحمد لله على تمام فضله، وإكرامه، وعلى سابغ إحسانه وإنعامه، وهو الذي بنعمته تتم الصالحات، وهو ذو الجلال والإكرام، وذو الطول والإنعام، فله الحمد واجباً، وله الدين واصباً. والصلاة والسلام على من أرسل الله رحمة للعالمين، محمد بن عبدالله الصادق الأمين.

أما بعد:

فإننا نشكر الله عز وجل على جميع نعمه، إذ نحن مأمورون بذلك.

يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

فنحمد الله أولاً وآخراً على نعمة الإسلام والسنة، والسير على طريقة السلف الصالح رضوان الله عليهم. ثم تمم الله لنا نعمة بأن وفقنا لطلب العلم عند علماء أهل السنة والجماعة والبقاء في دار الحديث بدماج حتى أذن الله بالخروج.

ثم أشكر شيعي وزوجي عبد الله بن أحمد الحكمي الذي كان له الفضل بعد الله في طلبي للعلم والبحث وكان له نصيب كبير في معاونتي في اخراج هذا الكتاب بنقلي عنه من فوائده الطيبة وإطلاعه على الكتاب وتصويبه ومراجعته.

وأشكر كل من شارك في طبع الكتاب ومراجعته.

فجزاهم الله عني خير الجزاء وشكر الله لهم فمن لا يشكر الناس لا يشكر الله.

ولله الحمد والمنه على فضله وإحسانه.

كَمَا حَمَدْتُ اللَّهَ فِي ابْتِدَائِي

جَمِيعَهَا وَالسَّيْرَ لِلْعُيُوبِ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى انْتِهَائِي

أَسْأَلُهُ مَغْفِرَةَ الذُّنُوبِ

تَغْشَى الرَّسُولَ الْمُصْطَفَى مُحَمَّدًا	ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَبَدًا
السَّادَةِ الْأَتَمَّةِ الْأَخْيَارِ	ثُمَّ جَمِيعَ صَحْبِهِ وَالْأَلِ
مَا جَرَتْ الْأَقْلَامُ بِالْمِلْدَادِ	تَدْوُمُ سَرْمَدًا بِلَا نَفَادِ
جَمِيعِهِمْ مِنْ غَيْرِ مَا اسْتَشْنَاءُ ^(١)	ثُمَّ الدُّعَا وَصِيَّةُ الْقُرَّاءِ

سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

تم بحمد الله الفراغ منه في ٢٣ / ربيع الآخر / لعام ١٤٣٩ هـ

(١) نظم الشيخ حافظ حكيم راجع (معارج القبول بشرح سلم الوصول) (١ / ٤٥).